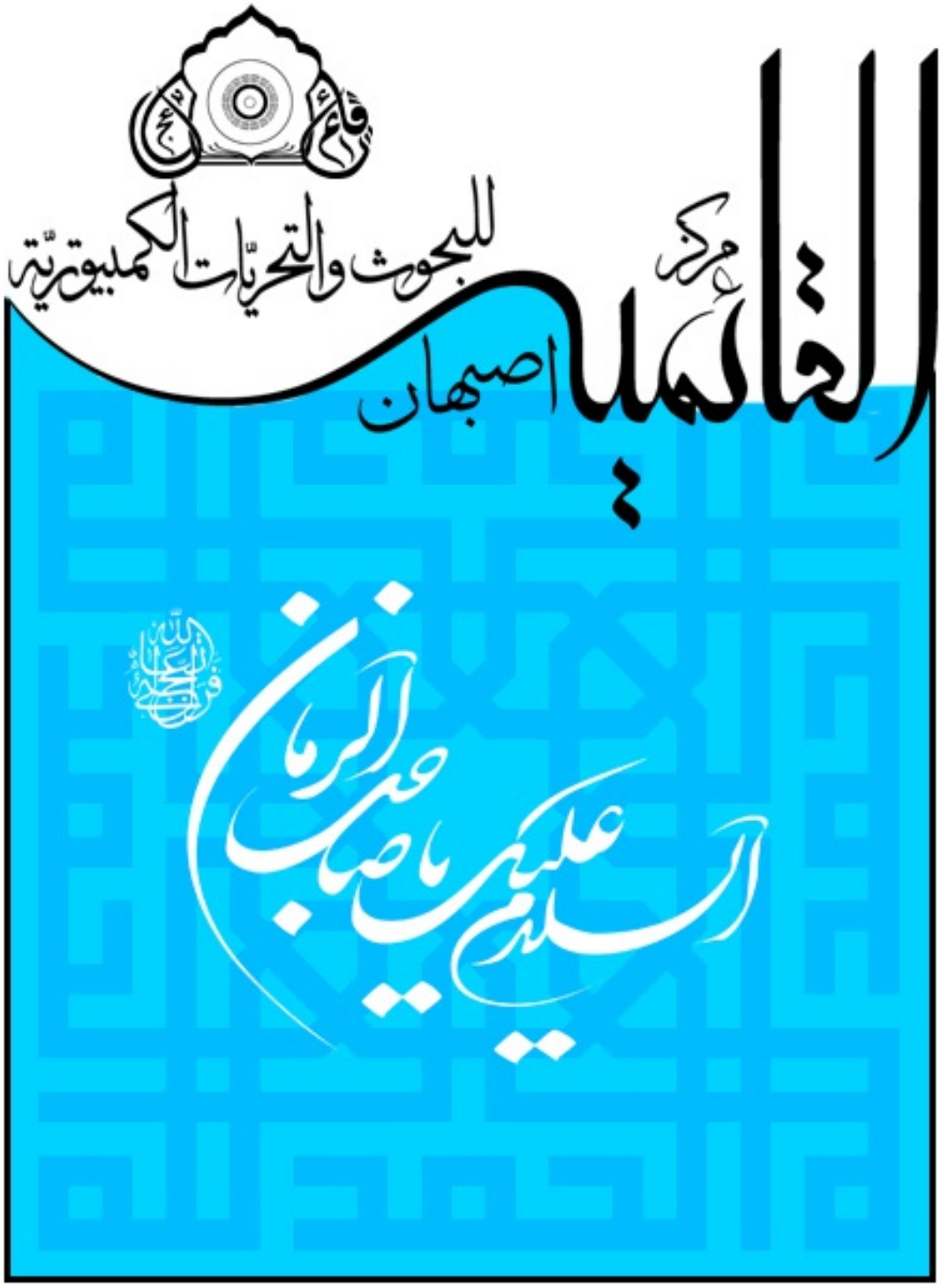

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الايمان و الكفر
في
الكتاب و السنه

جعفر السبحانی

بسم الله الرحمن الرحيم

الایمان و الکفوفی الکتاب و السنه

کاتب:

آیت الله العظمی جعفر سبحانی (دام ظله)

نشرت فی الطباعة:

موسسه‌الامام‌الصادق (ع)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الایمان و الکفوفی الکتاب و السنه ----- ۷
اشارة ----- ۷
مقدمة ----- ۷
تمهید ----- ۸
الجهة الاُولی: ----- ۸
الجهة الثانیة: ----- ۱۱
الجهة الثالثة: ----- ۱۹
الجهة الرابعة: ----- ۲۱
الجهة الخامسة: ----- ۲۵
الجهة السادسة: ----- ۲۸
الجهة السابعة : ----- ۳۷
الجهة الثامنة: ----- ۳۹
الجهة التاسعة : ----- ۴۵
الجهة العاشرة : ----- ۵۹
رسالة فی حیاة السید المسیح ـ ع ـ بعد الرفع ----- ۶۱
إهداء: ----- ۶۱
حیاة السید المسیح ـ علیه السلام ـ ----- ۶۱
حیاة السید المسیح فی السنّة النبویة: ----- ۶۹
المناهج التفسیریة ----- ۷۴
المقدمة: ----- ۷۵
المناهج التفسیریة ----- ۷۵
المنهج الاَوّل: ----- ۷۸

المنهج الثانی: ---------- ۸۷

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---------- ۹۳

الايمان و الكفوفى الكتاب و السنه

اشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی جعفر، ۱۳۰۸-

عنوان و نام پدیدآور : الایمان و الکفوفی الکتاب و السنه رساله موجزه تبحث عن حقیقه ... و تلها رسالتان احیاه السید المسیح علیه‌السلام - بعد الرفع المناهج التفسیریه تالیف جعفر السبحانی

مشخصات نشر : قم موسسه الامام الصادق ع ۱۴۱۶ق ۱۳۷۴.

مشخصات ظاهری : ۲۳۲ص.

شابک : ۵۰۰۰ریال ؛ ۹۶۴۳۵۷۲۳۵۸

یادداشت : چاپ دوم: ۱۳۸۵.

یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس موضوع : ایمان (اسلام

موضوع : کفر

شناسه افزوده : موسسه امام صادق ع

رده بندی کنگره : BP۲۲۵/س۱۲الف۹ ۱۳۷۴

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۶۴

شماره کتابشناسی ملی : م۷۵-۳۴۹۳

مقدمة

مقدمة الإيمان والكفر فى الكتاب والسنّة رسالة موجزة تحث عن

حقيقة الإيمان والكفر وحُدودهما والفرق بين الإسلام والإيمان

وحكم تكفير أهل القبلة، وتدعو إلى الوحدة الإسلامية

وتليها رسالتان:

١. حياة السيد المسيح ـ عليه السلام ـ بعد الرفع.

٢ . المناهج التفسيرية. تأليف

العلامة المحقّق

جعفر السبحانى مؤسسة الإمام الصادق

ـ عليه السلام ـ (٢) (٣) بسم الله الرحمن الرحيم قاربوا الخطى أيُّها المسلمون الوحدة الاِسلامية وجمع شمل المسلمين ورصّ صفوفهم وجمع طاقاتهم على اتّجاهٍ واحدٍ ممّا يتبنّاه كل مسلم واعٍ له إلمامٌ بما يجرى على المسلمين فى أراضيهم وعقر دارهم. ولكن الساحة الاِسلامية تشاهد اليوم بعض أصحاب القلم، والصدارة قد جعلوا على عاتقهم تفريق الكلمة، وتكفير بعضهم بعضاً، وتجزئة الاُمّة، بدل توحيدها، وتماسك صفوفها، فلم نزل نشاهد فتوى بعد فتوى فى تكفير فرقة دون فرقة وتفسيق طائفة أُخرى. هذا وذاك دعانى إلى دراسة مسألة الاِيمان والكفر فى ضوء الكتاب والسنّة حتى يتّضح للقرّاء المتأثرين بهذه الفتاوى حدا الاِيمان والكفر، فسوف يتضح أنّه لا ـ يصح لنا تكفير أهل القبلة ما داموا موَمنين بتوحيد الله تعالى ورسالة نبيه الاَكرم (صلى الله عليه وآله وسم)والمعاد، والطوائف الاِسلامية كلّهم متظلّلون تحت هذه الخيمة، رافلين فى حلل الاِيمان، مبتعدين عما يوجب الخروج عن الاِسلام وسيتضح

لك ذلك بقراءة الفصول العشرة لذلك الكتاب. والله من وراء القصد. جعفر السبحانى

قم المشرفة ـ ۱۵|۱۲|۱۴۱۵ هـ ق

تمهيد

تمهيد البحث عن الاِيمان والكفر من المسائل المهمة فى حياتنا الحاضرة، لاَنّ الرابطة الوحيدة بين المسلمين هى رابطة الاِيمان الوثيقة من غير فرق بين أجناسهم. ولم يزل المسلمون ومنذ قرون، غرضاً لاَهداف المستعمرين، وهم يبذلون جهدهم فى تفريقهم وتشتيتهم إلى فرق وأُمم متباعدة، ينهش بعضهم بعضاً، وكأنّهم ليسوا من أُمة واحدة، كل ذلك ليكونوا فريسة سائغة لهم ينهبون ثرواتهم ويقضون على عقيدتهم وثقافتهم الاِسلامية بشتّى الوسائل. فالمسلمون فى هذه الظروف الحرجة فى أشدّ الحاجة إلى رصّ الصفوف وتوحيد الكلمة كما أنّ لهم كلمة التوحيد، ولا يتسنّى ذلك إلاّ بعد التعرّف عليهم

(۶)

وعلى أفكارهم، عسى أن يتظلَّل الجميع ـ دون استثناء ـ فى ظلّ الاِيمان بالله ورسوله، وهذا ما يدعونا قبل كل شىء إلى دراسة حقيقة الاِيمان فى ضوء الكتاب والسنّة، كى تكون هى المقياس فى القضاء العادل فى حق الفرق المختلفة فى الساحة الاِسلامية. ونجتنى من ذلك فائدتين: الاُولى: ربّما تؤدّى الدراسة إلى ثمرة مهمة فى ساحة الوحدة الاِسلامية وهى: أنّه بعد تبيين حقيقة الاِيمان مفهوماً وحدّاً ربّما تنضوى تحتها عشرات الفرق الاِسلامية، التى ربّما أُسىء الظنّ بهم بشتّى الوسائل، وربّما احتسبوا أجانب فيصبحوا إخواناً مخلصين. الثانية: وربّما ينعكس الاَمر على البعض الآخر فيُلفَظوا عن حظيرة الاِسلام وقد كنّا نتصوّرهم من أُمّها وصميمها. (۷)

الاِيمان فى الكتاب والسنّة : البحث فى الاِيمان والكفر بحث واسع، مترامى الاَطراف، والخوض فى غماره يخرج الرسالة عن كونها رسالة موجزة، فالذى سوف نركّز عليه من بين البحوث المتوفّرة هو البحث فى الجهات التالية: الجهة الاُولى: فى تفسير الاِيمان لغة واصطلاحاً. الجهة الثانية: فى أنَّ العمل جزء من الاِيمان وعدمه. الجهة الثالثة: فى أنّه يقبل الزيادة والنقيصة أو لا. الجهة الرابعة: فيما يجب الاِيمان به. الجهة الخامسة: فى تحديد الكفر وأسبابه وأقسامه. الجهة السادسة: فى جواز تكفير أهل القبلة وعدمه. الجهة السابعة: فى الفرق بين الاِسلام والاِيمان. الجهة الثامنة: لزوم تحصيل العلم فى العقائد. الجهة التاسعة: فى الدفاع عن الحقيقة. الجهة العاشرة: فى الوحدة الاِسلامية. والمهم منها هو الجهة الرابعة والخامسة، إذ بهما يتميّز المؤمن عن الكافر، يتميّز كل من ينضوى تحت راية الاِيمان عمّن يُقصى منها، وإليك البحث فى الاُمور أعلاه: *** (۸)

(۹)

الجهة الاُولى:

الجهة الاُولى: الاِيمان لغة واصطلاحاً ۱ ـ قال الخليل: الاَمن: ضدّ الخوف، والفعل منه أمن يأمن أمناً، والاِيمان: التصديق نفسه، وقوله تعالى: (وَما أَنْتَ بِمُؤمِنٍ لَنا) بمصدِّق لنا (۱). قال ابن فارس": أمن "له أصلان: أحدهما الاَمانة التى هى ضدّ الخيانة، والآخر التصديق. والمعنيان متدانيان (۲). وقال ابن الاَثير: فى أسماء الله تعالى": المؤمن "هوالذى يَصدُق عباده وعده، فهو من الاِيمان: التصديق، أو يؤمّنهم فى القيامة من عذابه، فهو من الاَمان، والاَمن ضدّ الخوف (۳). ويظهر من ابن منظور أنّ له استعمالات مختلفة: ۱ ـ الاَمن ضدّ الخوف. ۲ ـ الاَمانة ضد الخيانة. ۳ ـ الاِيمان ضد الكفر . ۴ ـ الاِيمان: التصديق، ضدّه التكذيب يقال: آمن به قوم، وكذَّب به قوم. فأمّا آمنته المتعدى فهو ضدّ أخفته. وفى التنزيل العزيز: (آمنهم من خوف) (۴).

---

۱ . ترتيب العين: ۵۶.

۲ . المقاييس: ۱|۱۳۳.

۳ . النهاية: ۱|۶۹.

۴ . لسان العرب: ۱۳|۲۱.

(۱۰) والحصيلة من كلماتهم أنّ الثلاثى المجرّد من مادة" أمن "يستعمل فى ضدّ الخوف كما قال سبحانه: (وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أمْناً يَعْبُدونَنِى لايُشْرِكُوا بِى شَيْئاً) (النور ـ ۵۵) وأمّا المزيد منه فالمقرون بالباء أو اللام يأتى بمعنى التصديق كقوله سبحانه: (امَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إلَيهِ مِنْ رَبّهِ) (البقرة ـ ۲۸۵) وقوله عزّ من قائل: (وَما أنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا) (يوسف ـ ۱۷) وأمّا المتعدّى بنفسه فهو بمعنى ضدّ أخاف، كما عرفت. وعلى ذلك درج المتكلّمون فى تعريف الإيمان حيث فسّروه بالتصديق. قال عضد الدين الإيجى: الإيمان: التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة، فتفصيلاً فيما علم تفصيلاً، وإجمالاً فيما علم إجمالاً (۱). وقال التفتازانى: الإيمان: اسم للتصديق عند الأكثرين أى تصديق النبىّ فيما علم مجيئه به بالضرورة (۲). وأمّا أكثر أعلام الشيعة ففسّروه بالتصديق، نقتصر على ما يلى: قال المرتضى (۳۵۵ ـ ۴۳۶هـ) : إنّ الإيمان عبارة عن التصديق القلبى ولا اعتبار بما يجرى على اللسان، فمن كان عارفاً بالله تعالى وبكلّ ما أوجب معرفته، مقرّاً بذلك ومصدّقاً فهو مؤمن (۳). وقال ابن ميثم: إنّ الإيمان عبارة عن التصديق القلبى بالله تعالى، وبما جاء به رسوله من قول أو فعل، والقول اللسانى سبب ظهوره، وسائر الطاعات ثمرات مؤكدة له (۴).

---

۱ . شرح المواقف: ۸|۳۲۳، قسم المتن.

۲ . شرح المقاصد: ۵|۱۷۶.

۳ . المرتضى: الذخيرة فى علم الكلام: ۵۳۶ ـ ۵۳۷.

۴ . ابن ميثم: قواعد المرام: ۱۷۰.

(۱۱) وقال نصير الدين الطوسى: والإيمان: التصديق بالقلب واللسان، ولا يكفى الأوّل لقوله تعالى: (و اسْتَيْقَنَتْها أنْفُسُهُمْ) ونحوه، ولا الثانى لقوله: (قُلْ لَمْ تُؤمِنُوا) واختاره العلاّمة الحلّى فى شرحه لكلام المحقّق الطوسى (۱). وهو خيرة المحقّق الطوسى فى الفصول النصيرية (۲)والفاضل المقداد فى إرشاد الطالبين (۳)ونقله المجلسى عن بعض المحقّقين وقال: إنّه عرفه بقوله: هو التسليم لله تعالى والتصديق بما جاء به النبىّ لساناً وقلباً على بصيرة(۴). نعم، فسّره الطبرسى فى تفسيره بالمعرفة وقال: أصل الإيمان هو المعرفة بالله وبرسوله وبجميع ما جاءت به رسله، وكل عارف بشىء فهو مصدّق له (۵). ونسبه الشهيد الثانى إلى أصحابنا (۶). ولكنّه تفسير له بالمبدأ فإنّ التصديق القلبى فرع المعرفة فكلّ مصدّق، عارف بما يصدّقه ولا عكس؛ إذ ربّما يعرف ولا يصدّق قال سبحانه: (الَّذينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كما يَعْرِفُونَ أبْناءَهُمْ) (البقرة ـ ۱۴۶) ومع العرفان ما كانوا مؤمنين. والفرق بين التصديق والمعرفة واضح، لأنّ فى الأوّل سكون النفس وهو كسبى اختيارى يؤمر به ويثاب عليه، والمعرفة ربّما تحصل بلا كسب والفرق بينهما كالفرق بين الإيمان والعلم، فلو كان التصديق ملازماً للتسليم فهو، وإلاّ يشترط

---

۱ . العلاّمة الحلى: كشف المراد: ۴۲۶.

۲ . نقله العلاّمة المجلسى عنه فى البحار: ۶۹|۱۳۱، وقال: إنّ الإيمان هو التصديق القلبى مذهب جمع من متقدّمى الإمامية ومتأخّريهم ومنهم المحقّق الطوسى فى فصوله.

۳ . الفاضل المقداد: إرشاد الطالبين: ۴۴۲.

۴ . المجلسى: البحار: ۶۸|۲۹۶.

۵ . الطبرسى: مجمع البيان: ۱|۸۹.

۶ . زين الدين العاملى فى رسالة حقائق الإيمان وهو فسّره لغة بالتصديق، لاحظ البحار: ۶۹|۱۳۱.

(۱۲)

فيه وراء التصديق: التسليم، لقوله سبحانه: (فلا وَرَبّكَ لا يُؤْمِنونَ حَتّى يُحَكّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فى أنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَيُسَلّمُوا تَسْلِيما) (النساء ـ ۶۵) . وبما ذكرنا يعلم عدم تماميّة ما ذكره التفتازانى فى ذيل كلامه المتقدم، وهو أنّ الشيعة فسّرت الإيمان بالمعرفة كجهم والصالحى، لما عرفت أنّه قول الطبرسى ـ قدّس سرّه ـ وغيره على ما نقله الشهيد الثانى، لا ـ قول الشيعة بأجمعهم.

الإيمان اصطلاحاً : فإذا كان الإيمان بمعنى التصديق: فيقع الكلام فى كفاية أىّ قسم منه، فإنّ للتصديق مظاهر مختلفة، فالمحتملات أربعة: ۱ـ الإيمان هو الإقرار باللسان وإن اعتقد الكفر بقلبه، وهو قول محمد بن كرّام السجستانى. ۲ـ التصديق القلبى وإن أظهر الكفر بلسانه، وهذا هو المنسوب إلى جهم ابن صفوان. ۳ـ الإيمان هو التصديق القلبى منضمّاً إلى التصديق باللسان، وأمّا العمل فهو من ثمراته غير داخل فى صميم الإيمان، وهو المنسوب إلى مشاهير المتكلّمين والفقهاء. ۴ـ الإيمان هو التصديق القلبى منضمّاً إلى الإقرار باللسان والعمل بالجوارح، وهو قول المعتزلة والإباضية، وجمع من القدامى. لنأخذ بدراسة هذه الأقوال: أمّا الأوّل: فقد زعموا أنّ النبىّ وأصحابه ومن بعدهم اتّفقوا على أنّ من

(۱۳)

أعلن بلسانه شهادة فإنّه عندهم مسلم محكوم له بحكم الإسلام، أضف إليهم قول رسول الله فى السوداء": اعتقها فإنّها مؤمنة(۱). يلاحظ عليه: أنّ الحكم عليه بالإيمان لأجل كون الإقرار باللسان طريقاً وذريعة إلى فهم باطنه وتصديق قلبه، وأمّا لو علم عدم مطابقة اللسان مع الجنان فيحكم عليه بالنفاق، قال سبحانه: (وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّا بِاللهِ وبِاليَومِ الآخِرِ وما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) (البقرة ـ ۸). ولمّا كان الرسول وأصحابه مأمورين بالحكم بحسب الظاهر، أُمروا بالقتال إلى أن يشهدوا بتوحيده سبحانه كما قال ـ صلى الله عليه وآله وسم" ـ : أُمِرْت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا ـ إله إلاّ ـ الله ويؤمنوا بما أُرسلت به، فإذاً عصموا منّى دماءهم وأموالهم إلاّ بحقّها وحسابهم على الله " وبذلك يظهر وجه حكمه ـ صلى الله عليه وآله وسم ـ فى السوداء" بأنّها مؤمنة(۲ ")روى ابن حزم عن خالد بن الوليد أنّه قال: رُبّ رجل يقول بلسانه ما ليس فى قلبه، فقال ـ صلى الله عليه وآله وسم" ـ إنّى لم أُبعث لأشُقّ عن قلوب الناس. "وأمّا الثانى: أى كون الإيمان هو التصديق القلبى وإن أظهر الكفر بلسانه الذى نسب إلى جهم بن صفوان: فقد استدل بما مرّ من الآيات عند البحث فى تفسير الإيمان لغة، قال سبحانه: (ومَا أنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا)(يوسف ـ ۱۷) وقوله تعالى: (وامنَ لَهُ لُوط)(العنكبوت ـ ۲۶) مضافاً بأنّ القرآن نزل بلسان عربىّ مبين وخاطبنا الله بلغة العرب وهو فى اللغة التصديق والعمل بالجوارح لا يُسمّى إيماناً. يلاحظ عليه: أنّ ما ذكره دليل على خروج العمل عن حقيقة الإيمان، وأمّا كونه نفس التصديق القلبى فلا يثبته، كيف وقد دلّت بعض الآيات على أنّ من جَحَدَ لساناً أو عملاً وإن استيقن قلباً فهو ليس بمؤمن، بل هو من الكافرين، يقول سبحانه: (وجَحَدوا بِها واسْتَيْقَنَتْها أنْفُسُهُمْ ظُلْماً وعُلُوّاً فانْظُرْ كَيْفَ كانَ

---

۱ . ابن حزم: الفصل: ۳|۱۹۰.

۲ . ابن حزم: الفصل: ۲|۲۰۶، وسيوافيك تخريج الحديث.

(۱۴)

عَاقِبةُ المُفْسِدِينَ)(النمل ـ ۱۴) والآية نازلة فى حقّ الفراعنة الذين أذعنوا فى ظل معاجز موسى بأنّه مبعوث من الله سبحانه، ولكنّهم جَحَدوا بآيات الله فصاروا من الكافرين. نعم هناك نكتة، وهى: أنّ الآية لا تقوم بنفى كفاية التصديق القلبى فى تحقّق الإيمان إذا لم يقترن مع الجَحْد، وإنّما تثبت عدم كفايته إذا اقترن به، فلا بدّ فى إثبات عدم كفاية الأوّل من التماس دليل آخر. ثم إنّ لابن حزم

الظاهرى (ت ۴۵۶هـ) كلاماً فى المقام استشكل به على المستدل، وذلك بوجهين: الاَوّل: انّ الاِيمان فى اللغة ليس هو التصديق، لاَنّه لا يسمى التصديق بالقلب دون التصديق باللسان إيماناً فى لغة العرب، وما قال ـ قطّ ـ عربىّ إنّ من صدق شيئاً بقلبه فأعلن التكذيب بلسانه أنّه يسمى مصدّقاً به، ولا مؤمناً به، وكذلك ما سُمى ـ قطّ ـ التصديق باللسان دون التصديق بالقلب إيماناً بلغة العرب. يلاحظ عليه: أنّ ما ذكره يثبت عدم كفاية التصديق مع التكذيب باللّسان، وأمّا عدم كفاية التصديق مع عدم التكذيب فلا تثبته الآية ولا كلام العرب كما عرفت، ولاَجل ذلك قلنا: لابدّ فى إثبات عدم كفاية ذلك القسم من التماس دليل آخر. الثانى: لو كان ما قاله صحيحاً لوجب أن يطلق اسم الاِيمان لكل من صدق بشىء مؤمناً، ولكان من صدق باطنية الحلاّج والمسيح والاَوثان مؤمنين لاَنّهم مصدّقون بما صدقوا به (۱).

---

۱ . ابن حزم الفصل: ۳|۱۹۰.

(۱۵)

يلاحظ عليه: أنّه كلام واهٍ جدّاً، لاَنّ موضوع الدراسة هو الاِيمان اصطلاحاً فلا يعمّ ما كان على طرف النقيض منه كالتصديق بإلهية الحلاّج والمسيح. نعم لو كان موضوع الدراسة هو تفسير التصديق لغة، فلا شك أنّه يشمل كل تصديق متعلّق بشىء، قال سبحانه: (وما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا)(يوسف ـ ۱۷) . وكم لابن حزم فى كتبه من "الفصل "و" المحلّى "كلمات واهية مضافاً إلى ما اتّخذ لنفسه خطّة فى الكتابة وهى؛ التحامل على الفرق الاِسلامية بالسّباب وبذاءة الكلام، عفا الله عنّا وعنه. وأمّا القول الثالث والرابع: فمتقاربان، غير أنّ الرابع جعل العمل جزء من الاِيمان، والثالث جعله من ثمراته وكماله، لاجزءاً لحقيقته، وهذا هو الموضوع الذى فرّق المسلمين إلى فرق ثلاثة، أعنى بهم: أ ـ الخوارج: الذين كفّروا مرتكب الكبيرة، ومنعوا من إطلاق المؤمن عليه، وبلغوا الغاية فى التشديد وجعلوه مخلّداً فى النار لخروجه عن ربقة الاِيمان. ب ـ المعتزلة: وهم الذين جعلوا مرتكب الكبيرة منزلة بين منزلتين فلا هو بمؤمن ولا كافر، ولكنّهم صفّقوا مع الخوارج فى جعل مرتكب الكبيرة مخلّداً فى النار إذا مات بلا توبة. ج ـ جمهرة الفقهاء والمتكلّمين من السنّة والشيعة: وهم الذين جعلوا الاِيمان نفس التصديق مع الاِقرار باللسان، وجعلوا العمل كمال الاِيمان، وهذا لايعنى ما ذهبت إليه المرجئة من عدم الاهتمام بالعمل، بل يهدف إلى أنّ محوّل الاِنسان من الكفر إلى الايمان والحكم بحرمة دمه وماله هو التصديق القلبى إذا اقترن بالاِقرار باللسان إن أمكن، أو بالاِشارة إن لم يمكن كما هو الحال فى الاَبكم، وأمّا المنقذ من النار والمُدْخِل إلى الجنّة فلا يكفيه ذلك ما لم يقترن بالعمل. (۱۶) قال الشيخ المفيد": اتفقت الاِمامية على أنّ مرتكب الكبائر من أهل المعرفة والاِقرار لا يخرج بذلك عن الاِسلام وأنّه مسلم، وإن كان فاسقاً بما فعله من الكبائر والآثام، ووافقهم على هذا القول المرجئة كافّة، وأصحاب الحديث قاطبة، ونفر من الزيدية وأجمعت المعتزلة وكثير من الخوارج والزيدية على خلاف ذلك، وزعموا انّ مرتكب الكبائر ممّن ذكرناه فاسق ليس بمؤمن ولا مسلم (۱).

هذا وتحقيق الحق يأتى فى الفصل القادم. *** ــــــــــــــــــ

۱ . المفيد: أوائل المقالات ص ۱۵.

(۱۷)

الجهة الثانية:

الجهة الثانية: فى أنّ العمل جزء من الاِيمان وعدمه قد عرفت أنّ الخوارج والمعتزلة جعلوا الاِيمان مركّباً من التصديق والعمل ولاَجله كفّروا مرتكب الكبيرة أو جعلوه فى منزلة بين المنزلتين، لكن دراسة الموضوع حسب الآيات القرآنية يرشدنا إلى خروج العمل عن الاِيمان، وتكفى فى هذه الآيات التالية: ۱ ـ قال سبحانه: (إنّ الَّذين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ)(البقرة ـ ۲۷۷) فمقتضى العطف هو

المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، فلو كان العمل داخلاً فيه لزم التكرار، واحتمال كون المقام من قبيل ذكر الخاص بعد العام يتوقف على وجود نكتة لتخصيصه بالذكر. أضف إلى ذلك أنّ الصالحات جمع معرّف يشمل الفرض والنقل، والقائل بكون العمل جزءاً من الإيمان يريد به خصوص فعل الواجبات واجتناب المحرمات، فكيف يمكن أن تكون الصالحات بهذا المعنى جزء الإيمان ويكون ذكره من قبيل عطف الخاص على العام. ۲ ـ قال سبحانه: (وَمَن يَعْمَل مِنَ الصّالِحاتِ وَهُو مُؤْمِنٌ)(طه ـ ۱۱۲) وقوله: (وهو موَمن)جملة حالية والمقصود يعمل صالحاً حال كونه موَمناً وهذا يقتضى المغايرة. (۱۸)

۳ ـ وقال سبحانه: (وإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَينهُما فَإنْ بَغَتْ إحداهُما عَلى الأُخرى فَقاتِلُوا الَّتى تَبغِى حَتّى تَفىء إلى أمْرِ الله)(الحجرات ـ ۹) ترى أنّه سبحانه أطلق الموَمن على الطائفة العاصية وقال ما هذا مثاله: فإن بغت إحدى الطائفتين من الموَمنين على الطائفة الأُخرى منهم، والظاهر أنّ الإطلاق بلحاظ كونهم موَمنين حال البغى لا بلحاظ ما سبق وانقضى، أى بمعنى أنّهم كانوا موَمنين. ۴ ـ (يا أيُّها الَّذين آمنوا اتَّقوا الله وكُونُوا مَعَ الصّادِقينَ)(التوبة ـ ۱۱۹) فأمر الموصوفين بالإيمان بالتقوى أى الإتيان بالطاعات واجتناب المحرّمات، ودلّ على أنّ الإيمان يجتمع مع عدم التقوى، وإلاّ كان الأمر به لغواً وتحصيلاً للحاصل، وحمل الأمر فى الآية على الاستدامة خلاف الظاهر. ۵ ـ هناك آيات تدل على أنّ محل الإيمان ومرتكز لوائه هو القلب، قال سبحانه: (أُولئكَ كُتِبَ فِى قُلُوبِهِمُ الإيمانُ)(المجادلة ـ ۲۲) ولو كان العمل جزءاً منه لما كان القلب محلاًّ لجميعه، وقال سبحانه: (وَلَمّا يَدْخُلِ الإيمانُ فى قُلُوبِكُم)(الحجرات ـ ۱۴) . وهناك سؤال يطرح نفسه وهو: أنّ ظاهر الآية كون القلب محلاًّ لجميع الإيمان مع أنّ جمهور الفقهاء والمتكلّمين جعلوا الإقرار باللسان جزءاً منه والإقرار قائم باللسان لا بالقلب، ولكن الإجابة عنه سهلة، وهى: أنّ حقيقة الإيمان ومرتكز لوائه هو القلب، غير أنّه لا يصحّ الحكم بكونه موَمناً إلاّ بعد اعترافه باللسان. فالجحد مانع وإن أذعن قلباً والإقرار باللسان شرط لا جزء له، أى شرط لحكمنا بكونه موَمناً. نعم، لو كان هناك عِلْم لا يقبل الخطأ بأنّ الرجل مصدّق بما جاء به الرسول غير أنّه لا يستطيع أن يقرّ، كما فى مَلِك الحبشة، فقد آمن بالرسول واعترف بنبوّته قلباً، فهو موَمن، والشرط عندئذ ساقط للضرورة،

(۱۹)

ولأجل ذلك صلّى عليه الرسول (صلى الله عليه وآله وسم) عندما بلغته وفاته. هذا هو مقتضى الكتاب ويؤيده الإجماع، حيث جعلوا الإيمان شرطاً لصحة العبادات ولا يكون الشيء شرطاً لصحة جزئه. وأمّا السنّة فهى تعاضد أيضاً هذه النظرية. أخرج البخارى فى كتاب الإيمان ومسلم فى باب فضائل على ـ عليه السلام ـ أنّه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسم) يوم خيبر": لأُعطينَّ هذه الراية رجلاً يحبُّ الله ورسوله يفتح الله على يديه. "قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الامارة إلاّ يومئذ، قال: فتساورْتُ لها رجاء أن أُدعى إليها، قال فدَعى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسم) علىّ بن أبى طالب فأعطاه إيّاها، وقال": إمش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك "فسار (علىّ) شيئاً ثم وقف ولم يلتفت وصرخ": يا رسول الله على ماذا أُقاتل النّاس ؟ "قال: (صلى الله عليه وآله وسم") : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك فقد مَنعوا منك دماءهم وأموالهم إلاّ بحقّها وحسابهم على الله.("۱) روى الشافعى فى كتاب" الأُم "عن أبى هريرة، أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسم) قال": لا أزال أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلاّ الله ، فإذا قالوا لا إله إلاّ الله ، فقد عصموا منّى دماءهم وأموالهم إلاّ بحقّها وحسابهم على الله. " قال الشافعى: فأعْلَمَ رسول الله : إنّ فرض الله أن يقاتلهم حتى يظهروا أن لا إله إلاّ الله ، فإذا فعلوا منعوا دماءهم وأموالهم إلاّ بحقّها، يعنى بما يحكم الله عليهم فيها وحسابهم على الله بصدقهم وكذبهم وسرائرهم، الله العالم بسرائرهم، المتولّى الحكم عليهم دون أنبيائه وحكّام خلقه، وبذلك مضت أحكام رسول الله فيما بين العباد من الحدود وجميع الحقوق، وأعلمهم أنّ جميع

---

۱ . البخارى: الصحيح: ۱|۱۰، كتاب الإيمان، وصحيح مسلم: ۷|۱۷، باب فضائل على ـ عليه السلام ـ

(۲۰)

أحكامه على مايظهرون وأنّ الله يدين بالسرائر (۱). روى الصدوق بسند صحيح قال: قلت لأبى عبدالله ـ عليه السلام ـ (الإمام الصادق) : ما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً؟ قال": يشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله، ويقرّ بالطاعة ويعرف إمام زمانه، فإذا فعل ذلك فهو مؤمن ("۲). وقد استدلّ الإمام علىّ ـ عليه السلام ـ على خطأ الخوارج فى رمى مرتكب الكبيرة بالكفر بفعل رسول الله وأنّه (صلى الله عليه وآله وسم) كان يعامل معهم معاملة المؤمن. وقال": وقد علمتم أنّ رسول الله رجم الزانى ثم صلّى عليه، ثم ورّثه أهله، وقتل القاتل وورّث تراثه أهله، وقطع السارق، وجلد الزانى غير المحصن ثم قسّم عليهما من الفىَ. فأخذهم رسول الله بذنوبهم، وأقام حقّ الله فيهم ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام ولم يخرج أسماءهم من بين أهله ("۳). فبما أنّ بعض السطحيين ربّما يرمون أصحاب هذا القول بالإرجاء ـ وأين هو من الإرجاء ـ نزيد فى المقام بياناً ونقول: إنّ كون القلب مركزاً للإيمان وخروج العمل عن كونه عنصراً مقوّماً له، لا يعنى أن التصديق القلبى يكفى فى نجاة الإنسان فى الحياة الأُخروية بل يهدف إلى أنّه يكفى فى خروج الإنسان عن زمرة الكافرين الذين لهم خصائص وأحكام ـ التصديق القلبى ـ فيحرم دمه وماله وتحلّ ذبيحته وتصحّ مناكحته، إلى غير ذلك من الأحكام التى تترتب على التصديق القلبى إذا أظهره بلسانه أو وقف عليه الغير بطريق من الطرق، وأمّا كون

---

۱ . الشافعى: الأُم: ۱|۱۵۸ ـ ۱۵۹.

۲ . المجلسى: البحار: ۶۶|۱۶، كتاب الإيمان والكفر، نقلاً عن معانى الأخبار للصدوق.

۳ . نهج البلاغة الخطبة: ۱۲۵.

ذلك موجباً للنجاة يوم الحساب فلا، فإنّ للنجاة فى الحياة الأُخروية شرائط أُخرى تكفّل ببيانها الذكر الحكيم والسنّة الكريمة.

وبذلك يفترق عن قول المرجئة الذين اكتفوا بالتصديق القلبى أو اللسانى واستغنوا عن العمل، وبعبارة أُخرى قدّموا الإيمان وأخّروا العمل، فهذه الطائفة من أكثر الطوائف خطراً على الإسلام وأهله، لأنّهم بإذاعة هذا التفكير بين الشباب، يدعونهم إلى الإباحية والتجرّد عن الأخلاق والمثل العليا ويعتقدون أنّ الوعيد خاص بالكفار دون المؤمنين، فالجحيم ونارها ولهيبها لهم دون المسلمين، ومعنى أنّه يكفى فى النجاة الإيمان المجرّد عن العمل، وأىّ خطر أعظم من ذلك؟ وعلى ضوء ذلك يظهر المراد ممّا رواه البخارى عن عبد الله بن عمر: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسم") : شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم شهر رمضان ("۱)فإنّ المراد من الإسلام، ليس هو الإسلام المقابل للإيمان فى قوله سبحانه: (قَالَتِ الأَعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ولكنْ قُولُوا أسلَمْنا ولَمّا يَدْخُلِ الإيمانُ فى قُلُوبِكُمْ)(الحجرات ـ ۱۴) ولا الإسلام والإيمان بأقلّ درجاتهما الذى له أحكام خاصة، بل الإيمان المُنْجى لصاحبه من العذاب الأليم، وهذا لا يضرّ بما قلنا من أنّ مقوّم الإيمان، هو العقيدة القلبية وذلك لأنّ المقصود هناك من الاكتفاء بالتصديق بشرط الإقرار هو الإيمان الذى يصون دم المقر وماله وعرضه، لا الإيمان المنجى فى الآخرة، إذ هو كما فى الرواية يتوقّف على العمل. وإليه ينظر ما روى عن الإمام الصادق من أنّ الإسلام يحقن به الدم وتوَدّى به الأمانة، ويستحلّ به الفرج، والثواب على الإيمان .(۲)

وحصيلة الكلام: أنّ كون التصديق القلبى مقياساً للإيمان، غير القول بأنّ

---

۱ . البخارى: الصحيح: ۱|۶، كتاب الإيمان، الباب الثانى، ولاحظ أيضاً ص۱۶ باب أداء الخمس.

۲ . البرقى: المحاسن: ۱|۲۸۵.

التصديق القولى أو القلبى المجرّدين عن العمل كاف للنجاة، ولأجل ذلك تركّز الآيات على العمل بعد الإيمان وتقول: (إنّ الَّذين

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ أولئكَ هُمْ خَيْرُ البَرّيةِ) (البيّنة ـ ۷) وقال تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ وهُوَ مُؤمِنٌ)(طه ـ ۱۱۲) وقال تعالى: (يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا اتَّقوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصّادقين)(التوبة ـ ۱۱۹) فلو كان العمل عنصراً مقوّماً للإيمان فما معنى الأمر بالتقوى بعد فرض الإيمان لأنّه يكون أشبه بطلب الأمر الموجود وتحصيل الحاصل. ولا تنس ما ذكره الإمام الشافعي من أنّ الله يعامل بالسرائر وعباده يعاملون بما يظهر من الإنسان من الإقرار الكاشف عن التصديق، وربّما لا يكون كذلك. إكمال نقل الفريقان عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسم) أنّه قال": لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن. ("۱) وروى عبيد بن زرارة قال: دخل ابن قيس الماصر، وعمر بن ذرّ ـ وأظن معهما أبو حنيفة ـ على أبى جعفر ـ عليه السلام ـ فتكلّم ابن قيس الماصر فقال: إنّا لا ـ نخرج أهل دعوتنا وأهل ملتنا من الإيمان فى المعاصى والذنوب، قال: فقال له أبو جعفر ـ عليه السلام ـ : يابن قيس أمّا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسم) فقد قال": لا ـ يزنى الزانى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن. ("۲) وقد تضافر عن أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ انّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسم) قال": إنّ الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان." (۳) وروى عن أئمة أهل البيت نظير هذا فعن أبى الصلت الهروى قال: سألت

---

۱ . النسائى: السنن: ۸|۶۴ كتاب قطع السارق، الكلينى: الكافى: ۵|۱۲۳ ح۴.

۲ . الكلينى: الكافى: ۲|۲۸۵ ح۲۲.

۳ . الصدوق: الخصال: ۱|۱۷۹ ح۲۴۱.

۴ . الصدوق: الخصال: ۱|۱۷۸ ح ۲۴۰.

الرضا ـ عليه السلام ـ عن الإيمان؟ فقال": الإيمان عقد بالقلب، ولفظ باللسان، وعمل بالجوارح، لا يكون الإيمان إلّا هكذا ("۴). وعلى ضوء هذا، فكيف نعدّ مرتكب الكبائر مؤمناً ولا ـ نعدّ العمل ركناً للإيمان؟ هذا هو السؤال وأمّا الجواب فالتأمل والإمعان فى الآيات والروايات يثبت أنّ للإيمان إطلاقات ولكل إطلاق فائدة وثمرة نشير إليها: الأوّل: الاعتقاد بالأصول الحقّة والعقائدالصحيحة الذى يترتب عليه فى الدنيا، الأمانُ من القتل ونهب الأموال، والأمانة إلّا أن يأتى بقتل أو فاحشة يوجب القتل أو الجلد أو التعزير. وأمّا فى الآخرة فيترتب عليه صحة أعماله واستحقاق الثواب عليها وعدم الخلود فى النار، واستحقاق العفو والشفاعة، ويقابله الكفر. وعلى هذا الإطلاق فمرتكب الكبيرة مؤمن وإن زنى وإن سرق. الثانى: الاعتقاد الصحيح مع الإتيان بالفرائض التى ظهر وجوبها من القرآن وترك الكبائر التى أوعد الله عليها، وعلى هذا أطلق الكافر على تارك الصلاة، وتارك الزكاة وأشباههم وعليه يحمل قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسم") : لا يزنى الزانى وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن "وعليه يحمل قولهم: الإيمان عقد بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، وثمرة هذا الإيمان عدم استحقاق الإذلال والإهانة والعذاب فى الدنيا والآخرة. الثالث: الاعتقاد الصحيح مع فعل جميع الواجبات وترك جميع المحرّمات، وثمرته، اللحوق بالمقرّبين، والحشر مع الصدّيقين وتضاف المثوبات ورفع الدرجات.

(۲۴) الرابع: هذا القسم مع ضم فعل المندوبات وترك المكروهات بل المباحات كما ورد فى إجبار صفات المؤمن وبهذا المعنى يختص بالأنبياء والأوصياء. وبه يفسّر قوله سبحانه: (وَمَا أكثَرُ النّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ... * وَمَا يُؤْمِنُ أكْثَرُهُم بِاللهِ إلاّ ـ وَهُم مُشْرِكُون)(يوسف ۱۰۳ ـ ۱۰۶) وعلى هذا فجميع المعاصى بل التوسل بغيره تعالى يكون داخلاً فى الترك المذكور فى الآية وثمرة هذا الإيمان أنّه يؤمن على الله فيجيز أمانه، وأنّه لا يردّ دعاءه وسائر ماورد فى درجاتهم ومنازلهم عند الله . وعلى ضوء هذا انّ الآيات والأخبار الدالة على دخول الأعمال فى الإيمان يحتمل وجوهاً: ۱ ـ أن يحمل على ظواهرها ويقال إنّ العمل داخل فى حقيقة الإيمان على بعض المعانى. ۲ ـ أن يكون الإيمان هو نفس العقيدة لكن مشروطاً بالأعمال فيكون العمل شرطاً لاشطراً. ۳ ـ أن يكون للإيمان درجات تختلف شدة وضعفاً وتكون الأعمال كثرة وقلّة كاشفة عن حصول كل مرتبة من تلك المراتب (۱). ولأجل إكمال البحث

وإيضاح الحقيقة نرجع إلى ما استدل به القائل": بأنّ العمل جزء من الإيمان "حتى تتجلّى الحقيقة بأجلى مظاهرها، وتعلم صحة ما ذكرنا من المحامل الثلاثة الآنفة الذكر.

---

۱ . المجلسى: البحار: ۶۹|۱۲۷ ـ ۱۲۸.

(۲۵)

حجة القائل بأنّ العمل جزء من الايمان ؟ احتجّ القائل بأنّ العمل جزء من الإيمان بآيات : ۱ ـ قوله سبحانه: (هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمَانِهِمْ) (الفتح | ۴). ولو كانت حقيقة الإيمان هى التّصديق، لما قبل الزيادة والنقيصة، لاَنّ التصديق أمره دائر بين الوجود والعدم. وهذا بخلاف ما لو كان العمل جزءاً من الإيمان. فعندئذ يزيد وينقص حسب زيادة العمل ونقيصته. والزيادة لا تكون إلاّ فى كمّية عدد لا فى ما سواه، ولا عدد للاعتقاد ولا كمّية له (۱).

يلاحظ عليه: أنّ الإيمان بمعنى الإذعان أمر مقول بالتّشكيك. فاليقين مراتب، فيقين الإنسان بأنّ الاثنين نصف الاَربع، يفارق يقينه فى الشدّة والظهور، بأنّ نور القمر مستفاد من الشّمس ، كما أنّ يقينه الثانى، يختلف عن يقينه بأنّ كلّ ممكن فهو زوج تركيبى له ماهيّة ووجود، وهكذا يتنزّل اليقين من القوّة إلى الضّعف، إلى أن يصل إلى أضعف مراتبه الّذى لو تجاوز عنه لزال وصف اليقين، ووصل إلى حدّ الظنّ ، وله أيضاً مثل اليقين درجات ومراتب، ويقين الإنسان بالقيامة ومشاهدها فى هذه النشأة ليس كيقينه بعد الحشر والنشر، ومشاهدتها بأُمّ العين. قال سبحانه: (لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَومَ حَدِيد) (ق | ۲۲) فمن ادّعى بأنّ أمر الإيمان بمعنى التّصديق والإذعان، دائر بين الوجود والعدم، فقد غفل عن حقيقته ومراتبه. فهل يصحّ لنا أن ندّعى أنّ إيمان الاَنبياء بعالم الغيب، كإيمان الإنسان العادى، مع أنّ مصونيّتهم من العصيان والعدوان رهن علمهم بآثار المعاصى وعواقبه، الّذى يصدّهم عن اقتراف المعاصى وارتكاب الموبقات. فلو كان إذعانهم كإذعان سائر الناس، لما تميّزوا بالعصمة عن المعصية. وما ذكره من أنّ الزيادة تستعمل فى كمّية العدد

---

۱ . الفصل: ۳ | ۱۹۴ .

(۲۶)

منقوض بآيات كثيرة استعملت الزيادة فيها فى غير زيادة الكمّية. قال سبحانه: (وَيَخِرُّونَ لِلاَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً) (الإسراء | ۱۰۹). وقال: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـذَا الْقُرآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إلاّ نُفُوراً) (الإسراء | ۴۱). والمراد شدّة خشوعهم ونفورهم، لا كثرة عددهم ، إلى غير ذلك من الآيات الّتى استعمل فيها ذلك اللّفظ فى القوّة والشدّة لا الكثرة العدديّة. ۲ ـ قوله سبحانه: (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) (البقرة | ۱۴۳) وإنّما عنى بذلك صلاتهم إلى بيت المقدس قبل أن تنسخ بالصّلاة إلى الكعبة. يلاحظ عليه: أنّ الاستعمال أعمّ من الحقيقة، ولا نشكّ فى أنّ العمل أثر للإذعان وردّ فعل له، ومن الممكن أن يطلق السبب ويراد به المسبّب. إنّما الكلام فى أنّ الإيمان لغةً وكتاباً موضوع لشىء جزؤه العمل وهذا ممّا لا يثبته الاستعمال. أضف إليه أنّه لو أخذنا بظاهرها الحرفى، لزم أن يكون العمل نفس الايمان لا جزءاً منه، ولم يقل به أحد. ۳ ـ قوله سبحانه: (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً ممّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) (النساء | ۶۵). أقسم سبحانه بنفسه أنّهم لا يؤمنون إلاّ بتحكيم النّبى" صلى الله عليه وآله وسلم "والتسليم بالقلب وعدم وجدان الحرج فى قضائه. والتحكيم غير التصديق والتسليم، بل هو عمل خارجى. يلاحظ عليه: أنّ المنافقين ـ كما ورد فى شأن نزول الآية ـ كانوا يتركون النّبى" صلى الله عليه وآله وسلم "ويرجعون فى دعاويهم إلى الاَخبار و ـ مع ذلك ـ كانوا يدّعون الإيمان بمعنى الإذعان والتسليم للنّبى" صلى الله عليه وآله وسلم "فنزلت الآية لا يقبل منهم ذلك الإدّعاء حتّى يرى أثره فى حياتهم وهو تحكيم النبىّ" صلى الله عليه وآله وسلم "فى المرافعات ، والتسليم العملى أمام قضائه، وعدم إحساسهم

بالحرج ممّا قضى. وهذا ظاهر متبادر من الآية وشأن نزولها. فمعنى قوله سبحانه: (فلا وربّك لا يؤمنون) ، أنّه

(۲۷)

لا يقبل ادّعاء الإيمان منهم إلّا عن ذلك الطّريق. وبعبارة ثانية ؛ إنّ الآية وردت فى سياق الآيات الآمرة بإطاعة النّبى" صلى الله عليه وآله وسلم "قال سبحانه: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ) (النساء | ۶۴) والمنافقون كانوا يدّعون الايمان، وفى الوقت نفسه كانوا يتحاكمون إلى الطّاغوت. فنزلت الآية ، وأعلنت أنّ مجرّد التصديق لساناً ليس إيماناً. بل الإيمان تسليم تامّ باطنى وظاهرى. فلا يستكشف ذلك التسليم التامّ، إلاّ بالتسليم للرّسول ظاهراً، وعدم التحرّج من حكم الرّسول باطناً، وآية ذلك ترك الرُّجوع إلى الطّاغوت ورفع النزاع إلى النّبى ، وقبول حكمه بلا حرج. فأين هو من كون نفس التحكيم جزءاً من الإيمان ؟ ۴ ـ قوله سبحانه: (وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ) (آل عمران | ۹۷) سمّى سبحانه تارك الحجّ كافراً. يلاحظ عليه: أنّ المراد إمّا كفران النّعمة وأنّ ترك المأمور به كفران لنعمة الآمر، أو كفر الملة لأجل جحد وجوبه. ۵ ـ قوله سبحانه: (وَمَا أُمِرُوا إِلّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلوةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَوةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ) (البيّنة | ۵). والمشار إليه بلفظة «ذلك» جميع ما جاء بعد «إلّا» من إقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة، فدلّت هذه الآية على دخول العبادات فى ماهية الدين. والمراد من الدّين، هو الإسلام لقوله سبحانه: (إنّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإسلام) (آل عمران | ۱۹). وعلى ضوء هذا، فالعبادات داخلة فى الدّين حسب الآية الأُولى ، والمراد من الدين هو الإسلام حسب الآية الثانية، فيثبت أنّ العبادات داخلة فى الإسلام، وقد دلّ الدّليل على وحدة الإسلام والإيمان وذلك بوجوه : الف ـ الإسلام هو المبتغى لقوله: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ

(۲۸)

مِنْهُ) (آل عمران | ۸۵) والإيمان أيضاً هو المبتغى ، فيكون الإسلام والإيمان متّحدين. ب ـ قوله سبحانه: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (الحجرات | ۱۷) فجعل الإسلام مرادفاً للإيمان . ج ـ قوله سبحانه: (فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ المؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَبَيْتٍ مِنَ المُسْلِمِينَ) (الذاريات | ۳۵ ـ ۳۶) وقد أُريد من المؤمنين والمسلمين معنى واحداً، فهذه الآيات تدل على وحدة الإسلام والايمان. فإذا كانت الطّاعات داخلة فى الإسلام فتكون داخلة فى الإيمان أيضاً لحديث الوحدة(۱). يلاحظ عليه أوّلاً: أنّه من المحتمل قوياً أن يكون المشار إليه فى قوله: (وذلك دين القيّمة) هو الجملة الأُولى بعد (إلّا) أعنى: (ليعبدوا الله مخلصين له الدّين) لا جميع ما وقع بعدها من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والمراد من قوله (ليعبدوا الله مخلصين له الدين) هو إخلاص العبادة لله ، كإخلاص الطّاعة (۲)، والشّاهد على ذلك قوله سبحانه: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِى فَطَرِ الناسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذلِكَ الدّينُ القَيِّمُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (الروم | ۳۰). فإنّ وزان قوله: (ذلك الدّين القيّم) وزان قوله (ذلك دين القيّمة) والمشار إليه فى الجملة الأُولى هو الدّين الحنيف الخالص عن الشرك، بإخلاص العباد والطّاعة له سبحانه . ثانياً: يمنع كون العبادات داخلة فى الإسلام حتّى فى قوله سبحانه: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإسلام) وقوله تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسلامِ دِيناً...) لأنّ المراد منه هو التّسليم أمام الله وتشريعاته، بإخلاص العبادة والطّاعة له فى مقام العمل

---

۱ . الفصل: ۳ | ۲۳۴ ، والبحار: ۶۶ | ۱۶ ـ ۱۷ .

۲ . المراد من الدين فى قوله: (مخلصين له الدين) هو الطاعة .

(۲۹)

دون غيره من الأوثان والأصنام، وبهذا المعنى سمّى إبراهيم «مسلماً» فى قوله تعالى: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً ولا نَصْرانِياً وَلكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ) (آل عمران | ۶۷) وبهذا المعنى طلب يوسف من ربّه أن يميته مسلماً قال سبحانه حكاية عنه: (تَوَفَّنِى مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِى بِالصّالِحِينَ) (يوسف | ۱۰۱) إلى غير ذلك من الآيات الواردة حول إخلاص العبادة له، والتجنّب من الشّرك،

فلو فرض أنّ العبادة داخلة فى مفهوم الدّين، فلا دليل على دخولها فى مفهوم الإسلام. ثالثاً: نمنع كون الإسلام والإيمان بمعنى واحد، فالظّاهر من الذّكر الحكيم اختلافهما مفهوماً. قال سبحانه: (قَالَتِ الاَعْرَابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلِكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمّا يَدْخُلِ الإيمَانُ فِي قُلوبِكُمْ) (الحجرات | ۱۳) فلو استعمل الإسلام أو المسلمين وأُريد منهما الإيمان والمؤمنين فى مورد أو موردين، فهو لوجود قرينة تدلّ على أنّ المراد من العامّ هو الخاصّ. إلى غير ذلك من الآيات الّتى جمعها ابن حزم فى «الفصل »(۱) ولا دلالة فيها على ما يرتئيه، والاستدلال بهذه الآيات يدلّ على أنّ الرّجل ظاهرىّ المذهب إلى النّهاية يتعبّد بحرفيّة الظواهر، ولا يتأمّل فى القرائن الحافّة بالكلام وأسباب النّزول. نعم هناك روايات عن أئمّة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ تعرب عن كون العمل جزءاً من الإيمان وإليك بعضها : ۱ ـ روى الكراجكى عن الصّادق أنّه قال: «ملعون ملعون من قال: الإيمان قول بلا عمل» (۲). ۲ ـ روى الكلينى عن أبى جعفر الباقر ـ عليه السلام ـ قال: «قيل لأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ:

---

۱ . الفصل ـ بكسر الفاء وفتح الصاد ـ: بمعنى النخلة المنقولة من محلّها إلى محلّ آخر لتثمر، كقصعة وقصع.

۲ . البحار: ۶۹ | ۱۹ ، الحديث ۱ .

(۳۰)

من شهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله كانمؤمناً؟ قال: فأين فرائض الله؟ قال: وسمعته يقول: كان علىّ ـ عليه السلام ـ يقول: لو كان الإيمان كلاماً لم ينزل فيه صوم، ولا صلاة، ولا حلال، ولا حرام، قال: وقلت لأبى جعفر ـ عليه السلام ـ: إنّ عندنا قوماً يقولون: إذا شهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله فهو مؤمن قال: فلم يضربون الحدود؟ ولم تقطع أيديهم؟ وما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً أكرم على الله عزّ وجلّ من المؤمن، لأنّ الملائكة خدّام المؤمنين وأنّ جوار الله للمؤمنين، وأنّ الجنّة للمؤمنين، وأنّ الحور العين للمؤمنين، ثمّ قال: فما بال من جحد الفرائض كان كافراً» (۱) والمراد من «جحد الفرائض» تركها عمداً بلا عذر، لا جحدها قلباً وإلّا لما صلح للاستدلال . ۳ ـ روى الكلينى عن محمّد بن حكيم قال: قلت لأبى الحسن ـ عليه السلام ـ: الكبائر تخرج من الإيمان؟ فقال: نعم وما دون الكبائر، قال رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم : "لا يزنى الزانى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن(۲) ۴ ـ وروى أيضاً عن عبيد بن زرارة قال: دخل ابن قيس الماصر وعمر بن ذرّ ـ وأظنّ معهما أبو حنيفة ـ على أبى جعفر ـ عليه السلام ـ فتكلّم ابن قيس الماصر فقال: إنّا لا نخرج أهل دعوتنا وأهل ملّتنا من الإيمان فى المعاصى والذنوب. قال: فقال له أبو جعفر ـ عليه السلام ـ: «يا ابن قيس أمّا رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم "فقد قال: لا يزنى الزانى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن، فاذهب أنت وأصحابك حيث شئت» (۳) ۵ ـ وعن الرضا عن آبائه ـ صلوات الله عليهم ـ قال: «قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: الايمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان وعمل بالأركان»(۴). _____

۱ . الكافى: ۲ | ۳۳ ، الحديث ۲ ، والبحار: ۶۶ | ۱۹، الحديث ۲ .

۲ . الكافى: ۲ | ۲۸۴ ـ ۲۸۵ ، الحديث ۲۱ .

۳ . الكافى: ۲ | ۲۸۵ ، الحديث ۲۲ .

۴ . عيون أخبار الرضا: ۱ | ۲۲۶ .

(۳۱) إلى غير ذلك من الرّوايات الّتى جمعها العلّامة المجلسى ـ قدس سره ـ: فيى بحاره، باب «الإيمان مبثوث على الجوارح »(۱). أقول :الظّاهر أنّها وردت لغاية ردّ المرجئة الّتى تكتفى فى الحياة الدينية بالقول والمعرفة، وتؤخّر العمل وترجو رحمته وغفرانه مع عدم القيام بالوظائف، وقد تضافر عن أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ لعن المرجئة. روى الكلينى عن الصادق ـ عليه السلام ـ أنّه قال: «لعن الله القدريّة ، لعن الله الخوارج، لعن الله المرجئة، لعن الله المرجئة» ، فقلت: لعنت هؤلاء مرّة مرّة ولعنت هؤلاء مرّتين؟ قال: «إنّ هؤلاء يقولون: إنّ قَتَلَتنا مؤمنون، فدماؤنا متلطّخة بثيابهم إلى يوم القيامة. إنّ الله حكى عن قوم فى كتابه: (أَلاّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ

تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُموهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) قال: كان بين القاتلين والقائلين خمسمائة عام فألزمهم الله القتل برضاهم ما فعلوا» (۲) وروى أيضاً عن أبى مسروق قال: سألنى أبو عبد الله ـ عليه السلام ـ عن أهل البصرة ما هم؟ فقلت: مرجئة وقدريّة وحروريّة، قال: «لعن الله تلك الملل الكافرة المشركة الّتى لا تعبد الله على شيء»(۳) إلى غير ذلك من الرّوايات الواردة فى ذمّ هذه الفرقة الّتى كانت تثير روح العصيان والتمرّد على الأخلاق والمثل بين الشباب، وتحرّضهم على اقتراف الذنوب والمعاصى رجاء المغفرة. والّذى يظهر من ملاحظة مجموع الأدلّة، هو أنّ الإيمان ذو مراتب ودرجات، ولكل أثره الخاصّ. ۱ ـ مجرّد التصديق بالعقائد الحقّة، وقد عرفت ثمرته وهى حرمة دمه وعرضه

---

۱ . بحار الأنوار: ۶۹ الباب ۳۰ من كتاب الكفر والإيمان: ۱۸ ـ ۱۴۹ .

۲ . الكافى: ۲ | ۴۰۹ ، الحديث ۱. والآية ۱۸۳ من سورة آل عمران .

۳ . الكافى: ۲ | ۴۰۹ ، الحديث ۲ .

(۳۲)

وماله ، وبه يناط صحّة الأعمال واستحقاق الثّواب، وعدم الخلود فى النار، واستحقاق العفو والشفاعة . ۲ ـ التصديق بها مع الاتيان بالفرائض الّتى ثبت وجوبها بالدّليل القطعى كالقرآن، وترك الكبائر الّتى أوعد الله عليها النّار، وبهذا المعنى أطلق الكافر على تارك الصلاة، ومانع الزّكاة ، وتارك الحجّ، وعليه ورد قوله" صلى الله عليه وآله وسلم : «"لا يزنى الزانى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن» وثمرة هذا الإيمان عدم استحقاق الإذلال والإهانة والعذاب فى الدنيا والآخرة. ۳ ـ التصديق بها مع القيام بفعل جميع الواجبات وترك جميع المحرّمات. وثمرته اللّحوق بالمقرّبين، والحشر مع الصّديقين وتضاعف المثوبات، ورفع الدّرجات. ۴ ـ نفس ما ذكر فى الدّرجة الثالثة لكن بإضافة القيام بفعل المندوبات، وترك المكروهات، بل بعض المباحات، وهذا يختصّ بالأنبياء والأوصياء (۱) ويعرب عن كون الإيمان ذا درجات ومراتب، ما رواه الكلينى عن أبى عمرو الزبيرى عن أبى عبد الله ـ عليه السلام ـ فى حديث قال: «قلت: ألا ـ تخبرنى عن الإيمان؟ أقول هو وعمل، أم قول بلا عمل؟ فقال: الإيمان عمل كلّه، والقول بعض ذلك العمل، بفرض من الله بيّن فى كتابه، واضح نوره، ثابتة حجّته، يشهد له به الكتاب، ويدعوه إليه ، قال: صفه لى جعلت فداك حتّى أفهمه، قال: الإيمان حالات ودرجات وطبقات، ومنازل: فمنه التامّ المنتهى تمامه، ومنه النّاقص البيّن نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه. قلت: إن الإيمان ليتمّ وينقص ويزيد؟ قال: نعم، قلت: كيف ذلك؟ قال: لأنّ الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسّمه عليها وفرّقه فيها، فليس من جوارحه جارحة إلّا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أُختها.. »(۲).

---

۱ . البحار: ۶۹ | ۱۲۶ ـ ۱۲۷ .

۲ . البحار: ۶۹ | ۲۳ ـ ۲۴ ، لاحظ تمام الرواية وقد شرحها العلاّمة المجلسى .

(۳۳)

ويعرب عنه أيضاً ما رواه الصدوق عن أبى عبد الله ـ عليه السلام ـ قال: «قال رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم "ليس الإيمان بالتحلّى ، ولا بالتمنّى، ولكنّ الإيمان ما خلص فى القلب، وصدّقه الأعمال »(۱). والمراد بالتحلّى التزيّن بالأعمال من غير يقين بالقلب، كما أنّ المراد من التمنّى هو تمنّى النجاة بمحض العقائد من غير عمل. وفى ما رواه النّعمانى فى كتاب القرآن عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ شواهد على ذلك التقسيم (۲) خاتمة المطاف: إنّ البحث فى أنّ العمل هل هو داخل فى الإيمان أم لا، وإن كان مهمّاً قابلاً للمعالجة فى ضوء الكتاب والسنّة، كما عالجناه، إلّا أنّ للبحث وجهاً آخر لا تقلّ أهميته عن الوجه الأوّل وهو تحديد موضوع ما نطلبه من الآثار. فإذا دلّ الدليل على أنّ الموضوع لهذا الأثر أو لهذه الآثار هو نفس الاعتقاد الجازم، أو هو مع العمل، يجب علينا أن نتّبعه

سواء أصدق الإيمان على المجرّد أم لا؟ سواء كان العمل عنصراً مقوّماً أم لا؟ مثلاً؛ إنّ حقن الدماء وحرمة الأعراض والأموال يترتّب على الإقرار باللسان سواء أكان مذعناً فى القلب أم لا، ما لم تعلم مخالفة اللسان مع الجنان. ولأجل ذلك نرى أنّ كلّ عربىّ وعجمىّ وأعرابىّ وقروىّ أقرّ بالشهادتين عند الرسول الأكرم" صلى الله عليه وآله وسلم "حكم عليه بحقن دمه واحترام ماله. قال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: «أُمرت أن أُقاتل النّاس حتّى يقولوا لا إله إلاّ الله ، فإذا قالوها فقد حرم علىّ دماؤهم وأموالهم» (۳)

---

۱ . البحار: ۶۹ | ۷۲ ، نقلاً عن معانى الأخبار: ۱۸۷ .

۲ . البحار: ۶۹ | ۷۳ ـ ۷۴ ، نقلاً عن تفسير النعمانى.

۳ . بحار الأنوار: ۶۸ | ۲۴۲ .

فهذه الآثار لا تتطلّب أزيد من الإقرار باللّسان ما لم تعلم مخالفته للجنان، سواء أصحّ كونه مؤمناً أم لا. وأمّا غير هذه من الآثار الّتى نعبّر عنه بالسعادة الأُخروية فلا شكّ أنّها رهن العمل، وأنّ مجرّد الاعتقاد والإقرار باللسان لا يسمن ولا يغنى من جوع. وهذا يظهر بالرجوع إلى الكتاب والسنّة. قال سبحانه: (إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ) (الحجرات | ۱۵). نرى أنّه ينفى الإيمان عن غير العامل. وما هذا إلاّ لأنّ المراد منه، الإيمان المؤثّر فى السعادة الأُخرويّة ، وقال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: «لأنسبنّ الإسلام نسبةً لم ينسبها أحد قبلى، الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء والأداء هو العمل» (۱) فالإمام ـ عليه السلام ـ بصدد بيان الإسلام الناجع فى الحياة الأُخرويـة، ولأجل ذلك فسّره نهايةً بالعمل. ولكنّ الإسلام الّذى ينسلك به الإنسان فى عداد المسلمين، ويحكم له وعليه ظاهراً ما يحكم للسائرين من المسلمين، تكفى فيه الشهادة باللّفظ ما لم تعلم المخالفة بالقلب، وعلى ذلك جرت سيرة النّبى" صلى الله عليه وآله وسلم "وأصحابه . فلو أوصلّنا السبر والدقّة إلى تحديد الإيمان فهو المطلوب، وإلاّ فالمهمّ هو النّظر إلى الآثار المطلوبة وتحديد موضوعاتها حسب الأدلة سواء أصدق عليه الإيمان أم لا ، سواء أدخل العمل فى حقيقته أم لا كما تقدّم. هذا ما ذكرناه هنا عجالة، وسوف نميط السّتر عن وجه الحقيقة عند البحث عن الجهة الرابعة والخامسة.

---

۱ . نهج البلاغة: قسم الحكم ، الرقم ۱۲۵ .

الجهة الثالثة:

الجهة الثالثة: فى زيادة الإيمان ونقصانه من المسائل المتفرّعة على تفسير الإيمان بالتصديق وحده أو به منضمّاً إلى العمل، قابليّته للزيادة والنقيصة، فقد اشتهر بين الجمهور أنّه لو فُسّر بنفس التصديق، فلا يقبل الزيادة والنقيصة، بخلاف ما لو فسّر بالثانى فيزيد وينقص. ۱ ـ قال الرازى: الإيمان عندنا لا يزيد ولا ينقص، لأنّه لما كان اسماً لتصديق الرسول فى كل ما علم بالضرورة مجيئه به، وهذا لا يقبل التفاوت فسمىّ الإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان، وعند المعتزلة لما كان اسماً لأداء العبادات كان قابلاً لهما، وعند السلف لما كان اسماً للإقرار والاعتقاد والعمل فكذلك، والبحث لغوى ولكلّ واحد من الفرق نصوص، والتوفيق أن يقال: الأعمال من ثمرات التصديق، فما دلّ على أنّ الإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان كان مصروفاً إلى أصل الإيمان. وما دل على كونه قابلاً لها فهو مصروف إلى الإيمان الكامل. ۲ ـ وقال التفتازانى: ظاهر الكتاب والسنّة وهو مذهب الأشاعرة والمعتزلة والمحكى عن الشافعى وكثير من العلماء، أنّ الإيمان يزيد وينقص، وعند أبى حنيفة وأصحابه وكثير من العلماء ـ وهو اختيار إمام الحرمين ـ أنّه لا يزيد ولا ينقص، لأنّه اسم

للتصديق البالغ حدّ الجزم والاِذعان، ولا تتصور فيه الزيادة والنقصان، والمصدّق إذا ضمّ الطاعات إليه أو ارتكب المعاصى، فتصديقه بحاله

(۳۶)

لم يتغيّر أصلاً ، وإنّما يتفاوت إذا كان اسماً للطاعات المتفاوتة قلّة وكثرة، ولهذا قال الاِمام الرازى وغيره: إنّ هذا الخلاف فرع تفسير الاِيمان. فإن قلنا: هو التصديق، فلا يتفاوت، وإن قلنا: هو الاَعمال فمتفاوت.وقال إمام الحرمين: إذا حملنا الاِيمان على التصديق فلا يُفضّلُ تصديقٌ تصديقاً كما لا يُفَضَّل علم علماً، ومن حمله على الطاعة سرّاً وعلناً ـ وقد مال إليه القلانسى ـ فلا يبعد إطلاق القول بأنّه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ونحن لا نوَثر هذا. ثم قال: ولقائل أن يقول: لا نسلّم أنّ التصديق لا يتفاوت، بل يتفاوت قوّة وضعفاً، كما فى التصديق بطلوع الشمس، والتصديق بحدوث العالم، لاَنّه إمّا نفس الاعتقاد القابل للتفاوت، أو مبنىّ عليه، وقلّة وكثرة، كما فى التصديق الاِجمالى والتفصيلى الملاحظ لبعض التفاصيل وأكثر، فإنّ ذلك من الاِيمان لكونه تصديقاً بما جاء به النبى" صلى الله عليه وآله وسلم "إجمالاً فيما علم إجمالاً، وتفصيلاً فيما علم تفصيلاً (۱). ۳ ـ قال الاِيجى: الحقّ أنّ التصديق يقبل الزيادة والنقصان وذلك بوجهين: الاَوّل: القوّة والضعف. قولكم، الواجب اليقين، والتفاوت لاحتمال النقيض قلنا: لا نسلّم أنّ التفاوت لذلك، ثم ذلك يقتضى أن يكون إيمان النبى واحاد الاُمة سواء وأنّه باطل إجماعاً، ولقول إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ولكن ليطمئنّ قلبى، والظاهر أنّ الظنّ الغالب الذى لا يخطر معه احتمال النقيض بالبال حكمه حكم اليقين. الثانى: التصديق التفصيلى فى أفراد ما علم مجيئه به جزء من الاِيمان يثاب عليه، ثوابه على تصديقه بالاِجمال، والنصوص دالّة على قبوله لهما (۲) ۴ ـ وقال زين الدين العاملى ـ قدّس سرّه ـ (۹۱۱ـ ۹۶۵هـ) فى رسالة العقائد: حقيقة الاِيمان ـ بعد الاتّصاف بها بحيث يكون المتّصف بها موَمناً عند الله تعالى ـ

---

۱ . التفتازانى: شرح المقاصد: ۵|۲۱۱ ـ ۲۱۲.

۲ . الاِيجى: المواقف: ۳۸۸.

(۳۷)

هل تقبل الزيادة أم لا ؟فقيل بالثانى لما تقدم من أنّه التصديق القلبى الذى بلغ الجزم والثبات فلا تتصوّر فيه الزيادة عن ذلك سواء أتى بالطاعات وترك المعاصى أو لا، وكذا لا تعرض له النقيصة وإلاّ لما كان ثابتاً، وقد فرضناه كذلك هذا خلف، وأيضاً حقيقة الشىء لو قبلت الزيادة والنقصان لكانت حقائق متعدّدة، وقد فرضناها واحدة وهذا خلف (۱) ۵ ـ قال السيد الرضى فى تفسير قول الاِمام: إنّ الاِيمان يبدو لُمظةً فى القلب كلّما ازداد الاِيمان ازدادت اللُمظة (۲) اللمظة مثل النكته أو نحوها من البياض، ومنه قيل فرس ألمظ اذا كان بجحفلته شىء من البياض. وقال ابن أبى الحديد: قال أبو عبيد هى لمظة بضم اللام، والمحدثون يقولون لمظة بالفتح، والمعروف من كلام العرب الضم، وقال: وفى الحديث حجّة على من أنكر أن يكون الاِيمان يزيد وينقص، والجحفلة للبهائم بمنزلة الشفة من الاِنسان. (۳) ۶ ـ اعلم أنّ المتكلّمين اختلفوا فى أنّ الاِيمان هل يقبل الزيادة والنقصان أو لا ـ ؟ ومنهم من جعل هذا الخلاف فرع الخلاف فى أنّ الاَعمال داخلة فيه أو لا، قال الرازى فى المحصّل: الاِيمان عندنا لا يزيد ولا ينقص، لاَنّه لمّا كان اسماً لتصديق الرسول فى كل ما علم بالضرورة مجيئه به، وهذا لا يقبل التفاوت فسمّى الاِيمان لا يقبل الزيادة والنقصان، وعند المعتزلة لما كان اسماً لاَداء العبادات كان قابلاً لهما، وعند السلف لمّا كان اسماً للاقرار والاعتقاد والعمل فكذلك والبحث لغوى ولكل واحد من الفرق نصوص والتوفيق أن يقال الاَعمال من ثمرات

---

۱ . زين الدين العاملى: رسالة العقائد كما فى البحار: ۶۹|۲۰۱.

۲ . ابن ابى الحديد: شرح نهج البلاغة: ۲۰|۱۱۱.

۳ . ابن ابى الحديد: شرح نهج البلاغة: ۲۰|۱۱۱.

(۳۸)

التصديق، فما دل على أنّ الإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان كان مصروفاً إلى أصل الإيمان. وما دل على كونه قابلاً لهما فهو مصروف إلى الإيمان الكامل (۱) أقول: إنّ القول بأنّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص أشبه بقول المرجئة الذين رفعوا شعار لا تضّر المعصية مع الإيمان، فاكتفوا بالتصديق وأهملوا العمل، فقالوا: إنّ إيمان واحد منّا، كإيمان جبرئيل ومحمّد (۲) ولأجل ذلك ترى أنّ المحقّقين رفضوا ذلك الأصل وقالوا بأنّه يزيد وينقص حتّى ولو فسّر بالتصديق. وذلك لأنّ للتصديق درجات ومراتب وليس تصديق الرسول كتصديق الولى، ولا تصديقهما كتصديق سائر الناس، قال سبحانه: (وإذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إيماناً)(الأنفال ـ ۲) وقال سبحانه: (إنّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إيماناً)(آل عمران ـ ۱۷۳) وقال سبحانه: (وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وما زادَهُمْ إلاّ إيماناً وتَسلِيماً)(الأحزاب ـ ۲۲) والمراد من الإيمان هو التصديق بقرينة عطف" تسليماً "عليه. إنّ الإيمان يزيد وينقص فى كلا الجانبين، أمّا من جانب العقيدة: فأين إيمان الأولياء والأنبياء بالله ورسوله من إيمان سائر الناس، وأمّا من جانب العمل، فأين إيمان من لا يعصى الله سبحانه طرفة عين بل لا يخطر بباله العصيان، من المؤمن التارك للفرائض والمرتكب للكبائر. ثم لا ننكر أنّه ربما يؤدى ترك الفرائض وركوب المعاصى مدّة طويلة إلى الإلحاد والإنكار والتكذيب والجحد، قال سبحانه: (ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الّذينَ أساءُوا السُّوأى أنْ كَذَّبُوا بِاياتِ اللهِ وكانُوا بِها يَسْتَهزِءُون)(الروم ـ ۱۰) . _____

۱ . المجلسى: البحار: ۶۹|۲۰۱.

۲ . ابن شاذان: الإيضاح: ۴۶، قال ناقلاً عنهم: إنّه إذا أقرّ بلسانه بالشهادتين أنّه مستكمل الإيمان، إيمانه كإيمان جبرئيل وميكائيل ـ صلى الله عليهما ـ فعل، ما فعل، وارتكب ما ارتكب.

(۳۹) إنّ وزان" العقيدة والعمل الصالح "وزان الجذور والسيقان فى الشجرة فكما أنّ تقوية الجذور مؤثرة فى قوة السيقان، وكمال الشجرة و جودة ثمرتها، فكذلك تهذيب السيقان ورعايتها بقطع الزوائد عنها وتشذيبها، وتعرضها لنور الشمس، مؤثرة فى قوّة الجذور، إنّها علاقة تبادلية بين العمل والعقيدة كالعلاقة التبادلية بين الجذور والسيقان. أجل ذلك هو الحال بالنسبة إلى تأثير الإيمان فى العمل، وهكذا الحال بالنسبة إلى تأثير العمل فى الاعتقاد، فإنّ الذى ينطلق فى ميدان الشهوة بلا قيد، ويمضى فى إشباع الغرائز إلى أبعد الحدود، يستحيل عليه أن يبقى محافظاً على أفكاره واعتقاداته الدينية وقيمه الروحية. إنّه كلّما ازداد توغّلاً فى المفاسد ازداد بعداً عن قيم الدين، وهى تمنعه عن المضى فى سبيله والتمادى فى عصيانه، وهكذا يتحرّر، عن تلك المعتقدات شيئاً فشيئاً وينسلخ منها وينبذها وراءه ظهريّا. وقد أشارت الآية الكريمة إلى هذه الحقيقة أيضاً. وبهذا يعتبر الفصل بين العمل والكفر، بين العقيدة والسلوك على وجه الإطلاق نظرية خاطئة ناشئة من الغفلة عن التأثير المتقابل بين هذين البعدين. ولهذا يسعى المستعمرون دائماً إلى إفساد الأجواء الاجتماعية بهدف إفساد الأخلاق والسلوك تمهيداً لتغيّر الأفكار والقضاء على المعتقدات. وعلى هذا الأساس صح التقسيم الثلاثى فى سورة الواقعة إلى السابقين وأصحاب الميمنة، وأصحاب المشئمة (۱)

۱ . الواقعة: ۷ ـ ۳۹.

(۴۰)

الجهة الرابعة:

الجهة الرابعة: فيما يجب الإيمان به إذا كان النبى الأكرم مبعوثاً من قبل الله سبحانه وموحى إليه، فيجب الإيمان بكل ما جاء به ولا يصح التبعيض بأن يُؤمَنَ ببعض ويُكفرَ ببعض، فإنّ ذلك تكذيب للوحى، غير أنّ ما جاء به النبى فى مجال المعارف والأحكام لمّا

كان واسعاً مترامى الأَطراف لا يمكن استحضاره فى الضمير ثم التصديق به، فلذلك ينقسم ما جاء به النبى إلى قسمين، قسم منه معلوم بالتفضيل كتوحيده سبحانه والحشر يوم المعاد ووجوب الصلاة والزكاة، وقسم آخر معلوم بالإجمال وهو موجود بين ثنايا الكتاب وسنّة النبى الأَكرم، فلا محيص من الإيمان بما علم تفصيلاً بالتفصيل، وبما علم إجمالاً بالإجمال، هذا هو الموافق للتحقيق وما عليه المحقّقون. قال عضد الدين الإيجى: الإيمان عندنا وعند الأَئمة كالقاضى (۱) والأُستاذ(۲): التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة فتفصيلاً فيما علم تفصيلاً، وإجمالاً فيما علم إجمالاً (۳) وقال التفتازانى: هو تصديق النبى فيما علم مجيئه به بالضرورة أى فيما

---

۱ . يريد القاضى الباقلانى (ت ۴۰۳هـ) .

۲ . يريد أبا إسحاق الاسفرائينى.

۳ . الإيجى، المواقف: ۳۸۴.

(۴۱)

اشتهر كونه من الدين بحيث يعلمه من غير افتقار إلى نظر واستدلال، كوحدة الصانع ووجوب الصلاة وحرمة الخمر ونحو ذلك، ويكفى الإجمال فيما يلاحظ إجمالاً. ويشترط التفصيل فيما يلاحظ تفصيلاً حتى لو لم يصدق بوجوب الصلاة وبحرمة الخمر عند السوَال عنهما كان كافراً، وهذا هو المشهور وعليه الجمهور (۱) وعلى ضوء ذلك نقول: إنّ الإيمان يتمثل بالاعتقاد بأُمور ويكفى فى انتفائه، انتفاء الإيمان بواحد منها شأن كل أمر مركب يوجد بوجود جميع الأَجزاء، وينتفى بانتفاء جزء منها. ما يجب الإيمان به تفصيلاً : أمّا الذى يجب الإيمان به تفصيلاً فهو عبارة عن الأُمور التالية: ۱ ـ وجوده سبحانه ـ جلّت عظمته وتقدّست ذاته ـ وتوحيده وأنّه واحد لاندّ له ولا مثل، وقد تمثّل هذا النوع من التوحيد فى سورة الإخلاص، قال سبحانه: (قُل هُو اللهُ أحدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَم يُولَدْ * وَلَم يَكُن لَهُ كُفُواً أحَدٌ) . ۲ ـ أنّه متفرّد فى الخالقية ولا خالق للعالم وما فيه إلاّ الله سبحانه، وقد أكد القرآن على ذلك أشد تأكيد، قال سبحانه: (قُلِ اللهُ خالِقُ كُلّ شَىْءٍ وَهُوَ الواحِدُ القَهّار)(الرعد ـ ۱۶) . (اللهُ خالِقُ كُلّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلّ شَىْءٍ وَكِيل)(الزمر ـ ۶۲) . (ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلّ شَىْءٍ لا إلهَ إلاّ هُو)(المؤمن ـ ۶۲) .

---

۱ . التفتازانى: شرح المقاصد: ۵|۱۲۷.

(۴۲) (ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لاَ إلـهَ إلاّ هُوَ خالِقُ كُلّ شَىءٍ فَاعبُدُوهُ)(الأنعام ـ۱۰۲). (هُوَ اللهُ الخالِقُ البارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسماءُ الحُسنى)(الحشر ـ ۲۴) . (أنّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صاحِبَةٌ وخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ)(الأنعام ـ۱۰۱). إنّ التوحيد الذاتى وأنّه سبحانه واحد لا مثيل له، وإن كان يلازم التوحيد فى الخالقية، ولكنّه لو التفت إلى فعله سبحانه، لا محيص من الاعتراف بتوحيده فى الخلق والإيجاد. ۳ ـ أنّه سبحانه: متفرّد فى الربوبية والتدبير وأنّه لا مدبر للعالم ومافيه سواه وهذا يركّز القرآن عليه فى مسير دعوته الاعتقادية ويقول: (إنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمواتِ وَالأَرضَ فِى سِتَّةِ أيام ثُمَّ استَوى عَلَى العَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمرَ ما مِنْ شَفيعٍ إلاّ مِنْ بَعْدِ إذنِهِ ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أفَلا تَذكَّرون)(يونس ـ ۳) . (اللهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها ثُمَّ استوى عَلى العَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ كُلّ يَجْرِى لاَجَلٍ مُسَمّى يُدَبِّرُ الأَمرَ يُفَصِّلُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبّكُمْ تُوقِنون)(الرعد ـ ۲) . كما نبّه بعقيدة أهل الكتاب ونددّ بها ويقول: (اتَّخَذُوا أحبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أرباباً مِنْ دُونِ الله)(التوبة ـ ۳۱) . (وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أرباباً مِنْ دُونِ الله)(آل عمران ـ ۶۴) . وبما أنّ التدبير فى التكوين فرع من الخلق بل هو شعبة من شعبه ولا ينفك عنه، ربما يكفى الإيمان بالتوحيد فى الخالقية عن الإيمان بالتوحيد فى التدبير، غير أنّ هذه الملازمة، ملازمة فلسفية، لا يلتفت إليها إلاّ العالم بأحوال الكون، والعامى الذى يرى الإيجاد، غير التدبير، لو التفت إلى التدبير، تعيّن عليه الاعتقاد بتوحيده سبحانه فيه كالإيجاد.

(۴۳) ۴ ـ كونه المستحق للعبادة فقط، ولا معبود بحق سواه وهذا هو الهدف المهم من بعث الأَنبياء، لأَنّ سلامة الفطرة تسوق الإنسان

إلى التوحيد فى الذات وإنّما تحيط به الوساوس فى توحيد العبادة ولأجله ركز الأنبياء على ذلك أكثر ممّا سواه قال سبحانه: (ولقد بَعَثنا فى كُلّ أُمَّةٍ رَسُولاً أنِ اعْبُدُوا اللهَ و اجتَنِبُوا الطّاغُوتَ)(النحل ـ ۳۶) . وقال سبحانه: (وَمَا أرْسَلْنا مِن قَبلِكَ مِن رَسُولٍ إلاّ نُوحِى إلَيْهِ أنَّهُ لا ـ إلهَ إلاّ أنا فاعبُدُونِ) (الأنبياء ـ ۲۵). وبما أنّ الإله فى قولنا": لا ـ إله إلاّ ـ الله " ليس بمعنى المعبود ـ كما هو المعروف ـ بل هو ولفظة الجلالة سيان فى المعنى غير أنّ أحدهما مفهوم كلّى والآخر علم لفرد من هذا الكلّى، يكون الاعتراف بتوحيد الإله بذلك المعنى ـ اعترافاً بأُمور أربعة: أ ـ توحيده فى ذاته ووجوده وأنّه لا ـ نظير له. ب ـ توحيده فى الخلق والإيجاد. ج ـ توحيده فى التدبير والربوبية. د ـ توحيده فى العبادة. إنَّ المراد من حصر الخلق بالله سبحانه، هو الإيجاد القائم بذاته، المستقل فى فعله، كما أنّ المراد من حصر التدبير فيه، كونه قائماً بتدبر العالم، على وجه الاستقلال، من غير أن يستعين بآخر. والخلق والتدبّر، بهذا المعنى من شؤون الإله الواجب القديم الذى لا نظير له، فلا حاجة إلى الإذعان بالثانى والثالث تفصيلاً، نعم لو التفت إلى أنّ هنا أُموراً ثلاثة: ذاته، إيجاده، وتدبيره، لم يكن محيص عن الاعتقادبالثلاثة، وأنّه منفرداً فى ذاته، وفعله وتدبيره.

(۴۴) كما أنّ العبادة من شؤون الخالقية والربوبية ومن شؤون من بيده مصير الإنسان عاجلاً وآجلاً فتوحيده فيهما، يلازم توحيده فى مجال العبودية. وبذلك يعلم سر الاقتصار بكلمة الإخلاص من مجال التوحيد إذ هى فى وحدتها، تفيد جميع المعانى والمراتب. كما يعلم أنّ الاكتفاء فى بيان ما يجب الإيمان به بتوحيد ذاته ـ فقط (۱) غير صحيح. ۵ ـ نبوة الرسول الأكرم ورسالته العالمية. قال سبحانه: (وإنْ كُنتُمْ فى رَيبٍ ممّا نَزَّلنا عَلَى عَبْدِنا فَأتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثلِهِ و ادعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إن كُنْتُم صادقين* فَإن لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النارَ التى وَقُودُها الناسُ والحِجارَةُ أُعِدَّتْ للكافِرين)(البقرة ـ ۲۳ ـ ۲۴) . ولذلك يعدّ القرآن أهل الكتاب ضالّين لعدم إيمانهم بمثل ما آمن به المؤمنون قال سبحانه: (فإنْ آمَنُوا بِمثلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهتَدَوا وإنْ تَوَلَّوا فإنّما هُم فى شِقاق) (البقرة ـ ۱۳۷) . ولمّا كان الإيمان بالتوحيد، مقروناً بالإيمان برسالة النبى الأكرم، كان الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً وشعارهم لا إله إلاّ الله ، محمد رسول الله . ۶ ـ المعاد ويوم الجزاء والاعتراف به من أركان الإيمان، وإن غفل عن ذكره أكثر المتكلّمين الباحثين فى الإيمان والكفر، ولا يتحقّق للدين بمعناه الوسيع، مفهوم، مالم يوجد فيه عنصر العقيدة بيوم المعاد ولا تّتسم العقيدة بسمة الدين إلاّ به. ولأجل ذلك قرن الإيمان به، بالإيمان بالله سبحانه فى غير واحدة من الآيات قال سبحانه: (إن كُنتُمْ تُؤمِنُونَ بالله واليَومِ الآخِر)(النساء ـ ۵۹) وقوله: (مَن كانَ مِنكُمُ يُؤمِنُ بِاللهِ واليوم _____

۱ . السيد الخوئى: التنقيح: ۲|۵۸.

(۴۵)

الآخِر)(البقرة ـ ۲۳۲) إلى غير ذلك من الآيات الواردة حول الإيمان بيوم الجزاء. وأمّا الإيمان بالضروريات، فسيوافيك البحث فيه فى الفصل القادم. إنّ الاعتراف بهذه الأُمور قد أخذ فى موضوع تحقّق الإسلام بمعنى أنّ إنكارها أو الجهل بها يقتضى الحكم بكفر جاهلها أو منكرها وإن كان ربما لا يستحق العقاب لكونه جاهلاً أو قاصراً ومع ذلك يعد كافراً ويترتب عليه أحكامه. وحصيلة الكلام: أنّ الإيمان يتمثل بالتصديق بهذه الأُمور، جميعاً، وإنكار واحدٍ منها عناداً أو شبهة يخرج عن حظيرة الإسلام ويقع فى عداد الكافرين. وكان الإقرار بالشهادتين فى عصر الرسالة متضمنّا لهذه الشهادات الست، لأجل قرائن حالية موجودة حولهما، وبذلك يظهر سر لفيف من الروايات الدالة على كفاية الشهادتين فى الدخول فى حظيرة الإيمان والتى هى على صنفين: ۱ ـ ما يدل على كفاية الإقرار بالشهادتين والتصديق بالتوحيد والرسالة. ۲ ـ ما يضيف إليهما إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان. وإليك الصنفين: الصنف الأوّل، وهو ما اقتصر بإظهار الشهادتين: ۱ ـ روى البخارى عن عمر بن الخطاب أنّ علياً صرخ": يا رسول الله على ماذا أُقاتل الناس؟ "قال" صلى الله عليه وآله وسلم" : "قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلاّ بحقها وحسابهم على الله (۱. _____")

۱ . البخارى: الصحيح: ۱|۱۰، كتاب الإيمان؛ وصحيح مسلم: ۷|۱۷، كتاب فضائل على ـ عليه السلام ـ.

(۴۶) ۲ ـ ما رواه الإمام الشافعي عن أبي هريرة أنّ رسول الله قال": لا ـ أزال أُقاتل النّاسَ حتى يقولُوا: لا إله إلّا الله فإذا قالوها فقد عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلّا بحقّها وحسابهم على الله (۱. ")۳ ـ روى التميمي عن الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ عن آبائه عن عليّ قال": قال النبي: أُمرت أُقاتل النّاس حتى يقولوا لا إله إلّا الله ، فإذا قالوا حرمت عليّ دماوَهم وأموالهم ("۲) ۴ ـ روى البرقي مسنداً عن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ أنّه قال": الإسلام يحقن به الدم، وتوَدّى به الأَمانة، ويستحلّ به الفرج، والثواب على الإيمان ("۳) ۵ ـ وقال الإمام الصادق ـ عليه السلام" ـ: الإسلام شهادة أن لا إله إلّا الله والتصديق برسول الله ، به حقنت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث ("۴) ۶ ـ قال الإمام الشافعي: فأعْلَمَ رسول الله أنّه سبحانه فرض أن يقاتلهم حتى يُظهِرُوا أنّ لا إله إلّا الله ، فإذا فعلوا منعوا دماءهم وأموالهم إلّا بحقّها (۵) ۷ ـ قال القاضي عياض: اختصاص عصم النفس والمال لمن قال: لا إله إلّا الله ، تعبير عن الإجابة عن الإيمان، أو أنّ المراد بهذا مشركو العرب وأهل الأَوثان ومن لا يوحّد، وهم كانوا أوّل من دُعي إلى الإسلام وقوتل عليه، فأمّا غيرهم ممّن يقرّ بالتوحيد فلا ـ يكتفى في عصمته بقوله لا ـ إله إلاّ ـ الله إذا كان يقولها في كفره وهي من اعتقاده، ولذلك جاء في الحديث الآخر: وأنّي رسول الله ، ويقيم الصلاة ويوَتي الزكاة (۶) _____

۱ . الشافعي: الأُم: ۶|۱۵۷، ۱۵۸.

۲ . المجلسي: البحار: ۶۸|۲۴۲.

۳ . المجلسي: البحار: ۶۸|۲۴۳ ح۳ و ۲۴۸ ح۸.

۴ . المجلسي: البحار: ۶۸|۲۴۳ ح۳ و ۲۴۸ ح۸.

۵ . الشافعي: الأُم: ۷|۲۹۶ ـ ۲۹۷.

۶ . المجلسي: البحار: ۶۸|۲۴۳.

(۴۷) وأمّا الصنف الثاني فنأتي ببعض نصوصه: ۸ ـ ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله" : بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله ، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم شهر رمضان ("۱) ۹ ـ ما تضافر عن رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم : "من شهد أن لا إله إلّا الله ، واستقبل قبلتنا وصلّى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم(۲). ۱۰ ـ روى أنس بن مالك عن رسول الله قال": أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله ، واستقبلوا قبلتنا، وأكلوا ذبيحتنا، وصلّوا صلاتنا، حرمت علينا دماوَهم وأموالهم إلّا بحقّها ("۳) وهذه النصوص ـ وما أكثرها وقد اقتصرنا بالقليل ـ تُصرّح بأنّ ما تحقن به الدماء وتصان به الأَعراض ويدخل به الإنسان في عداد المسلمين ويستظلُّ بخيمة الإسلام، هو الاعتقاد بتوحيده سبحانه ورسالة الرسول وهذا ما نعبر عنه ببساطة العقيدة وسهولة التكاليف الإسلامية. إذا عرفت هذين الصنفين من الروايات فاعلم أنّ الجميع يهدف إلى أمر واحد وهو أنّ الدخول في الإسلام والتظلّل تحت مظلّته ليس بأمر عسير بل سهل جداً، وليس في الإسلام ما هو معقّد في المعارف، ولا معسور في الأَحكام، وشتان بين بساطة العقيدة فيه، والتعقيد الموجود في المسيحية من القول بالتثليث وفي الوقت نفسه من الاعتقاد بكونه سبحانه إلهاًواحداً. _____

۱ . البخاري: الصحيح: ۱|۱۶، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس.

۲ – ۳ . ابن الأثير: جامع الأُصول: ۱|۱۵۸ ـ ۱۵۹.

(۴۸)

وأمّا الاختلاف بين الصنفين فيمكن رفع ذلك بوجهين: الأَوّل: انّ موقف الصنف الأَوّل غير موقف الصنف الثاني، فالأَوّل بصدد بيانه ما تصان به الدماء وتحل به الذبائح، وتجوز المناكحة فيكفي في ذلك الاعتراف بالشهادتين المعربتين عن التصديق بهما قلبا. وأمّا الثاني فهو بصدد بيان ما ينجي الإنسان من عذاب الآخرة وهو رهن العمل بالأَحكام وقد ذكرنا نماذج منه، لتكون إشارة إلى غيرها. الثاني: انّ ما جاء به النبي ينقسم إلى ضروري يعلم من غير نظر واستدلال ويعرفه كل من ورد حظيرته كوجوب الصلاة والزكاة وصوم

رمضان، وإلى غير ضرورى يقف به من عمّر فى الإسلام وعاش بين المسلمين وتخالط مع العلماء والوعاظ، أو نظر فى الكتاب والسنّة، فإنّ إنكار القسم الأوّل إنكار لنفس الرسالة، بحيث لا يمكن الجمع ـ فى نظر العرف ـ بين الشهادة على الرسالة وإنكار وجوب الصلاة والزكاة، ولأجل ذلك لا يعذر فيه ادّعاء الجهل عند الإنكار إلّا إذا دلّت القرائن على جهل المنكر بأنّه ضرورىّ كما إذا كان جديد العهد بالإسلام، وسيوافيك حكم منكر الضرورىّ فى الفصل القادم.وعلى هذا لا منافاة بين الصنفين فلعلّ عدم ذكرها فى الصنف الأوّل للاستغناء عنه بالاعتراف بالرسالة غير المنفكة عن الاعتراف بها. وبذلك يظهر: أنّ المسائل الفرعية والأُصولية الكلامية وإن كانت من صميم الإسلام لكن لا يجب الإذعان القلبى بها تفصيلاً، بل يكفى الإيمان بها إجمالاً حسب ما جاء به النبى فيكفى فى الإيمان، الإذعان بإن القرآن نزل من الله ، من دون لزوم عقد القلب بقدمه أو حدوثه، وأنّ الله عالم وقادر من دون لزوم تبيين موقع الصفات وأنّها عين الذات أو زائدة عليها، وقس على ذلك جميع المسائل الكلامية والفقهية إلّا ما خرج.

الجهة الخامسة:

الجهة الخامسة: فى حد الكفر وأسبابه وأقسامه إذا تبيّن مفهوم الإيمان وحدّه فيعلم منه مفهوم الكفر وحدّه بالضرورة، سواء قلنا إنّ بينهما تقابل التضاد أو تقابل العدم والملكة، وإليك توضيح ذلك: ١ ـ حد الكفر : الكفر: لغة هو الستر والتغطية، و سمّى الزارع كافراً لأنّه يستر الحبة بالتراب، قال سبحانه: (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعجَبَ الكفّار نَباتُهُ)(الحديد ـ ٢٠) . وأمّا اصطلاحاً، فهو عدم الإيمان بما من شأنه الإيمان به، فيدخل ما من شأنه الإيمان به تفصيلاً كتوحيده سبحانه ورسالة نبيه ويوم قيامته أو من شأنه الإيمان به إجمالاً، كالإيمان بالضروريات أى ما لا يجتمع الإنكار بها مع التسليم للرسالة، ويعد الفصل بينهما أمراً محالاً فى مقام التصديق، فلو كفر بوجوب الصلاة والزكاة فقد كفر بما من شأنه الإيمان به، فالإيمان بالرسالة إيمان بهما ويعدّ إنكارهما أنكاراً لها، بل الإيمان بكل ما جاء به ضروريّاً كان أو غير ضرورىّ. لكن على وجه الإجمال لأنّه لازم الإيمان برسالته. قال الإيجى: الكفر وهو خلاف الإيمان فهو عندنا عدم تصديق الرسول فى بعض ما علم مجيئه به ضرورة (١) _____

١ . الإيجى، المواقف: ٣٨٨ .

(٥٠) وقال ابن ميثم البحرانى": الكفر هو إنكار صدق الرسول" صلى الله عليه وآله وسلم "وإنكار شىءٍ ممّا علم مجيئه به بالضرورة(١. ")وقال الفاضل المقداد": الكفر اصطلاحاً هو إنكار ما علم ضرورة مجيئ الرسول به ("٢). والميزان عند هؤلاء الأقطاب الثلاثة هو إنكار ما علم مجيئ الرسول به من دون أن يشيروا إلى ما هو المعلوم مجيئه به، ولكن السيد الطباطبائى اليزدى أشار إلى روَوس ما جاء به وقال": الكافر من كان منكراً للإلوهية أو التوحيد أو الرسالة أو ضرورياً من ضروريات الدين مع الالتفات إلى كونه ضرورياً بحيث يرجع إنكاره إلى إنكار الرسالة ("٣) والأولى بل المتعين ذكر المعاد كما مرَّ. ٢ ـ أسباب الكفر: قد تعرّفت على مفهوم الكفر وحدّه، فيقع الكلام فى أسبابه، أعنى: موجبات الكفر، ابتداءً أو بقاءً (تقابل الارتداد) فنقول: إنّ أسبابه ثلاثة: الأوّل: إنكار ما وجب الإيمان به تفصيلاً، على ما مر فى الفصل، كإنكار الصانع، أو توحيده ذاتاً وفعلاً وعبادة. وإنكار رسالة النبى الأكرم بالمباشرة، أو يوم المعاد والجزاء وقد علمت أنّ الإيمان بها، على وجه التفصيل قد أخذ موضوعاً للحكم بالإسلام فلو أنكرها أو جهلها يكون محكوماً بالكفر وربّما يكون معذوراً فى بعض الصور كما إذا كان جاهلاً قاصراً أو إنساناً مستضعفاً. الثانى: جهد ما علم الجاهد أنّه من الإسلام، سواء كان ضرورياً أم غير

---

١ . ابن ميثم البحرانى: قواعد المرام: ١٧١ .

٢ . الفاضل المقداد: إرشاد الطالبين: ۴۴٣ .

٣ . السيد الطباطبائى اليزدى: العروة الوثقى، كتاب الطهارة، مبحث النجاسات.

(۵۱)

ضرورى سواء كان أصلاً عقيدياً أو حكماً شرعياً، لاَنّ مرجعه إلى إنكار رسالته فى بعض النواحى. وربما يستغرب الإنسان من الجمع بين العلم بكونه ممّا جاء به النبى" صلى الله عليه وآله وسلم "ومع ذلك يجحد به ولكنّه سرعان ما يزول تعجبه إذا تلى قوله سبحانه: (وَجَحَدُوا بِها واستَيْقَنَتها أَنفُسُهُمْ)(النمل ـ ۱۴) . وقوله سبحانه: (الَّذِينَ آتَيناهُمُ الكِتابَ يَعرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبناءَهُم) (البقرة ـ ۱۴۶) فنرى أنّهم أنكروا ما أيقنوه، ونفوا ما عرفوه. هذا إذا لم يتجاوز الجحد حد اللسان، وإمّا إذا سرى إلى الباطن فمرجع الجحد عندئذ مع العلم بأنّه ممّا جاء به النبى إلى نسبة الخطأ والاشتباه إلى صاحب الرسالة وتصوير علمه قاصراً فى مجال المجحود. وقد كان رجال من المنتمين إلى الإسلام، يخطّئون التشريع الإسلامى، بتحريمه الفائز، والربا فى القرض الرائج فى الاَنظمة الاقتصادية الغربية، قائلين، بأنّه مدار الاقتصاد النامى وأُسُّه، و مرجع ذلك ـ مع تضافر الآيات والروايات على تحريمه ـ إلى نسبة الجهل والقصور لصاحب الشريعة وما فوقه. وحصيلة الكلام أنّ جحد ما علم الجاحد أنّه من الإسلام، يورث الكفر سواء كان المجحود ضرورياً من ضروريات الإسلام، أو كان حكماً شرعياً غير ضرورى. ولكن كان ثابتاً عند الجاحد، وسواء كان الجحد باللسان غير سائر إلى مراكز الفكر والإدراك أو سارياً إليه. وهذا القسم من الجحد، لا صلة له بما هو المعنون فى كلامهم من أنّ إنكار ما علم أنّه من الإسلام بالضرورة موجب للكفر، فإنّ الموضوع هناك، خصوص ما علم أنّه ضرورى وسيوافيك البحث فيه فى السبب الثالث. وقد وردت روايات عن أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ تركز على جحد ما علم

(۵۲)

أنّه من الدين، من غير تخصيص المجحود بما علم أنّه من الإسلام بالضرورة. ونأتى ببعض أثر من أئمة أهل البيت حتى تُدعَم بالنص: روى عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله ـ عليه السلام ـ عن الرجل يرتكب الكبيرة من الكبائر، فيموت هل يخرجه ذلك من الإسلام، وإن عذب، كان عذابه كعذاب المشركين، أم له مدة انقطاع؟ فقال ـ عليه السلام" ـ: من ارتكب كبيرة من الكبائر فزعم أنّها حلال، أخرجه ذلك من الإسلام، وعذّب أشدّ العذاب، وإن كان معترفاً أنّه أذنب، ومات عليه أخرجه من الإيمان ولم يخرجه من الإسلام، وكان عذابه أهون من عذاب الاَوّل(۱) وحاصله أنّ ارتكاب الكبيرة مع الاعتقاد بأنّها حلال يوجب الكفر، وأمّا ارتكابها مع الاعتراف بكونها ذنباً فيخرج عن الإيمان دون الإسلام. ۲ـ قال الصادق ـ عليه السلام" ـ: الكفر فى كتاب الله عز وجل على خمسة أوجه ـ إلى أن قال:ـ فأمّا كفر الجحود فهو الجحود بالربوبية والجحود على معرفته، وهو أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنّه حق قد استقر عنده وقال الله تعالى: (وَجَحَدُوا بِها واستَيْقَنَتها أنفسهم (")۲) ۳ ـ وقال الإمام الباقر ـ عليه السلام" ـ: قيل لاَمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ من شهد أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله كان مؤمناً. (قال أمير المؤمنين رداً له) : فأين فرائض الله ، وما بال من جحد الفرائض كان كافراً ("۳) وليس المقصود، خصوص الصلوات، بل مطلق ما أوجبه سبحانه على الناس وحاصل الرواية لو كانت الشهادتان سبباً تاماً للإيمان يلزم أمران: ۱ ـ أن لا يكون لفرائض الله مكان فى الإيمان. _____

۱ . الكلينى: الكافى: ۲ | ۲۸۵ ح ۲۳ .

۲ . الوسائل: ۱ ، الباب ۲ من أبواب مقدمات العبادات، الحديث ۹ و ۱۳ .

۳ . الوسائل: ۱ ، الباب ۲ من أبواب مقدمات العبادات، الحديث ۹ و ۱۳ .

(۵۳) ۲ ـ أن لا ـ يحكم بكفر من أنكرها وجحدها. والموضوع فى الروايتين وغيرهما للحكم بالكفر، وهو جحد ما علِم من غير اختصاص بالضروريات و فى هذا، لا يفرق بين جديد العهد بالإسلام وقديمه. بل الميزان، هو جحد ما علمه أنّه من الإسلام بأحد الوجهين على ما عرفت. الثالث: إنكار ما علم أنّه من ضروريات الإسلام. هذا هو السبب الثالث للحكم بالكفر والارتداد عن الإسلام وبيانه: قد تعرّفت فيما سبق على ما يجب الإيمان به تفصيلاً، وما يجب الإيمان به إجمالاً، وأنّ ما سوى الاُصول الثلاثة (التوحيد بأصنافه، ورسالة النبى الاَكرم" صلى الله عليه وآله وسلم "ويوم الجزاء) لايجب الإيمان به تفصيلاً، بل يكفى الإيمان به إجمالاً وهو

يعم الضروری وغيره وعلى ذلک، فلم يوَخذ الإيمان بوجوب الصلاة والصوم تفصيلاً فی موضوع تحقّق الإسلام، بخلاف الاَصول الثلاثة المتقدمة. ومع ذلک لو التفت إلى حكم الضروریّ التفاتاً تفصيلياً وأنكر كونه ممّا جاء به النبی" صلى الله عليه وآله وسلم "فبما أنّه يلازم إنكار الرسالة فی نظر المخاطبين المسلمين، بحيث لا يمكن الجمع بين الإيمان برسالة الرسول، وإنكار ما علم بالبداهة أنّه ممّا جاء به النبی وقع الكلام فی كونه موجباً للارتداد، مطلقاً سواء كانت هناک ملازمة عند المنكر أو لا. أو فيه تفصيل وهو الحق ويعلم من الكلام التالی: إنّ هناک فرقاً واضحاً بين إنكار الرسالة بالمباشرة وإنكار ما يلازم إنكارها فلو وقعت الرسالة بشخصها فی مجال الإنكار، فالمنكر يكون محكوماً بالكفر، قاصراً كان أو مقصراً، معذوراً كان أو غير معذور للنصوص المركّزة على كون الإيمان برسالة الرسول من أُصول الإسلام ومقوّماته. وأمّا إنكار الضروری فبما أنّه ليس الإيمان به تفصيلاً أصلاً من الاُصول، لا يكون إنكاره عند الالتفات سبباً مستقلاً، بل سببيته لاَجل كونه سبباً لإنكار

(۵۴)

الاَصل، وعند ذلک لا ـ يكون الإنكاران متماثلين فی الحكم فی جميع الجهات، بل يقتصر فی الثانی على حد خاص وهو تحقّق الملازمة عند المنكر. غاية الاَمر يكون إنكار الضروری طريقاً إلى إنكار الرسالة، ما لم يُعلم عدم الملازمة عند المنكر فيحكم بكفر المنكر إلاّ إذا ثبت بالقرائن أنّه لم يكن بصدد إنكار الرسالة، وإنّما أنكرها لجهله وضعفه الفكری، كما إذا كان جديد العهد بالإسلام وأنكر حرمة الفائز مثلاً ـ فيقبل منه ولا يقبل ممّا نشأ بين المسلمين منذ نعومة أظفاره إلى أن شبَّ وشاب. وحاصل الكلام: أنّ إنكار الضروری طريق عقلائی وكاشف عن إنكار الرسالة ورفض الشريعة فی مورد الإنكار فيحكم بالكفر والارتداد، إلاّ إذا ثبت عذره وجهله. والفرق بين إنكار الاَصل، وإنكار ما يلازم إنكاره، هو أنّ الاَوّل أصل برأسه وأُخذ فی موضوع الإسلام ودلّت الروايات على كونه جزء منه بخلاف التالی فإنّ سببّيته عقلية، وطريقيّته عقلائية فيوَخذ بالطريق إلاّ إذا ثبت تخلّفه. ثم الفرق بين السبب الثانی (جحد ما علم أنّه من الدين) وهذا السبب واضح، فإنّ الملاک فی السبب المتقدم هو كون جحد الجاحد عن علم بأنّه من الدين بأحد النوعين، من غير فرق بين الاَصول والفروع، وبين الضروری وعدمه، وأنّما نعلم فقط أنّ جحده عن علم. وهذا بخلاف الملاک فی السبب الثالث فمتعلّق الإنكار، هو ما علم أنّه من الدين بالضرورة من دون أن نعلم أنّه أنكر عن علم أو لا. ولاَجل ذاک الفرق حكم بالارتداد فی السبب الثانی بلا استثناء لعدم قابليته له، بخلاف الاَخيرة فحكم بكفر المنكر مطلقاً سواء علم حاله ـ وأنّه أنكره عن علم بأنّه من الدين ـ أو جهل حاله، إلاّ إذا علم أنّه أنكر لا عن علم، فلاحظ. (۵۵)

أقسام الكفر : إنّ للكفر أقساماً ذكرها المتكلّمون وأصحاب المعاجم نشير إليها: ۱ ـ كفر إنكار: وهو أن يكفر بقلبه ولسانه، فلا يعرف الله ولا ـ رسوله، أو لا ـ يعرف الرسول فقط. ۲ ـ كفر جحود: وهو أن يذعن بقلبه ولا ـ يقر بلسانه بل يجحده، كما فی قوله سبحانه: (وَجَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتها أَنفُسُهُم)(النمل ـ ۱۴) . ۳ ـ كفر عناد: وهو أن يعرف بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين به، عناداً وحسداً. ويمثل له ببعض كفار قريش كالوليد بن المغيرة، حيث عرف بقلبه واعترف بلسانه بأعجاز القرآن لكنه لم يَدُنْ به ونسبه إلى السحر (۱) ۴ ـ كفر نفاق: وهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد بقلبه كالمنافق (۲) وقسمه الإيجی بصورة أُخرى وقال: الإنسان إمّا معترف بنبوة محمد" صلى الله عليه وآله وسلم "أو لا ـ والثانی إمّا معترف بالنبوة فی الجملة وهم اليهود والنصارى وغيرهم، وإمّا غير معترف بها، وهو إمّا معترف بالقادر المختار وهم البراهمة، أو لا، وهم الدهرية. ثم إنكارهم لنبوته" صلى الله عليه وآله وسلم "إمّا عن عناد وإمّا عن اجتهاد (۳) وللتفتازانی تقسيم آخر للكفر حيث قال: الكافر إن أظهر الإيمان خص باسم المنافق، وإن كفر بعد الإسلام فبالمرتد. وإن قال بتعدد الآلهة فبالمشرک، وإن تدّين ببعض الاَديان فبالكتابی، وإن أسند الحوادث إلى الزمان واعتقد قدمه فبالدهری، وإن نفی الصانع فبالمعطّل، وإن كان مع اعترافه بنبوة النبی" صلى الله عليه وآله وسلم"

---

۱ . اقرأ كلماته فی كتب التفاسير فی تفسير قوله سبحانه: (ذرنی ومن خلقت وحيداً)(المدثر: ۱۱ ـ ۲۵) .

۲ . الزبيدى: تاج العروس: ۳ | ۲۵۴ ، وابن منظور: لسان العرب: ۵ | ۱۴۴ .

۳ . القاضى: المواقف: ۳۸۹.

(۵۶)

وإظهاره شعائر الإسلام يبطن عقائد هى كفر بالاتفاق، فبالزنديق (۱) وتقسّمُ الاباضية الكفرَ إلى كفر الملة وكفر النعمة، وبالثانى يفسّرون قوله سبحانه: (ولله على الناسِ حِجُّ البيتِ مَنِ استَطاعَ إليهِ سَبيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإنّ اللهَ غنِيّ عنِ العالَمِين)(آل عمران ـ ۹۷) . هذه التقسيمات للكفر والكافر ربما تزيد بصيرة فى المقام. هذا وفى بعض الروايات المنقولة عن أمير المؤمنين تقسيم الكفر المذكور فى كتاب الله على الوجه التالى وهو فى الحقيقة تبيين لموارد استعماله فى القرآن وإليك خلاصته: ۱ ـ كفر الجحود: وله وجهان : ألف ـ جحود الوحدانية: وهو قول من يقول" لاربّ ولا جنة ولا نارَ ولا بعثَ ولا نشورَ "وهؤلاء صنف من الزنادقة وصنف من الدهرية الذين يقولون: (ما يهلكنا إلاّ الدهر)وذلك رأى وضعوه لأنفسهم استحسنوه بغير حجة فقال الله تعالى: (إن هُمْ إلاّ يَظُنّون)(البقرة ـ ۷۸). وقال: (إنّ الّذينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِم أأَنذَرْتَهُمْ أمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُون) (البقرة ـ ۶) أى لا يؤمنون بتوحيد الله . ب ـ الجحود مع المعرفة بحقيقته: قال تعالى: (وَجَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أنفُسُهُمْ ظُلماً وعُلُواً)(النمل ـ ۱۴) وقال سبحانه: (وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ على الّذِينَ كَفَرُوا فَلَمّا جاءَهُم ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعنَةُ اللهِ على الكافِرِين)(البقرة ـ ۸۹) أى جحدوه بعد أن عرفوه. ۲ ـ كفر الترك لما أمر الله به : كفر الترك لما أمر الله به من المعاصى كما قال الله تعالى: (وَإذْ أَخَذْنَا

---

۱ . التفتازانى: شرح المقاصد: ۵ | ۲۲۷ .

(۵۷)

مِيثاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دماءَكُمْ ولا تُخْرِجُونَ أنفُسَكُم مِنْ دِيارِكُم ثُمَّ أقْرَرْتُمْ وأنتُمْ تَشْهَدُون ـ إلى أن قال ـ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعضِ الكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعض)(البقرة: ۸۴ ـ ۸۵) فكانوا كفّاراً لتركهم ما أمر الله تعالى به. ۳ ـ كفر البراءة : والمقصود منه هو ما حكاه تعالى عن قول إبراهيم: (كَفَرنا بِكُمْ وَبَدا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ العَداوَةُ والبَغْضَاءُ أبداً حتّى تُؤمِنُوا بِاللهِ وَحْدَه)(الممتحنة ـ ۴) فقوله: (كَفَرنا بِكُمْ)أى تبرّأنا منكم. وقال سبحانه فى قصة إبليس وتبرّيه من أوليائه من الإنس إلى يوم القيامة: (إنّى كَفَرتُ بما أشْرَكْتُمُون مِنْ قَبْل)(إبراهيم ـ ۲۲) أى تبرّأت منكم. وقوله تعالى: (إنّما اتّخَذْتُم من دُونِ اللهِ أوْثاناً مَودّةَ بَيْنِكُمْ فى الحياةِ الدُّنْيا ثُمَّ يَوْمَ القِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعضاً)(العنكبوت ـ ۲۵) . ۴ ـ كفر النعم : وهو ما حكاه سبحانه عن قول سليمان: (هذا مِن فَضْلِ رَبّى لِيَبْلُوَى أأشكُرُ أمْ أكْفُر)(النمل ـ ۴۰) . وقال تعالى: (لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إنّ عَذَابِى لَشَدِيد)(إبراهيم ـ ۷) وقال تعالى: (فاذكرونى أذكركم واشكرو لى ولا تكفرون)(البقرة ـ ۱۵۲) . ۵ ـ مطلق الكفر : وهو ما جاءت فيه كلمة الكفر من غير تقييد بشىء من القيود المتقدّمة(۱)

---

۱ . المجلسى: نقلاً عن تفسير النعمانى: البحار: ۷۲| ۱۰۰، وقد جاء فى كلام الإمام. مطلق الكفر، بلا شرح والعبارة الواردة بعد العنوان منّا.

(۵۸)

الجهة السادسة:

الجهة السادسة: فى تكفير أهل القبلة إذا تعرفت على ما يخرج الإنسان من الإيمان ويدخله فى الكفر يعلم أنّه لا يصح تكفير فرقة من الفرق الإسلامية ما دامت تعترف بالشهادتين ولا تنكر ما يعد من ضروريات الدين التى يعرفها كل من له أدنى إلمام بالشريعة وإن لم تكن له مخالطة كثيرة مع المسلمين. وعلى ذلك فالبلاء الذى حاق بالمسلمين فى القرون الماضية وامتد إلى عصرنا الحاضر بلاء مبدّد

لشمل المسلمين أوّلاً، ومحرّم فى نفس الكتاب والسنّة وإجماع المسلمين ثانياً، ومن الأسف أنّ التعصّبات المذهبيّة الكلامية صارت أساساً لتكفير المعتزلة أصحاب الحديث والأشاعرة وبالعكس، وربما عمّ البلاء شيعة أئمة أهل البيت فترى أنّ بعض المتعصبين أخذوا يكفّرون الشيعة بأُمور لو ثبتت لا تكون سبباً للتكفير، فضلاً عن كون أكثرها تهماً باطلة كالقول بتحريف القرآن ونظيره وأنّ الثابت منها، مدعم بالكتاب والسنّة كما سيوافيك فى آخر هذا الفصل، ولأجل أن يقف القارئ على مدى البلاء فى العصور السابقة نذكر كلمة الإيجى، قال: قال جمهور المتكلّمين والفقهاء على أنّه لا يكفر أحد من أهل القبلة، والمعتزلة الذين قبل أبى الحسين، تحامقوا فكفّروا الأصحاب ـ يريد الأشاعرة ـ فعارضه بعضنا بالمثل، وقال الأُستاذ وكل مخالف يكفّرنا فنحن نكفّره وإلاّ فلا(۱).

---

۱ . الإيجى: المواقف: ۳۹۲ .

(۵۹)

وكأنَّ الأُستاذ أبا إسحاق الاسفرائينى صوّر الموقف موقف حرب فعمل بقوله سبحانه: (فَا عْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ)(البقرة ـ ۱۹۴) مع أنّ الموقف موقف حزم واحتياط، فلو كفّرت إحدى الطائفتين الطائفة الأُخرى عن حمق وجهالة، فيجب علينا إرشاد المكفّرين وهدايتهم وإقامة الدلائل على إيمانهم لا تكفيرهم عملاً بالاعتداء بالمثل. والعجب أنّ أكثر المسائل التى ربما بها تكفر طائفةٌ، طائفةً أُخرى، مسائل كلامية لم يكن بها عهد فى عصر النبى الأكرم، ولم يكن النبى يستفسر عن عقيدة المعترف بالشهادتين، فيها نظير: ۱ ـ كون صفاته عين ذاته أو زائدة عليها. ۲ ـ كون القرآن محدثاً أو قديماً. ۳ ـ أفعال العباد هل هى مخلوقة لله تعالى أم لا ؟ ۴ ـ هل الصفات الخبرية فى القرآن كاليد والوجه تحمل على المعنى اللغوى أو تؤوّل؟ ۵ ـ رؤية الله سبحانه فى الآخرة هل هى ممكنة أم ممتنعة؟ ۶ ـ عصمة الأنبياء قبل البعثة وبعدها. إلى غير ذلك من عشرات المسائل الكلامية التى يستدلّ فيها كل من الطائفتين بلفيف من الآيات والأحاديث، فكلّ يرى نفسه متمسكاً بالمصدرين الرئيسيّين وفى الوقت نفسه معترفاً بتوحيده ورسالة نبيه. فعلى ذلك يجب علينا الأخذ بالضابطة، فما دام الخلاف ليس فى صلب التوحيد وما جاء به الرسول بالضرورة على نحو تعد المفارقة عنه، مفارقة عن الاعتراف بالرسالة لا يكون الاختلاف موجباً للكفر، وخروجاً عن الإسلام

(۶۰)

وارتداداً عن الدين، ويعد خلافاً مذهبياً، وكون شىء ضرورياً فى مذهب الأشاعرة ليس دليلاً على كونه كذلك بين عامة المسلمين وبالعكس فيما يقوله المعتزلة وحتى مايقوله الشيعة فى ضروريات مذهبهم. ولأجل أن يقف القارئ على أنّ جمهور العلماء لا يجوز تكفير أهل القبلة نورد كلمات للعلماء فى ذلك ثم نذكر مصادر آرائهم فى الروايات: ۱ ـ قال ابن حزم عندما تكلم فيمن يُكفّر ولا يكفّر: وذهبت طائفة إلى أنّه لا يُكفّر ولايُفسَّق مسلم بقول قاله فى اعتقاد، أو فتيا، وإنّ كلّ من اجتهد فى شىء من ذلك فدان بما رأى أنّه الحق فإنّه مأجور على كل حال إن أصاب فأجران، وإن أخطأ فأجر واحد. قال وهذا قول ابن أبى ليلى وأبى حنيفة والشافعى وسفيان الثورى وداود بن على وهو قول كل من عرفنا له قولاً فى هذه المسألة من الصحابة (رضى الله عنهم) لا نعلم منهم خلافاً فى ذلك أصلاً (۱) ۲ ـ وقال شيخ الإسلام تقى الدين السبكى: إنّ الإقدام على تكفير المؤمنين عسر جداً، وكل من كان فى قلبه إيمان يستعظم القول بتكفير أهل الأهواء والبدع مع قولهم لا إله إلاّ الله ، محمد رسول الله ، فإنّ التكفير أمر هائل عظيم الخطر (إلى آخر كلامه وقد أطال فى تعظيم التكفير وتعظيم خطره) (۲) ۳ ـ وكان أحمد بن زاهر السرخسى الأشعرى يقول: لمّا حضرت الشيخ أبا الحسن الأشعرىّ الوفاة بدارى فى بغداد أمرنى بجمع أصحابه فجمعتهم له، فقال: اشهدوا على أنّنى لا أُكفّر أحداً من أهل القبلة بذنب، لأنّى رأيتهم كلّهم يشيرون إلى معبود واحد والإسلام يشملهم ويعمّهم (۳)

---

۱ . ابن حزم: الفصل: ۳ | ۲۴۷ .

۲ . الشعرانى: اليواقيت والجواهر: ۵۸ .

۳ . الشعرانى: اليواقيت والجواهر: ۵۸.

(۶۱)

۴ ـ وقال القاضى الاِيجى: جمهور المتكلّمين والفقهاء على أنّه لا يكفّر أحد من أهل القبلة واستدل على مختاره بقوله: إنّ المسائل التى اختلف فيها أهل القبلة من كون الله تعالى عالماً بعلم أو موجداً لفعل العبد، أو غير متحيز ولا فى جهة ونحوها لم يبحث النبى عن اعتقاد من حكم بإسلامه فيها ولا الصحابة ولا التابعون، فعلم أنّ الخطأ فيها ليس قادحاً فى حقيقة الاِسلام. ثم قال: فإن قيل لعلّه ـ عليه السلام ـ عرف منهم ذلك فلم يبحث عنها كما لم يبحث عن علمهم بعلمه وقدرته مع وجوب اعتقادهما. ثم أجاب بقوله: قلنا: مكابرة والعلم والقدرة ممّا يتوقف عليه ثبوت نبوته فكان الاعتراف بها دليلاً للعلم بهما. ثم إنّ الاِيجى ذكر الاَسباب الستة التى بها كفّرت الاَشاعرةُ المعتزلةَ، ثم ناقش فى جميع تلك الاَسباب وأنّها لا تكون دليلا للكفر. ثم ذكر الاَسباب الاَربعة التى بها كفّرت الاَشاعرةُ المعتزلةَ وناقش فيها وأنّها لا تكون سبباً للتكفير. ثم ذكر الاَسباب الثلاثة التى بها تكفّر الروافض وناقش فيها وأنّها لاتكون سبباً للكفر (۱). والحقّ أنّ القاضى قد نظر إلى المسألة بعين التحقيق وأصاب الحقّ إلاّ فى بعض المسائل. فقد ناقش فى أسباب تكفير المجسمة وهو فى غير محلّه والتفصيل لايناسب المقام. ۵ ـ وقال التفتازانى: إنّ مخالف الحق من أهل القبلة ليس بكافر مالم يخالف ما هو من ضروريات الدين كحدوث العالم وحشر الاَجساد، واستدلّ

---

۱ . الاِيجى: المواقف: ۳۹۲ ـ ۳۹۴ .

(۶۲)

بقوله: إنّ النبى ومن بعده لم يكونوا يفتشون عن العقائد ويتبهون على ما هو الحق. فإن قيل: فكذا فى الاُصول المتفق عليها. قلنا: لاشتهارها وظهور أدلّتها على ما يليق بأصحاب الجمل. ثم أجاب بجواب آخر وقال: قد يقال ترك البيان إنّما كان اكتفاءً بالتصديق الاِجمالى إذ التفصيل إنّما يجب عند ملاحظة التفاصيل، وإلاّ فكم موَمن لا يعرف معنى القديم والحادث. فقد ذهب الشيخ الاَشعرى إلى أنّ المخالف فى غير ما ثبت كونه من ضروريات الدين ليس بكافر، وبه يشعر ما قاله الشافعى ـ رحمه الله ـ: لا أرد شهادة أهل الاَهواء إلاّ الخطّابية لاستحلالهم الكذب. وفى المنتقى عن أبى حنيفة أنّه لم يكفّر واحداً من أهل القبلة وعليه أكثر الفقهاء، ثم ذكر بعض الاَقوال من الاَشاعرة والمعتزلة الذين كانوا يكفّرون مخالفيهم فى المسألة (۱) قال ابن عابدين: نعم يقع فى كلام أهل المذهب تكفير كثير، لكن ليس من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون، بل من غيرهم ولا عبرة بغير الفقهاء، والمنقول عن المجتهدين ما ذكرنا (۲) ولعل بعض البسطاء يتصوّر أنّ العاطفة والمرونة الخارجة عن إطار الاِسلام صارت مصدراً لهذه الفتيا، ولكنّه سرعان ما يرجع عن قضائه إذا وقف على الاَحاديث المتوفرة الواردة فى المقام الناهية عن تكفير أهل القبلة، وإليك سردها:

---

۱ . التفتازانى ، شرح المقاصد : ۵ / ۲۲۷ – ۲۲۸ .

۲ . ابن عابدين: رد المختار: ۴ | ۲۳۷ . (۶۳)

السنّة النبوية وتكفير المسلم : قد وردت أحاديث كثيرة تنهى عن تكفير المسلم الذى أقرّ بالشهادتين فضلاً عمّن يمارس الفرائض الدينية وإليك طائفة من هذه الاَحاديث: ۱"ـ بُنى الاِسلام على خصال: شهادة أن لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمداً رسول الله ، والاِقرار بما جاء من عند الله ، والجهاد ماض منذ بعث رسله إلى آخر عصابة تكون من المسلمين ... فلا تكفّروهم بذنب ولاتشهدوا عليهم بشرك. "۲"ـ لاتكفّروا أهل ملّتكم وإن عملوا الكبائر ("۱") ۳"ـ لاتكفّروا أحداً من أهل القبلة بذنب وإن عملوا الكبائر. "۴"ـ بُنى الاِسلام على ثلاث: ... أهل لا إله إلاّ الله لا تكفّروهم بذنب ولا تشهدوا لهم بشرك. "۵ ـ عن أبى ذر: أنّه سمع رسول الله" صلى الله

اليه وآله وسلم " يقول": لا ـ يرمى رجل رجلاً ـ بالفسق أو بالكفر إلّا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك. "۶ـ عن ابن عمر: أنّ رسول الله" صلى الله اليه وآله وسلم " قال": من قال لَاخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما. "۷"ـ من قذف مؤمناً بكفر فهو كقاتله، ومن قتل نفسه بشيء عذّبه الله بما قتل. "۸"ـ من كفّر أخاه فقد باء بها أحدهما. "۹"ـ إذا قال الرجل لَاخيه يا كافر فهو كقتله، ولعن المؤمن كقتله. "۱۰"ـ أيّما رجل مسلم كفّر رجلًا مسلماً فإنْ كان كافراً وإلّا كان هو الكافر. "

---

۱ . نعم الكبائر توجب العقاب لا الكفر .

(۶۴) ۱۱"ـ كفّوا عن أهل لا إله إلّا الله لا تكفّروهم بذنب، فمن أكفر أهل لا إله إلّا الله فهو إلى الكفر أقرب. "۱۲"ـ أيّما امرئ قال لَاخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلّا رجعت عليه. "۱۳"ـ ما أكفر رجل رجلًا قط إلّا باء بها أحدهما. "۱۴"ـ إذا قال الرجل لَاخيه يا كافر فقد باء به أحدهما إن كان الذى قيل له كافراً فهو كافر، وإلّا رجع إلى من قال. "۱۵"ـ ما شهد رجل على رجل بكفر إلّا باء بها أحدهما، إن كان كافراً فهو كما قال، وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره إيّاه. "۱۶ـ عن على ـ عليه السلام ـ: فى الرجل يقول للرجل: يا كافر ياخبيث يافاسق ياحمار؟ قال": ليس عليه حد معلوم، يعزّر الوالى بما رأى(۱). ۱۷ـ حدثنا أُسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله" صلى الله اليه وآله وسلم " سريهٔ إلى الحرُقات، فنذروا بنا فهربوا فأدركنا رجلًا فلما غشيناه قال: لا إله إلّا الله ، فضربناه حتى قتلناه فعرض فى نفسى من ذلك شيء فذكرته لرسول الله" صلى الله اليه وآله وسلم " فقال": مَنْ لَكَ بِلا إله إلّا الله يوم القيامة "؟قال: قلت: يارسول الله ، إنّما قالها مخافهٔ السلاح والقتل، فقال": ألا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك أم لا ؟ مَنْ لَكَ بِلا إله إلّا الله يوم القيامة "؟قال: فما زال يقول ذلك حتى وددت أنّى لم أُسلم إلّا يومئذ(۲). _____

۱ . هذه الَاحاديث مبثوثهٔ فى جامع الُاصول: ۱، و ۱۰، ۱۱ كما أنّها مجموعهٔ بأسرها فى كنز العمال للمتقى الهندى: ج ۱.

۲ . أخرجه أحمد فى مسنده: ۱۸۷ ـ ۲۱۸۶۱ح۱۸۸، والبخارى فى صحيحه: ۶۴، باب ۴۵، ح ۴۲۶۹. وكتاب الديات: ۸۷ باب ۲، ح ۶۸۷۲. ومسلم فى صحيحه: ۹۶ـ۹۷، كتاب الِايمان، باب ۴۱، ح۹۶، وأبو داود فى سننه: ۴۴ـ۴۵ح ۲۶۴۳. والنسائى فى السنن الكبرى: ۱۷۶ـ ۱۷۷، ح۸۵۹۴، كتاب السير، باب۱۲. وابن ماجهٔ فى سننه: ۵|۱۲۹۶، ح ۳۹۳۰، كتاب الفتن، باب ۱.

(۶۵) ۱۸ـ لما خاطب ذو الخويصرهٔ الرسول الَاعظم" صلى الله اليه وآله وسلم " بقوله اعدل، ثارت ثورهٔ من كان فى المجلس منهم خالد بن الوليد قال: يارسول الله ! ألا أضرب عنقه؟ فقال رسول الله" صلى الله اليه وآله وسلم" : " فلعله يكون يصلّى "فقال: إنّه رُبَّ مصلّ يقول بلسانه ماليس فى قلبه، فقال رسول الله" صلى الله اليه وآله وسلم" : " إنّى لم أُوَمر أن أنقّب عن قلوب الناس ولا أشقَّ بطونهم(۱). القدح فى عقائد الشيعهٔ: إنّ الشيعهٔ تشكّل ثلث المسلمين أو ربعهم فقد رماهم المغفّلون بتهم باطلهٔ، فحبسوهم فى قفص الاتهام. ولم يصدروا فى ذلك إلّا عن الهوى، نظير: ۱ـ تأليه الشيعهٔ لعلى وأولاده، وأنّهم يعبدونهم ويعتقدون بإلوهيتهم. ۲ـ إنكارهم ختم النبوهٔ برحيل سيدنا محمد" صلى الله اليه وآله وسلم " وأنّ الوحى لم يزل ينزل على على وأولاده. ۳ـ بغض أصحاب النبى وسبّهم ولعنهم وأنّهم أعداء الصحابهٔ من أوّلهم إلى آخرهم. ۴ـ تحريف القرآن الكريم وأنّه حذف منه أكثر ممّا هو الموجود. ۵ـ نسبهٔ الخيانهٔ لَامين الوحى فقد بعث إلى على ـ عليه السلام ـ فخان فجاء إلى محمد" صلى الله اليه وآله وسلم . "

---

۱ . أخرجه مسلم فى صحيحهٔ ۷|۱۷۱ ح ۱۰۶۴ و أحمد فى مسنده: ۴|۱۰ ح ۱۱۰۰۸، والبخارى كتاب الزكاهٔ: ۴۷، أبو يعلى فى مسنده: ۳۹۰ـ۳۹۱ ح ۱۱۶۳.

(۶۶)

المسائل الاجتهادية : وهناك ما نسبوه إلى الشيعهٔ من العقائد، والنسبهٔ صحيحهٔ وهى بين تفسير خاطئ واجتهاد صحيح مدعم بالدليل نظير: ۱ ـ خلافهٔ الخلفاء الَاربعهٔ. ۲ ـ عدالهٔ الصحابهٔ كلّهم بلا استثناء. ۳ ـ القول بالبداء. ۴ ـ عصمهٔ أئمهٔ أهل البيت. ۵ ـ التقيهٔ من المسلم

المخالف. ۶ ـ كون الاَئمـة عالمين بالغيب. فهذه نماذج من كلا القسـمين، وهى تدور بين التهم الباطلة والمسائل الاجتهادية التى يعذر المجتهـد فى اجتهاده إذا أخطأ، فكيف إذا أصاب؟! فلنأخـذ بدراسـة القسم الاَوّل: أمّا تأليه الشـيعة لعلى وأولاده: فالشـيعة براء من هذه التهمة منذ بكرة أبيهم وهم يشهدون كل يوم فى صلواتهم وخطبهم بأنّه لا إله إلاّ الله وإنّ كل من سواه عبداً لله تالين قوله سبحانه: (إن كـلُّ مَن فى السّـمَواتِ والاَرْضِ إلاّ آتى الرَّحمَنِ عَبْـدا)(مريم ـ ۹۳) وقوله سـبحانه: (يـا أيّهـا الناسُ أنتُمُ الفُقَراءُ إلى اللهِ واللهُ هُوَ الغَنِىُّ الحَمِيد)(فاطر ـ ۱۵) وأمّا التوسّل بهم فلا صـلـة له بالتأليه على أنّهم يتوسّـلون بالنبى" صلى الله اليه وآله وسلم " كما يتوسّلون بأئمتهم كما يتوسّل أهل السنّة به" صلى الله اليه وآله وسلم . " وأمّا الثانى: أعنى إنكارهم ختم النبوة بمحمّد" صلى الله اليه وآله وسلم : " فهو أيضاً مثل الاَوّل، وهذا هو إمامهم الاَوّل على ـ عليه السلام ـ يقول عندما تولى غسل نبيه": بأبى أنت وأُمى

(۶۷)

يارسول الله لقد انقطع بموتك مالم ينقطع بموت غيرك من النبوة والاَنباء وأخبار السماء(۱). وقد ألّف غير واحد من أصحابنا الاِمامية كتبـاً ورسائـل فى الرد على البابيـة والبهائيـة والقاديانيـة الـذين أنكروا ختم النبوة بـألوان الانكار، وقـد خصصـنا بحثاً مفصـلاً من كتابنا "مفاهيم القرآن "لهذا الموضوع وبلغنا الغاية ونقلنا هناك ۱۳۰ نصاً من الاَحاديث المروية عن النبى وأئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ على ختم الرسالة والنبوة بالنبى الاَعظم" صلى الله اليه وآله وسلم " أرى أنّ إفاضة القول فى رد هذه التهمة إضاعة للوقت. وأمّا الثالث: وهو بغض أصـحاب النبى فيالله ولهذه التهمة، كيف يمكن أن يقال إنّ الشـيعة تبغض الصـحابة مع أنّ أُمّة كبيرة من أصحاب النبى من بنى هاشم بدءاً من عمه أبى طالب ومروراً بصـفية عمته، وفاطمة بنت أسد، وبحمزة والعباس وجعفر وعقيل وطالب وعبيدة بن الحارث "شـهيد بـدر "وأبى سـفيان بن الحـارث ونوفـل بن الحـارث وجعـدة بن أبى هبيرة وأولاـدهم وزوجاتهم، وانتهاء بعلى ـ عليه السـلام ـ وأولاده وبناته وزوجته سـيدة نساء العالمين. أمّا الذين استشـهدوا فى عهد النبى الاَكرم فهم يتجاوزون المئات ولا يشك أى مسـلم فى أنّهم كانوا من المؤمنين الصادقين الذين حوّلهم الاِسـلام وأثّر فيهم، وضـربوا فى حياتهم أروع الاَمثلة فى الاِيمان والتوحيد والتضـحية، بالغالى والرخيص، خدمة للمبدأ والعقيدة. ابتداء من ياسـر وزوجته سـمية أوّل شـهيد وشهيدة فى الاِسلام وكان الرسول يقول لهم وهو يسـمع أنينهم تحت سـياط التعذيب": صبراً آل ياسر إنّ موعدكم الجنة(۲). مروراً بمن توفى فى مهجر الحبشة إلى شـهداء بدر وأُحد، وقد استشهد فى معركة أُحد سبعون صحابياً دفنهم النبى الاَكرم" صلى الله اليه وآله وسلم"

---

۱ . نهج البلاغة: الخطبة رقم ۲۳۵ .

۲ . السيرة النبوية لابن هشام: ۱ | ۳۲۰، طبعة الحلبى .

(۶۸)

وصـلّـى عليهم وكان يزورهم ويسلّم عليهم، ثمّ شهداء سائر المعارك والغزوات حتى قال النبى الاَكرم" صلى الله اليه وآله وسلم " فى حق سـعد بن معاذ شـهيد غزوة الخنـدق: اهتز العرش لموته، وشـهداء بئر معونـة ويتراوح عـدد الشـهداء بين ۴۰ حسب روايـة أنس بن مالك، أو ۷۰ حسب روايـة غيره، إلى غير ذلك من الاَصـحاب الصادقين الاَجلاّء الـذين: (صَدَقُوا ما عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَن قَضَـى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبدِيلاً)(الاَحزاب ـ ۲۳) (الّذِينَ قالَ لَهُمُ النّاسُ إنّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَا خْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيماناً وَقالُوا حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوَكيـل) (آل عمران ـ ۱۷۳) (للفُقَرَاءِ المُهـاجِرِينَ الّـذِينَ أُخرِجُوا من دِيـارِهِمْ وأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْـلاً مِنَ اللهِ ورِضْوَاناً ويَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ... * والّـذِينَ تَبَوَّءُو الـدارَ والاِيمانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إلَيْهِمْ وَلا يَجِـدُونَ فِى صُـدُورِهِم حَاجَـةً مِمّا أُوتُوا ويُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ومَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون)(الحشر: ۸ ـ ۹) . فهل يصح لمسلم أن يبغض هؤلاء مع أنّ إمام الشـيعة يصـفهم بقوله": أين إخوانى الـذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟ أين عمّار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشـهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخـوانهم الـذين تعاقـدوا على المتيّـة وأُبرِدَ بِرؤوسـهم إلى الفجرة؟ أوّه على إخوانى الـذين تلوا القرآن

فأحكموه، وتدبّروا الفرض فأقاموه. أحيوا السـنّة وأماتوا البدعة، دُعوا للجهاد فأجابوا، ووثِقُوا بالقائد فاتّبعوه ("۱) وليس ما جاء فى هذه الخطبة فريداً فى كلامه، فقد وصف أصحاب رسول الله" صلى الله اليه وآله وسلم " يوم صفين، يوم فرض عليه الصلح بقوله": ولقد كنّا مع رسول الله" صلى الله اليه وآله وسلم " نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلّا إيماناً وتسليماً، ومضيّاً على اللَّقم، وصبراً على مضض الاَلم، وجِدّاً فى جهاد العدو، ولقد كان الرجل منّا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين،

---

۱ . نهج البلاغة: الخطبة ۱۸۲ .

(۶۹)

يتخالسان أنفسهما أيّهما يسقى صاحبه كأس المنون، فمرّة لنا من عدونا، ومرّة لعدونا منّا. فلمّا رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر، حتى استقر الاِسلام ملقياً جرانه ومتبوّئاً أوطانه، ولعمرى لو كنّا نأتى ما أتيتم ما قام للدين عمود، ولا اخضرّ للاِيمان عود(۱. "هذه كلمة قائد الشيعة وإمامهم، أفهل يجوز لمن يوَمن بإمامته أن يكفّر جميع صحابة النبى" صلى الله اليه وآله وسلم ، " أو يفسّقهم، أو ينسبهم إلى الزندقة والاِلحاد، أو الارتداد، من دون أن يقسمهم إلى أقسام ويصنّفهم أصنافاً ويذكر تقاسيم القرآن والسنّة فى حقّهم؟! كلّا ولا، وهذا هو الاِمام على بن الحسين يذكر فى بعض أدعيته صحابة النبى ويقول": اللّهم وأصحاب محمد" صلى الله اليه وآله وسلم " خاصة الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن فى نصره وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالاته، وفارقوا الاَزواج والاَولاد فى إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والاَبناء فى تثبيت نبوته، وانتصروا به ومن كانوا منطوين على محبته، يرجون تجارة لن تبور فى مودته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلّقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا فى ظل قرابته، فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا، الخلق عليك وكانوا مع رسولك دعاة لك إليك، واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه، ومن كثرت فى إعزاز دينك من مظلومهم، اللهم وأوصل التابعين لهم بإحسان الذين يقولون ربنا اغفر لنا ولاِخواننا...(۲. "فإذا كان الحال كذلك، واتفق الشيعى والسنى على إطراء الذكر الحكيم للصحابة والثناءعليهم فما هو موضع الخلاف بين الطائفتين كى يعد ذلك من أعظم الخلاف بينهما؟

---

۱ . نهج البلاغة، الخطبة ۵۶ .

۲ . الصحيفة السجادية: الدعاء ۴ .

(۷۰) وهذا ما سيوافيك فى الاَمر الثانى من المسائل الاجتهادية فتربص حتى حين. وأمّا الاَمر الرابع أعنى تحريف القرآن الكريم: فالرأى السائد بينهم من عصر أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ إلى يومنا هذا هو القول بعدم التحريف، وقد ذكرنا نصوص علمائنا الاِمامية فى هذا المضمار فى كتاب خصصناه لبيان عقائد الشيعة أخذنا بنصوصهم من منتصف القرن الثالث إلى يومنا هذا. نعم يوجد بينهم من قال بالتحريف، ولكنّه نظرية شخصية لا توَخذ بها الاُمّة، ووجود الروايات فى كتاب الكافى للكلينى وغيره لايكون دليلاً على كونه عقيدة للشيعة، فانّ الكافى كسائر كتب الحديث يتضمن أحاديث صحيحة وغير صحيحة، وليس الكافى عندنا كصحيح البخارى عند أهل السنّة الذى لا يتطرق إليه قلم النقاش والجرح. ولو صحّت الموَاخذة ـ ولن تصح ـ فقد قال بالتحريف جماعة من أهل السنة ووردت رواياته فى الصحاح غير أنّ القوم فسّروها بنسخ التلاوة. فإذا صح هذا العذر ـ ولم يصح ـ فليصح فى الروايات الموجودة فى كتب حديث الشيعة، وهذا هو القرطبى ينقل فى تفسيره عن أُم الموَمنين أنّ سورة الاَحزاب كانت مائتى آية، فحرّفت، أعاذنا الله من هذه التسويلات الباطلة، وبما أنّ علماءنا قد بلغوا الغاية فى نفى هذه التهمة اقتصرنا بالاِشارة وهى كافية لمن ألقى السمع وهو شهيد. وأمّا الخامس: أعنى نسبة الخيانة إلى أمين الوحى: فهو أُكذوبة ورثه المفترى من اليهود حيث عادوا جبرئيل لاَجل أنّه خان ونقل النبوة من ذرية إسحاق إلى ذرية إسماعيل (۱) فأخذه المفترى منهم وطبّقها على الشيعة.

۱ . الرازى فى تفسير قوله: (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى).

(۷۱)

وإليك الكلام فى القسم الثانى. المسائل الاجتهاديـة : وهـذه المسائل تـدور بين ما هم خاطئون فى تفسيرها ـ مثل البداء ـ وبين ما هى مسائل نظرية قابلة للاجتهاد مدعمة بالدليل الصـحيح والاختلاف فى مثلها. إنّ الاختلاف فى هذه المسائل لا يكون ملاكاً للتكفير حتى ولو كـانوا خـاطئين، فكيف وأنّهم مصيبون فيهـا يعرفها من رجع إلى كتبهم، وإليك دراسـتها على وجه موجز. ۱ ـ خلافـة الخلفاء: إنّ خلافـة الخلفاء ليست من الأُصول بل من الاَحكام الفرعية. قال التفتازانى: لا نزاع فى أنّ مباحث الإمامة بعلم الفروع أليق، لرجوعها إلى أنّ القيـام بالإمامـة ونصب الإمام الموصوف بالصـفات المخصوصـة من فروض الكفايات، وهى أُمور كليـة تتعلّق بها مصالـح دينيـة أو دنيويـة، لاـ ينتظم الاَمر إلاّـ بحصولها فيقصـد الشارع تحصـيلها فى الجملـة من غير أن يقصـد حصولها من كل أحـد، ولا خفاء فى أنّ ذلك، الاَحكام العمليـة دون الاعتقادية(۱) وقال الإيجى: المرصـد الرابع فى الإمامـة ومباحثها عنـدنا من الفروع وإنّما ذكرناها فى علم الكلام تأسيّاً بمن قبلنا (۲) وقال الجرجانى: الإمامة ليست من أُصول الديانات والعقائد، بل هى عندنا

۱ . التفتازانى: شرح العقائد: ۵ | ۲۳۲ .

۲ . الإيجى: المواقف: ۳۹۵ .

(۷۲)

مـن الفروع المتعلّقـة بأفعـال المكلّفيـن، إذ نصـب الإمـام عنـدنا واجب على الأُمـة سـمعاً (۱) فـإذا كـانت الإمامـة من الفروع فمـا أكثر الاختلاف فى الفروع فكيف يكون الاختلاف موجباً للكفر؟ وبعبارة أُخرى: أنّ السـمع أو هو منضـماً إلى العقل دلاّ على وجوب نصب الإمام، لاَنّ مقاصد الشـرع لا يحصل إلاّ بذلك النصب، فاجتمع المسـلمون فاختاروا شـخصاً للقيادة فعلى فرض صـحة الاختيار وكونها جامعاً للشرائط فلا يتجاوز عن كون عملهم كان تجسيداً لحكم فرعى فلا يصير رفض عملهم سبباً للكفر وليس الاعتقاد بخلافة شخص من ضـروريات الإسـلام، لاَنّ المفروض أنّها حدثت بعد رحيل النبى وانقطاع الوحى، فكيف يكون خلافة فرد خاص أمراً ضرورياً؟ بل يمكن أن يقال إنّ وجوب نصب الإمام من الفروع، وأمّا الاعتقاد بأنّ المنصوب خليفـة فليس من الواجبات الشـرعية بـدليل أنّهم اتّفقوا على عـدم وجوبه فى غير الخلفـاء الراشـدين، فإنّ عمر بن عبـد العزيز فى سيرته وسـلوكه لم يكن أقل من بعض الخلفاء ولم يقل أحد بلزوم الإيمان بكونه خليفـة الرسول، فكيف يكون الخلاف موجباً للكفر؟ على أنّ الشـيعة قـد أقامت أدلّـة متواترة على أنّ النبى نصـب الإمام فى عصره ولم يفوّضه إلى الأُمّة. ۲ ـ عدالة الصحابة كلّهم أو بعضهم : إنّ مثار الخلاف بين الطائفتين هو عدالة الصحابة كلّهم أو بعضهم، فذهب

۱ . الجرجانى: شرح المواقف: ۸ | ۳۴۴ .

(۷۳)

أهل السـنّة إلى الاَوّل، والشـيعة إلى الثانى، وأنّه لا يمكن الحكم بعدالـة كل واحـد واحـد منهم ولكلّ من الطرفين أدلّـة وحجج، وقد ارتحل النبى الاَكرم" صـلى الله اليه وآله وسـلم " ولم يكن الاعتقاد بعدالتهم أجمعين من صميم الإسلام، ولم يكن النبى يستفسر عمّن يسـلم، عن اعتقاده بعدالـة أصـحابه عامـة، فإذا كانت المسألة بهذه المثابة فكيف يمكن أن يكون القول بعدالة بعض دون بعض موجباً للكفر، كيف والقرآن الكريم قد قسّم أصحاب النبى إلى أقسام عشرة. ۱ ـ إنّ القرآن الكريم يصنّف الصحابة إلى أصناف مختلفة، فهو يتكلّم عن السابقين الاَوّلين، والمبايعين تحت الشـجرة، والمهاجرين المهجّرين عن ديارهم وأموالهم، وأصـحاب الفتـح، إلى غير ذلك

من الأَصناف المثالية، الذين يثنى عليهم ويذكرهم بالفضل والفضيلة، وفى مقابل ذلك يذكر أصنافاً أخرى يجب أن لا تغيب عن أذهاننا وتلك الأَصناف هى التالية: ۱" ـ المنافقون المعروفون ("المنافقون ـ ۱) . ۲" ـ المنافقون المتسترون الذين لا يعرفهم النبى" (التوبة ـ ۱۰۱) . ۳" ـ ضعفاء الإيمان ومرضى القلوب ("الأَحزاب ـ ۱۱) . ۴" ـ السمّاعون لأَهل الفتنة ("التوبة : ۴۵ ـ ۴۷) . ۵ ـ "المجموعة الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ("التوبة ـ ۱۰۲) . ۶" ـ المشرفون على الارتداد عندما دارت عليهم الدوائر ("آل عمران ـ ۱۵۴) . ۷" ـ الفاسق أو الفسّاق الذين لا يصدق قولهم ولا فعلهم ("الحجرات ـ ۶، السجدة ـ ۱۸) . ۸" ـ المسلمون الذين لم يدخل الإيمان فى قلوبهم ("الحجرات ـ ۱۴) . ۹" ـ المؤَلّفة قلوبهم الذين يظهرون الإسلام ويُتألفون بدفع سهم من

(۷۴)

الصدقة إليهم لضعف يقينهم ("التوبة ـ ۶۰) . ۱۰" ـ المولّون أمام الكفّار ("الأَنفال ـ ۱۵ ـ ۱۶) (۱). هذه الأَصناف إذا انضمت إلى الأَصناف المتقدّمة، تعرب عن أنّ صحابة النبى الأَكرم لم يكونوا على نمط واحد، بل كانوا مختلفين من حيث قوة الإيمان وضعفه، والقيام بالوظائف والتخلّى عنها، فيجب إخضاعهم لميزان العدالة الذى توزن به أفعال جميع الناس، وعندئذ يتحقّق أنّ الصحبة لا تعطى لصاحبها منقبة إلّا إذا كان أهلاً لها، ومع ذلك فكيف يمكن رمى الجميع بسهم واحد وإعطاء الدرجة الواحدة للجميع، وهذا هو رأى الشيعة فيهم، وهو نفس النتيجة التى يخرج بها الإنسان المتدبّر للقران الكريم. ۳ ـ التقية من المخالف المسلم : اتّفق المسلمون على جواز التقية من الكافر بكلمة واحدة أخذاً بقوله سبحانه: (مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إيمانِهِ إلّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنّ بالإيمان)(النحل ـ ۱۰۶) وقوله سبحانه: (لا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكافِرِينَ أَوْلياءَ مِن دُونِ المُؤْمِنينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فى شَىْء إلّا أنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً)(آل عمران ـ ۲۸) إنّما الكلام فى التقية من المخالف المسلم، وهذا ليس شيئاً بديعاً، فإنّ السبب الذى جوّز التقية من المخالف الكافر، هو المجوّز للتقية من المخالف المسلم فإنّها سلاح الضعيف، فلو كانت الشيعة آمنة لما إتّقت لا من الكافر ولا من المسلم المخالف. على أنّ هذا ليس فكراً بديعاً فقد صرّح بجوازه لفيف من علماء السنّة،

---

۱ . سيوافيك نصّ الآيات فى الفصل التاسع فانتظر.

(۷۵)

فلاحظ المصادر (۱) والتقية تغاير النفاق مغايرة جوهرية فالمنافق يُظهر الإيمان ويبطن الكفر والمتّقى يبطن الإسلام ويظهر الخلاف، فوالله العظيم (وإنّه لقسمٌ لو تعلمون عظيم)لو كان الشيعى آمن على دمه ونفسه وماله وأهله لما اتّقى فى ظرف من الظروف كما هو لا يتقى الآن فى ظرف من الظروف للحرية السائدة على أكثر الأَجواء. ۴ ـ البداء : إنّ الاختلاف فى البداء اختلاف لفظى جداً عند التدبّر وليس هناك خلاف جوهرى بين الطائفتين، والمهم هو تفسيره، فأهل السنّة يفسّرونه بظهور ما خفى على الله سبحانه، ولو كان هذا معنى البداء فالشيعة تردّه مثل أهل السنّة. والتفسير الصحيح لها هو: أنّ الله يظهر للناس ما كان قد أخفاه عنهم سابقاً. وبتعبير آخر أنّ المراد من البداء هو تغيير المصير فى ظل الدعاء والأَعمال الصالحة كالصدقة والاستغفار وصلة الرحم كما اتّفق لقوم يونس، فأظهر الله ما خفى عليهم من الفرج والتحرّر من الشدّة حيث غيّروا مصيرهم بالأَعمال الصالحة قال سبحانه: (فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إيمانُها إلّا قَوْمَ يُونُسَ لمّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزى فِى الحَياةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعناهُم إلى حِين)(يونس ـ ۹۸) فظهرت لهم ما أخفى الله عنهم حيث كانوا مذعنين بالعذاب والهلاك، فظهرت لهم النجاة. وأمّا وجه التعبير عن تلك الحقيقة الناصعة بما يتبادر إلى الذهن فى بدء الأَمر من ظهور ما خفى على الله فإنّما لأَجل الاقتداء بالنبى الأَكرم فإنّه" صلى الله اليه وآله وسلم " أوّل من قال هذه الكلمة، وبما أنّ القرينة كانت موجودة لا يضر التبادر البدئى. ــــــــــــــــ

۱ . الطبرى: جامع البيان: ۳|۱۵۳، الزمخشرى: الكشاف: ۱|۴۲۲، الرازى: مفاتيح الغيب: ۸|۱۳، النسفى: التفسير، بهامش تفسير الخازن: ۱|۲۷۷، الآلوسى: روح المعانى: ۳|۱۲۱، جمال الدين القاسمى: محاسن التأويل: ۴|۸۴.

(۷۶) روى البخارى عن أبى هريرة أنّه سمع رسول الله" صلى الله اليه وآله وسلم " يقول: إنّ ثلاثة فى بنى إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى بدا لله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص فقال: أى شيء أحب إليك؟ قال: لَون حسنٌ وجلدٌ حسنٌ، قد قذرنى الناس، قال: فمسحه فذهب عنه فأُعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً، فقال: أى المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو قال البقر هو شك فى ذلك أنّ الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل وقال الآخر: البقر، فأُعطى ناقة عُشراء، فقال: يبارك لك فيها؛ وأتى الأقرعَ فقال: أى شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عنى هذا، قد قذرنى الناس، قال: فمسحه فذهب وأُعطى شعراً حسناً، قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: البقر، قال: فأعطاه بقرة حاملاً، وقال: يبارك لك فيها؛ وأتى الأعمى فقال: أى شيء أحب إليك؟ قال: يرد الله إلىَّ بصرى فأبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والداً، فأُنتج هذان وولّد هذا، فكان لهذا وادٍ من إبل، ولهذا وادٍ من بقر، ولهذا وادٍ من الغنم. ثم إنّه أتى الأبرص فى صورته وهيئته، فقال: رجلٌ مسكين تقطّعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ اليوم إلاّ بالله ثم بك أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيراً أتبلّغ عليه فى سفرى، فقال له: إنّ الحقوق كثيرةٌ، فقال له: كأنّى أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله ؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت، وأتى الأقرعَ فى صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا، فرد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت، وأتى الاعمى فى صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ اليوم إلاّ بالله ثم بك أسألك بالذى رد عليك بصرك، شاة أتبلغ بها فى سفرى؟ فقال: قد كنت أعمى فرد الله بصرى، وفقيراً فقد أغنانى، فخذ ماشئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله ، فقال: أمسك مالك، فانّما ابتليتم، فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك (۱).

---

۱ . البخارى: الصحيح: ۴ | ۱۷۱ ـ ۱۷۲ ، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع .

(۷۷)

۵ ـ عصمة أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ : إنّ القول بعصمة الأئمة الاثنى عشر، مدعم بالدليل فإنّهم فى حديث الرسول الأعظم: "إنّى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى "أحد الثقلين وعدل الكتاب وقرينه، فإذا كان الكتاب مصوناً عن الخطأ فيكون قرينه كذلك، وإلاّ لما حصلت الغاية الواردة فى حديث الرسول" صلى الله اليه وآله وسلم " حيث قال": ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا،" فصون الأُمة عن الضلال، رهن كونهم مهتدين غير خاطئين. والقول بالعصمة لا تلازم النبوة بشهادة أنّ مريم كانت مطهّرة بنص الكتاب وليست بنبيّة قال سبحانه: (وإذْ قَالَتِ المَلاَئِكَةُ يا مَريمُ إنّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكَ وَ اصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِين)(آل عمران ـ ۴۲) . ۶ ـ علمهم بالغيب : إنّ علمهم بالغيب ليس بمعنى مشاركتهم لله فى هذا الوصف، فأين علم الله الذاتى غير المتناهى، من العلم الاكتسابى المتناهى؟ وأين العلم النابع عن الذات من العلم المأخوذ من ذى علم؟ نعم إخبارهم عن الملاحم لأجل كونهم محدَّثين، والمحدَّث يسمع صوت الملك ولا يراه، وهو ليس أمراً بديعاً فى مجال العقيدة، فقد رواه البخارى فى حق الخليفة عمر بن الخطاب. أخرج البخارى فى صحيحه فى باب مناقب عمر بن الخطاب: ۲|۱۹۴، عن أبى هريرة قال النبى" صلى الله اليه وآله وسلم" : " لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى اسرائيل رجال يُكلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أُمتى منهم أحد فعمر "قال ابن عباس رضى الله عنه: من نبى ولا محدّث. وأخرج البخارى فى صحيحه بعد حديث الغار: ۲|۱۷۱، عن أبى هريرة

(۷۸)

مرفوعاً: أنّه قد كان فيما مضى قبلكم من الأُمم محدّثون، إن كان فى أُمتى هذه منهم فإنّه عمر بن الخطاب. قال القسطلانى فى شرحه: ۵|۴۳۱، قال المولّف: يجرى على ألسنتهم الصواب من غير نبوة. وقال الخطابى: يُلقى الشيء فى روعه، فكأنّه قد حدث به يظن فيصيب، ويخطر الشيء بباله فيكون، وهى منزلة رفيعة من منازل الأولياء. وأخرج مسلم فى صحيحه فى باب فضائل عمر، عن عائشة

عن النبى" صلى الله اليه وآله وسلم" : " قد كان فى الاَمم قبلكم محدّثون، فإن يكن فى أمتى منهم أحد فإنّ عمر بن الخطاب منهم." قال ابن وهب: تفسير محدّثون: ملهمون. على أنّا نرى أنّ القرآن يستعمل حتى لفظ الوحى فى هذا المورد إذ يقول سبحانه: (وَأَوحَيْنا إلى أُمّ مُوسى أنْ أرْضِعِيهِ)(۱) كما أنّه يذكر تحدُّث الملائكة مع مريم العذراء ـ عليها السلام ـ ، إذ يقول سبحانه: (قَالَ إنَّما أنَا رَسُولُ رَبِّكِ لاَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً)(۲) فليسَ الاَئمّة الاثنا عشر وبنتَ النبى الاَكرم" صلى الله اليه وآله وسلم " أقل مقاماً من أُمّ موسى أو من مريم العذراء ـ عليها السلام ـ . ثم إنّ لعضد الدين الإيجى فى المواقف وشارحه السيد الجرجانى فى شرحها كلاماً فى عدم جواز تكفير الشيعة بمعتقداتهم نأتى بنصهما متناً وشرحاً قد ذكرا الوجوه وردّها: الاَوّل: أنّ القدح فى أكابر الصحابة الذين شهد لهم القرآن والاَحاديث الصحيحة بالتزكية والإيمان (تكذيب) للقران و (للرسول حيث أثنى عليهم وعظّمهم) فيكون كفرا. قلنا: لا ـ ثناء عليهم خاصة، أى لا ثناء فى القرآن على واحد من الصحابة

---

۱ . القصص: ۷ .

۲ . مريم: ۱۹.

(۷۹)

بخصوصه وهؤلاء قد اعتقدوا انّ من قدحوا فيه ليس داخلاً فى الثناء العام الوارد فيه وإليه أشار بقوله: (ولاهم داخلون فيه عندهم) فلا يكون قدحهم تكذيباً للقران، وأمّا الاَحاديث الواردة فى تزكية بعض معين من الصحابة والشهادة لهم بالجنّة فمن قبيل الآحاد، فلا يكفّر المسلم بإنكارها أو تقوّل ذلك، الثناء عليهم، وتلك الشهادة لهم مقيّدان، بشرط سلامة العاقبة ولم توجد عندهم، فلا يلزم تكذيبهم للرسول. الثانى: الإجماع منعقد من الاُمّة، على تكفير من كفّر عظماء الصحابة، وكلّ واحد من الفريقين يكفّر بعض هؤلاء العظماء فيكون كافراً. قلنا: هؤلاء، أى من كفّر جماعة مخصوصة من الصحابة، لا يسلّمون كونهم من أكابر الصحابة وعظمائهم، فلا يلزم كفره. الثالث: قوله ـ عليه السلام" ـ من قال لاَخيه المسلم يا كافر، فقد باء به ـ أى بالكفر ـ أحدهما. "قلنا: آحاد، وقد أجمعت الاُمّة على أنّ إنكار الآحاد ليس كافراً، ومع ذلك نقول: المراد مع اعتقاد أنّه مسلم، فإنّ من ظن بمسلم أنّه يهودى أو نصرانى فقال له ياكافر لم يكن ذلك كفراً بالإجماع (۱) أقول: إنّ القدح فى الصحابة غير تكفيرهم؛ ثم إنّ القدح فى البعض منهم الذين لا يتجاوزون عدد الاَصابع دون جميعهم. ثم القدح ليس بما أنّهم صحابيون، بل بما أنّهم أُناس مسلمون، ولو كان القدح كفراً، فقد قدح فيهم القرآن فسمّى بعضهم فاسقاً، وقال: (إن جَاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا...)(الحجرات ـ ۶) . نعم إنّ الخلاف الذى دام قروناً، لا يرتفع بيوم أو اسبوع، ولكن رجاوَنا سبحانه أن يلم شعث المسلمين ويجمع كلمتهم، ويفرّق كلمة الكفر وأهله.

---

۱ . السيد الشريف الجرجانى: شرح المواقف: ۸|۳۴۴، ط مصر.

(۸۰)

الجهة السابعة :

الجهة السابعة : فى الفرق بين الإسلام والإيمان الإسلام من السلم وهو بمعنى السلامة، لاَنّه ينتهى إليها، قال الراغب: الإسلام الدخول فى السلم وهو أن يسلم كل واحد منهما أن يناله من ألم صاحبه، أو من التسليم لاَنّه تسليم لاَمر الله (۱) ولعل الثانى هو الاَظهر، يقال: أسلم الرجل: انقاد. وعلى ضوء هذا فالإسلام بالمعنى المصطلح الوارد فى الكتاب والسنّة هو نفس المعنى اللغوى من دون نقل. والغالب عليه، هو استعماله فى مقابل الشرك قال سبحانه: (قُل إنّى أُمِرْتُ أنْ أكُونَ أوَّلَ مَنْ أسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُشْرِكِين)(الاَنعام ـ ۱۴) وقال تعالى: (مَا كَانَ إبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرانِيّاً وَلكِن كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِين) (آل عمران ـ ۶۷) وقال عز من

قائل: (لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرْتُ وأَنا أوّلُ الُمسْلِمِين)(الاَنعام ـ ۱۶۳) إلى غير ذلك من الآيات. والغالب على الإيمان هو استعماله فى مقابل الكفر قال سبحانه: (وَمَن يَتَبَدَّلِ الكُفْرَ بالإيمانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيل)(البقرة ـ ۱۰۸) وقال تعالى: (هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمئِذٍ أقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإيمان)(آل عمران ـ ۱۶۷) وقال عز من قائل: (إنِ

---

۱ . الطبرسى: مجمع البيان: ۱ | ۴۲۰ ، الراغب: المفردات ، مادة سلم .

(۸۱)

اسْتَحَبُّوا الكُفْرَ عَلَى الإيمَان)(التوبة ـ ۲۳) إلى غير ذلك من الآيات. والتقابل بين الإسلام والشرك واضحة فإنّ المسلم شأنّه التسليم والانقياد لاَمر الله بخلاف المشرك فهو خاضع للاَوثان والاَصنام. وأمّا تقابل الإيمان مع الكفر فلاَنّ الإيمان هو التصديق القلبى، وأمّا الكفر فهو ستر الحق، والكافر لاَجل ستره، يكون منكراً مقابل المؤمن المصدّق، فهذا يدفعنا إلى القول بأنّهما مفهومان مختلفان، أحدهما يدل على الانقياد والتسليم، والآخر على الإذعان والتصديق. هذا كلّه من حيث المفهوم وأمّا من حيث التطبيق والمصداق فربما يتّحدان، وأُخرى يتفارقان. فلو أُريد من التسليم، التسليم اللسانى، ومن التصديق، مثله، تكون النسبة فى مقام التطبيق هو التساوى، فكل مسلم لساناً، مصدّق كذلك وبالعكس، وإن أُريد منهما هو التسليم والتصديق القلبيان، فكذلك وأمّا إن أُريد من الاَوّل، اللسانى، ومن الآخر القلبى، فالنسبة بينهما هو العموم والخصوص من وجه فربما يتفارق، أمّا من جانب الإسلام، فكمن أسلم لساناً، ولم يُصدّق قلباً، وأمّا من جانب الإيمان فكمن عرف الحق وجحده عناداً، وربما يجتمعان، كما إذا سلّم لساناً وصدَّق قلباً. وربما أنّ ظاهر الإطلاق وحدة المتعلّق فتكون النتيجة أنهما مختلفان مفهوماً، متساويان مصداقاً. هذا كلّه حسب اللغة. وأمّا الكتاب العزيز فقد استعمل الإسلام على وجوه مختلفة، وإليك البيان: (۸۲)

۱ ـ الإسلام فى مقابل الإيمان : ربما يطلق القرآن لفظ الإسلام على من أسلم لساناً، ولم يصدّق قلباً فيريد من الإسلام التسليم لساناً ومن الإيمان، التصديق قلباً يقول سبحانه: (قَالَتِ الاَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَم تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أسْلَمْنَا وَلَمّا يَدْخُلِ الإيمانُ فِى قُلُوبِكُمْ وإن تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِن أعْمالِكُمْ شَيْئاً إنّ اللهَ غَفُورٌ رحِيم)(الحجرات ـ ۱۴) فقد جعل الإسلام فى مقابل الإيمان وأُريد من الاَوّل، التسليم اللسانى دون القلبى، فبالتالى دون التصديق كذلك وعن الثانى التسليم القلبى، ولاَجل الاختلاف فى المتعلّق صارا متقابلين ونظيره قوله سبحانه: (لَا يَحْزُنكَ الّذِينَ يُسَارِعُون فِى الكُفْرِ مِنَ الّذِينَ قَالُوا آمَنّا بِأفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُم) (المائدة ـ ۴۱) فأثبت الإيمان بالاَفواه وسلبه عن قلوبهم. وهذا يؤيد ما قلناه من أنّ الإسلام والإيمان يمشيان جنباً إلى جنب مالم يقيّد أحدهما باللسان و الآخر بالقلب. وفى هذا القسم من الاستعمال يقول الزجاج": الإسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به الرسول ـ إلى أن قال: ـ فإن كان مع ذلك الإظهار، اعتقاد وتصديق بالقلب، فذلك الإيمان وصاحبه المؤمن المسلم حقاً فأمّا من أظهر قبول الشريعة، واستسلم لدفع المكروه فهو فى الظاهر مسلم، وباطنه غير مصدق وقد أُخرج هؤلاء من الإيمان، بقوله: (ولمّا يدخل الإيمان فى قلوبكم) أى لم تُصدّقوا بعدُ بما أسلمتم تعوّذاً من القتل، فالمؤمن يبطن من التصديق، مثل ما يظهر، والمسلم التام الإسلام، مظهر للطاعة وهو مع ذلك مؤمن بها والذى أظهر الإسلام تعوّذاً من القتل غير مؤمن فى الحقيقة إلّا أنّ حكمه فى الظاهر حكم المسلمين. وروى أنس عن النبى قال: الإسلام علانية والإيمان فى القلب وأشار إلى صدره (۱)

---

۱ . الطبرسى: مجمع البيان: ۵ | ۱۳۸ .

(۸۳)

۲ ـ التسليم لساناً والتصديق قلباً : وقد يطلق الإسلام على المرتبة الاُولى من الإيمان وهو التسليم لساناً مع الانقياد والتصديق قلباً، قال سبحانه: (الّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنا وَكَانُوا مُسْلِمِين) (الزخرف ـ ۶۹) وقال سبحانه: (يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِى السّلْمِ كَافَّةً)(البقرة ـ ۲۰۸)

وقال عز من قائل: (فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيها مِنَ المُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ المُسْلِمِين)(الذاريات: ۳۵ ـ ۳۶) فالمراد من المسلمين، هو المؤمنون بقرينة صدر الآية. ۳ ـ التسليم وراء التصديق القلبى: وقد يطلق الإسلام على المرتبة الثانية من الإيمان وهو أن يكون له وراء التصديق القلبى، التسليم قلباً لأمره ونهيه، وذلك عندما انقادت له الغرائز، وكبحت جماحها وسيطرة الإنسان على القوى البهيمية والسبعية ولم يجد فى باطنه وسرّه مالا ينقاد إلى أمره ونهيه، أو يسخط قضاءه وقدره، قال سبحانه: (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِى أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) (النساء ـ ۶۵) فالتسليم ـ بمعنى الإسلام ـ أشرف من مطلق الإيمان، ويرادف الدرجة الثانية منه . ومن هذا القسم قوله سبحانه: (إذ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العَالَمِين)(البقرة ـ ۱۳۱) وقوله: (رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إنّكَ أنتَ التوّابُ الرّحِيم)(البقرة ـ ۱۲۸)(۱) وهذا كلّه حسب القرآن الكريم. وأمّا السنّة فلها إطلاقات فى لفظى الإسلام، والإيمان.

---

۱ . الطباطبائى: الميزان: ۱ | ۳۰۱ .

(۸۴)

۱ ـ الاختلاف بالعمل وعدمه : يكفى فى صدق الإسلام، الإقرار وإن لم يكن معه عمل بخلاف الإيمان فلا يصدق إلاّ أن ينضمّ العمل إلى الإقرار، روى محمد بن مسلم الثقفى عن أحد الإمامين الباقر أو الصادق ـ عليهما السلام" ـ: الإيمان إقرار وعمل، والإسلام إقرار بلا عمل(۱. ") وكتب الإمام على بن موسى الرضا ـ عليه السلام ـ فى رسالة خاصة إلى المأمون": إنّ أصحاب الحدود مسلمون لا مؤمنون ولا ـ كافرون "وإلى هذا الاستعمال يشير الحديث المروى من الفريقين عن الرسول الأعظم" صلى الله اليه وآله وسلم :" "لايسرق السارق حين يسرق، وهو مؤمن، ولا يزنى الزانى، حين يزنى وهو مؤمن ("۲) وعلى هذا فالعاصى ـ ما لم يتب ـ مسلم وليس بمؤمن. ۲ ـ الاعتقاد بولاية الأئمة الاثنى عشر : الإسلام والإيمان متوافقان إلاّ أنّه يشترط فى الإيمان الاعتراف بولاية الأئمة الاثنى عشر. قال الإمام الصادق ـ عليه السلام" ـ: الإيمان معرفة هذا الأمر، مع هذا فإنّ أقرّ بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً(۳. ")۳ ـ صيانة الدم والمال من آثار الإقرار : إنّ لكل مرتبة من تلك المراتب أثر خاص فالاعتراف باللسان، وإن لم

---

۱ . المجلسى: بحار الأنوار: ۶۸|۲۴۶.

۲ . المجلسى: بحار الأنوار: ۶۸ | ۲۷۰ .

۳ . الكلينى: الكافى: ۲ | ۲۴ ح ۴ .

(۸۵)

نستكشف التصديق القلبى موضوع لحقن الدماء واحترام الأموال.

قال الصادق ـ عليه السلام" ـ: الإسلام يُحقن به الدم، وتؤدّى الأمانة، ويستحل به الفرج والثواب على الإيمان(۱. ")وقال أمير المؤمنين ـ عليه السلام" ـ: أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله ، فإذا قالوها فقد حرم علىّ دماؤهم وأموالهم. "كل ذلك مأخوذ، ممّا ذكره الرسول" صلى الله اليه وآله وسلم " وقد عرفت النصوص فيما سبق.

---

۱ . البرقى: المحاسن: ۱ | ۲۸۵ .

الجهة الثامنة:

الجهة الثامنة: لزوم تحصيل العلم فى العقائد

إذا كـان الاِيمـان هو التصـديق فهـل يكفى فى ذلـك، التصـديق التقليـدى أو الظنى، أو يعتبر فيه العلم الجازم الـذى لا يحتمل خلافه؟ وبعبارة أُخرى: ما هى القاعـدة التى يُبنى التصديق عليها؟ فهى لا تخلو من أُمور ثلاثة: ١ ـ التقليد ٢ ـ الظـن ٣ ـ العلم القاطع ولاستجلاء الحقّ نقـدّم أُموراً: الاَوّل: أنّ المسائـل الاعتقاديـة تنقسم إلى قسـمين: ١ ـ مـا يجب على المكلّف، الاعتقـاد والتـدين به، غير مشـروط بحصول العلم كمعرفة الله سبحانه وتوحيده، ورسوله، فيكون الاعتقاد واجباً مطلقاً، وتحصيل العلم مقدمة له. (٨٧)

٢ ـ مـا يجب التـديّن به إذا حصـل العلم به فيكون واجباً مشـروطاً ولا يكون تحصـيل العلم عندئـذ واجباً لعـدم وجوب تحصـيل شـرط الواجب المشـروط. وموضع البحث هو القسم الاَوّل، أمّا القسم الثانى فلا يجوز فيه التقليد ولا اتّباع الظن، لاَنّ التديّن مشـروط بحصول العلم، ومع عـدمه لاـ وجوب، حتى يكتفى فى امتثاله بالمعرفـة التقليديـة أو الظنيـة وذلك كخصوصـيات المعاد، والعوالم التى يمرّ بها الاِنسـان بعـد موته. الثـانى: أنّ مـا دل على وجوب المعرفـة أُمور أهمها أمران وهما: أ ـ دفع الضـرر المحتمل : وحاصل هـذا الوجه: أنّ هنـاك مجموعـة كبيرة من رجـال الاِصـلاح والاِطلاـق دعوا المجتمعات البشـرية إلى الاعتقاد بالله سـبحانه وادّعوا أنّ له تكاليف على عبـاده، وأنّ الحيـاة لاـ تنقطع بـالموت وإنّمـا هو درب إلى حيـاة أُخرى كاملـة، وأنّ من قام بتكاليفه فله الجزاء الاَوفى، وأمّا من خالف واسـتكبر فله النكايـة الكبرى. ودعوة هؤلاء غير المتهمين بالكـذب والاختلاق إن لم تورث الجزم واليقين، تورث احتمال صـدقهم فى مقـالهم، وهـذا ما يـدفع الاِنسان المفكّر، إلى البحث عن صـحة مقالتهم، دفعاً للضـرر المحتمل أو المظنون الـذى يورثهما مقالـة هؤلاء وليس إخبـار هؤلاء بأقـل من إخبـار إنسان عادى عن الضـرر العاجل أو الآجل فى الحياة الدنيويـة. ومن أنكر حكم العقل هنا بوجوب البحث والنظر، فقد أنكر حكماً وجدانياً معلوماً لكل إنسان. (٨٨)

ب ـ شـكر المنعم واجب : إنّ الاِنسان فى حياته غارق فى النعم فهى تحيط به منـذ نعومة أظفاره إلى أُخريات حياته وهذا ممّا لا يمكن لاَحـد إنكاره. ومن جانب آخر: أنّ العقل يسـتقل بلزوم شـكر المنعم ولا يتحقّق الشـكر إلاّ بمعرفته. وعلى هذين الاَمرين يجب البحث عن المنعم الـذى غمر الاِنسـان بـالنعم وأفاضـها عليه، فـالتعرّف عليه من خلاـل البحث إجابـة لهتـاف العقل، ودعوته إلى شـكر المنعم المتفرّع على معرفته. الثالث: لو كان الاَساس لوجوب المعرفة هذين الاَمرين: فيكون وجوبها عقلياً لا سـمعياً لما عرفت من أنّ اسـتقلال العقل بدفع الضـرر المحتمل أوّلا، يدفع الاِنسان إلى البحث عن المعرفة والنظر، حتى يقف على صـحة ما أُخبِر، ليقوم (إذا تبيّنت صحة الخبر) بالتكاليف ويدفع عن نفسه عادية الضـرر، او اسـتقلاله بشكر المنعم يدفعه إلى معرفة المنعم ليقوم بشكره. كل ذلك يثبت مقالة العدليـة من كون وجوب النظر، عقليـاً لاـ سـمعياً. الرابع: إذا كـان الـدافع إلى المعرفـة والنظر هو العقل لاَجل دفع الضـرر، فلا شك أنّه يدفعه لتحصيل العلم فى ذلك المجال، وذلك لاَنّ الاحتمال لا ينتفى إلاّ بتحصيل العلم بأحد طرفى القضية، كما أنّ الشكر الحقيقى لا يتحقّق إلاّ بالمعرفـة العلمية إذا كان متمكّناً من تحصـيل العلم. أضف إلى ذلك أنّ معرفة الصانع وصـفاته وأفعاله كمعرفة نبيه وسـفيره من الاُمور المهمـة ممّا تبتنى عليها كثير من الاُصول الاعتقاديـة، والتشـريعات فى مجالات مختلفة، فهل يحسن فى منطق العقل أنْ يبنى صرح الحياة عاجلاً واجلاً على شـفيرها أو على قاعدة متزلزلة؟ كلاّ. فالعقل كما يحكم بلزوم المعرفة للاَمرين الماضيين كذلك يحكم بلزوم

(٨٩)

معرفـة ما وجب الاعتقاد والتـديّن به من غير شـرط معرفـة يقينية، لا ظنيّة ولا تقليدية والنقل يدعم حكمه ويذم المعرفة التقليدية ويندّد بالـذين يقولون: (إِنّا وَجَدْنا آبَاءَنا عَلَى أُمَّةٍ وإِنّا عَلَى آثارِهِمْ مُقْتَدُون)(الزخرف ـ ٢٣) . نعم لا يجب الاستدلال، بل يكفى نفس اليقين والعلم سواء حصل عن اسـتدلال أو لا، لاَنّ المطلوب هو العلم من دون نظر إلى أسبابه وليس الاستدلال واجباً نفسياً، ولو حصل اليقين لاَجل صـفاء النفس والـذهن لكفى. الفرق بين الاُصول والفروع فى جواز التقليد : إنّ التقليد بمعنى الرجوع إلى أهل الخبرة أمر فطرى للاِنسان، إذ لا يسع لاِنسان واحـد أنّ يجتهد فى كل ماتعتمد عليه الحياة، فليس له إلاّ العمل بقول أهل الخبرة فى غالب الاُمور ومرجعه إلى العمل بالـدليل الاِجمالى فى مقابل التفصيلى. ـ ومع ذلك كلّه ـ فرق بين الاُصول الاعتقادية وغيرها بأنّ الاُصول الاعتقادية أساس

لكل ما يواجهه الإنسان فى مستقبل حياته ويتّخذه أصلاً فى حياته الفردية والاجتماعية فإذا كانت متزلزلة يكون المبنى عليها كذلك، بخلاف الفروع، أضف إليه أنّ تحصيل اليقين فى الأُصول، لا يعوق الإنسان عن القيام بسائر الأُمور الدنيوية، بخلاف تحصيله فى الفروع، إذ قلّما يتفق لإنسان أنْ يجمع بين الاجتهاد فى الأحكام والقيام بسائر الوظائف فى الحياة، فلأجل ذلك لا يكون جواز التقليد فى الفروع دليلاً على جوازه فى الأُصول. دليل من قال بكفاية التقليد : هناك جماعة من المقلّدة يدعون أصحابهم إلى المعرفة التقليدية وبوجوبها فى مقابل طائفة أُخرى يجوزونها ويستدلّون بما يلى: (۹۰)

۱ ـ كيف يُخصُّ الأمر بالمعرفة للجاهل ؟ إنّ العلم بأمره سبحانه بوجوب النظر غير ممكن، لأنّ المكلّف به إن لم يكن عالماً به تعالى، استحال أن يكون عالماً بأمره سبحانه، عندما يكون العلم بأمره ممتنعاً، وإن كان عالماً به استحال أمره بالعلم به لاستحالة تحصيل الباطل(۱). يلاحظ عليه: أنّ الدافع إلى وجوب النظر والمعرفة هو أمر العقل، لا أمره سبحانه حتى يترتّب عليه من أنّه إذا لم يكن عالماً به، امتنع أن يكون عالماً بأمره، وإن كان عالماً به تكون معرفته حاصلة، والأمر بها يكون تحصيلاً للحاصل. وأمر العقل ودفعه إلى المعرفة ليس أمراً خافياً على أحد. ولو صحّ ما ذكره لزم انسداد باب معرفة الله استدلالا وتقليداً، وذلك لأنّه ينتقل نفس الكلام إلى مقلِّده وأنّه كيف نهض إلى معرفة الله بأمره سبحانه مع أنّ أمره قبل المعرفة غير ناهض. ۲ ـ النهى عن الجدل والخوض فى القدر : إنّه سبحانه نهى عن النظر فى قوله سبحانه: (مَا يُجادِلُ فى آيَاتِ اللهِ إلاّ الّذِينَ كَفَرُوا فَلاَ يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى البِلاد)(غافر ـ ۴) ولأنّ النبى رأى الصحابة يتكلّمون فى مسألة القدر فنهاهم عن الكلام فيها، وقال: إنّما هلك من كان قبلكم بخوضهم فى هذا، ولقوله ـ عليه السلام" ـ: عليكم بدين العجائز "والمراد ترك النظر ولو كان واجباً لم يكن منهياً عنه (۲)

---

۱ . زين الدين العاملى: حقائق الإيمان ۶۱ بتلخيص. ط . مكتبة المرعشى.

۲ . زين الدين العاملى: حقائق الإيمان ۶۲ .

(۹۱)

والإجابة عن الاستدلال واضحة، لأنّ الجدل المنهىّ عنه، هو المجادلة لدحض الحق لا النظر لإثبات الحق قال سبحانه: (وَجَادَلُوا بِالبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيفَ كَانَ عِقَاب)(غافر ـ ۵) وأمّا إذا كانت الغاية، إبطال الباطل، وإثبات الحق، فقد أمر به سبحانه وقال: (وَجَادِلْهُمْ بِالّتِى هِىَ أحْسَن)(النحل ـ ۱۲۵) والنهى عن الخوض فى القدر، لايدل على النهى عن التفكّر فى خلق السماوات والأرض، وذلك لأنّ القدر أمر غيبىّ لا يفيد الخوض فيه شيئاً كما قال الإمام على ـ عليه السلام" ـ: طريق مظلم فلا تسلكوه، وبحر عميق فلا تلجوه، وسرّ الله فلا تتكلّفوه(۱. "وفى نفس الوقت أنّ الإمام خاض فيه لقلع الشبهة إلتى عالقت ذهن الشيخ الذى سأله عنه عند منصرف الإمام من صفين (۲) وأمّا التمسّك بقوله": عليكم بدين العجائز "فهو مكذوب على لسان النبى، كيف يجوز للنبى أن ينهى الناس عن التفكّر والاستدلال مع دعوته إليه فى كتابه المنزل إليه قال سبحانه: (الّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكّرُونَ فِى خَلْقِ السَّماواتِ والأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هذا بَاطِلاً سُبْحانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النّار)(آل عمران ـ ۱۹۱) وقال سبحانه: (أَوَلَم يَتَفَكَّرُوا فِى أنفُسِهِم مَا خَلَقَ اللهُ السَّمواتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُما إلاّ بِالحَقِّ وأَجَلٍ مُسَمّى)(الروم ـ ۸) . روى أنّ عمر بن عبد الله المعتزلى قال: إنّ بين الكفر والإيمان منزلة بين المنزلتين، فقالت عجوز: قال الله تعالى: (هُوَ الّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُم كافر ومِنْكُم مُؤمن) فلم يجعل من عباده إلاّ الكافر والمؤمن، فسمع سفيان كلامها فقال: عليكم بدين العجائز (۳) وهناك من جوّز التقليد ـ تجاه من أوجبه ـ وقال: بأنّه لو وجب النظر فى

---

۱ . نهج البلاغة: قسم الحكم ، رقم ۲۸۷ .

۲ . نهج البلاغة: قسم الحكم ، رقم ۷۸ .

۳ . زين الدين العاملى: حقائق الإيمان: ۶۳. والآية ۲ من سورة التغابن.

(۹۲)

المعارف الإلهية لوجد من الصحابة، إذ هم أولى به من غيرهم، لكنّه لم يوجد، وإلّا لنقل كما نقل عنهم النظر والمناظرة فى المسائل الفقهية. يلاحظ عليه: أنّ الأمر دائر بين الأخذ بهدى القرآن، وفعل الصحابة، فالأوّل متعيّن للاتباع والقرآن يدعو إلى التفكّر وطلب البرهان ويقول: (قُلْ هَاتُوا بُرهَانَكُم إنْ كُنتُمْ صَادِقِين)(البقرة ـ ۱۱۱) والآية واردة فى رد قول اليهود: حيث قالوا: (لَن يَدْخُلَ الجَنَّةَ إلّا مَن كَانَ هُوداً أو نَصَارى)والله سبحانه يصف كلامهم بأنّه أُمنية من أمانيهم، ويأمر نبيه أن يطلب البرهان لهذا التخصيص. ولعل الصحابة كانوا فى غنى فى ذلك الزمان عن النظر والاستدلال لحصول اليقين لهم. على أنّ علياً إمام الصحابة وأقضاهم وأعلمهم، فقد ملأت خطبه ورسائله وكلمه، أنواع المعارف، ومنه أخذ أصحاب النظر أُصول كلامهم وأنظارهم. إنّ تجويز التقليد فى الأُصول، سبب لإماتة الدين، وزواله عن القلوب والأرواح، وفسح المجال للملاحدة والزنادقة لبثّ بذر الكفر والنفاق، أعاذنا الله من مكائدهم ودسائسهم. هذا كلّه فى الفرد المتمكّن من تحصيل اليقين، وأمّا الكلام فى الفرد القاصر فجدير بالبحث والدراسة، وإليك بعض الكلام فيه: (۹۳) فى حكم الجاهل القاصر والكلام فيه يقع فى الأُمور التالية: ۱ـ فى وجود الجاهل القاصر وعدمه فى مجال العقائد والمعارف. ۲ـ هل الجاهل القاصر ـ على فرض إمكانه ـ كافر أو لا ؟ ۳ـ هل تجرى عليه الأحكام الوضعية من نجاسته وحرمة تزويجه وذبيحته أو لا ؟ ۴ـ هل يعاقب فى الآخرة أو لا ؟ ۵ـ المستضعف وأقسامه. وإليك الكلام فى هذه الأُمور واحداً بعد آخر: أ : فى وجود الجاهل القاصر : ربّما يتصور عدم وجود الجاهل القاصر فى العقائد بوجوه: ۱ـ الاجماع على أنّ المخطئ فى العقائد غير معذور وصحّة الإطلاق يتوقّف على عدم وجود القاصر، وإلّا لبطل مع كون القاصر معذوراً. يلاحظ عليه: أنّ مصبّ الإجماع هو المقصّر لا القاصر، ولا يمكن الأخذ بإطلاقه حتّى ينفى وجود القاصر. ۲ـ أنّ المعرفة غاية الخلقة لقوله سبحانه: (وما خَلَقتُ الجنَّ والإنسَ إلّا لِيَعبُدون) فكيف يمكن حينئذ وجود القاصر لاستلزامه عدم تحقّق الغاية فيها. (۹۴)

يلاحظ عليه: مضافاً إلى النقض بالمجانين والأطفال إذا ماتوا: أنّ الغاية، غاية للنوع، لا لكلّ واحد واحد، بداهة وجود القُصَّر من الناس. ۳ـ قوله سبحانه: (والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينا لَنَهدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وإنّ اللهَ لَمَعَ المُحْسِنِين) (العنكبوت|۶۹) حيث جعل الملازمة بين المجاهدة والهداية التى هى المعرفة، فلو لم يكن الطرفان ممكنين لم تصح الملازمة. يلاحظ عليه: أنّ الآية ناظرة إلى من يتمكّن من الجهاد، فالملازمة بينه وبين الهداية مسلّمة، وأمّا غير المتمكّن كالقاصر، فهو خارج عن الآية، وأساسه اثنان، فقد الاستعداد مع غموض المطلب، أو وجوده مقروناً بالمانع من الوصول. ويصدق على الكلّ القاصر. وهذه الآية بضميمة ما قبلها تقسّم الناس على أقسام: ۱ـ المفترى على الله أو المكذّب بالحق. ۲ـ المجاهد فى سبيله. ۳ـ المحسن. أمّا الأوّل: فوصفه سبحانه بقوله: (ومَنْ أظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أو كَذَّبَ بِالحَقِّ لَمّا جَاءَهُ أَلَيسَ فى جَهَنَّمَ مَثوىً لِلكافِرِين)(العنكبوت|۶۸) وهذه الطائفة خارجة عن طريق الحقّ لا ترجى هدايتهم ووصولهم إلى الحق، بل كلّما ازدادوا سيراً ازدادوا بعداً وجهلاً. والثانى: يهديهم ربّهم إلى سبله لقوله سبحانه: (لَنَهدِيَنَّهُم سُبُلَنا)فَمَن أخطأ فلتقصير منه، إمّا لعدم إخلاصه فى السعى، أو لتقصيره فيه. والثالث: وصلوا إلى قمّة الكمال وصاروا مع الله سبحانه لقوله: (وإنّ اللهَ لَمَعَ المُحْسِنين) . وبذلك يعلم أنّه لا يصحُّ قصر مفاد الآية بالجهاد مع النفس مع ظهور إطلاقها وشمولها لغيره. (۹۵)

۴ـ قوله سبحانه: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتى فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبدِيلَ لِخَلقِ اللهِ ذلكَ الدِّينُ القَيِّمُ ولكِنَّ أكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُون) (الروم|۳۰) فإنّ قوله: (فِطرت الله)عطف بيان أو بدل من الدين نصب بفعل مقدّر ، مثل أعنى أو أخص، وإلّا لكان الواجب أن يكون مجروراً بحكم البدلية، ولازم ذلك أن تكون معرفته سبحانه أمراً فطرياً وخلقياً، لا يقبل القصور كسائر الأحاسيس والأُمور الوجدانية. أقول: إنّ الآية أوضح ما فى الباب وهى تدلّ على عدم وجود القاصر فى معرفة الربّ وأنّ للعالم خالقاً وصانعاً، وأنّه واحد لا شريك له فى ذاته، وهو أمر لا يقبل القصور ، إلّا إذا عاند الإنسان فطرته وأنكر وجدانه لغايات مادّية، كالانحلال من القيود الشرعية وغير ذلك، ولأجل ذلك لا يبعد ادّعاء عدم وجود القاصر فى أصل وجوده وتوحيده، وأمّا غير ذلك، فلا شك فى وجوده خصوصاً

بالنسبة إلى النبوّة والإمامة بين الرجال والنساء، لا سيما فى البلاد النائية التى تسيطر عليها الملاحدة. أضف إلى ذلك: أنّ كلمة (حنيفا)فى الآية أصدق شاهد على أنّ المراد من الدين هو توحيده سبحانه فى مقام الإشراك به، والحنيف جمعه الحنفاء هم الموحّدون فى مقابل المشركين. وأقصى ما يمكن أن يقال: إنّ الكبريات الورادة فى الدين فى مجال الفروع أيضاً فطرية، كالدعوة إلى التزويج، وإكرام الوالدين، وردّ الأمانة، وحرمة الخيانة، وغيرها من القوانين الجزائية والاقتصادية وغيرهما. ولكن القول به لا يوجب أن لا يوجد فى أديم الأرض جاهل قاصر لأنّ البحث فى الأُصول لا فى الفروع. (۹۶)

استدلال آخر على نفى الجاهل القاصر: ربّما يستدل على عدم تحقق الجاهل القاصر بضمّ العمومات الشرعية إلى ما يحكم به العقل، وبيّنه الشيخ الأعظم الأنصارى ـ قدّس سرّه ـ فى فرائده وقال ما هذا حاصله: ۱ـ دلّت العمومات على حصر الناس فى المؤمن والكافر. ۲ـ دلّت الآيات على خلود الكافرين بأجمعهم فى النار. ۳ـ دل الدليل العقلى بقبح عقاب الجاهل القاصر. فإذا ضمّ الدليل العقلى إلى العمومات المتقدمة ينتج أنّ من نراه عاجزاً قاصراً عن تحصيل العلم، قد يتمكّن من تحصيل العلم بالحقّ، ولو فى زمان ما، وإن صار عاجزاً قبل ذلك أو بعده، والعقل لا يقبح عقاب مثل ذلك. يلاحظ عليه بوجهين: الأوّل: أنّ حصر الناس فى المؤمن والكافر حصر غير حاصر فانّ الظاهر من الروايات، وجود الواسطة بينهما وهم القاصرون بوجه من الوجوه، وستوافيك رواياته فى الأمر الثانى. الثانى: أنّ الكبرى الثانية ناظرة إلى المتمكّن من المعرفة، لأنّ عقاب العاجز القاصر قبيح فضلاً عن خلوده فى النار ، فإذا بطلت الكبريتان فالقياس يكون عقيماً. إلى هنا تم الكلام فى الأمر الأوّل وحان البحث عن الأُمور الأُخرى وإليك البيان: (۹۷)

ب : هل الجاهل القاصر كافر أو لا ـ ؟ لا ـ شك أنّ الجاهل القاصر ليس بمؤمن إنّما الكلام هل هو كافر أو لا ؟ والمعروف بين المتكلّمين أنّه لا واسطة بين الإيمان والكفر، لأنّهما من قبيل العدم والملكة، مثلاً الإنسان إمّا بصير أو أعمى ولا ثالث لهما، هذا وإن كان صحيحاً من حيث الأبحاث الكلامية، لكنَّ الكلام فى إطلاق لفظة الكافر فى اصطلاح القرآن والسنّة عليه إذ من الممكن أن يكون للكافر اصطلاح خاص فيهما، فيختص بالجاحد أو الشاكّ مع التمكّن من المعرفة، ولا يعمّ غير المتمكّن أصلاً. وبعبارة أُخرى: ليس الكلام فى الثبوت ، حتّى يقال: إنّه لا واسطة بينهما، إنّما الكلام فى الإطلاق والاصطلاح. حيث يظهر من العديد من الروايات وجود الواسطة بينهما. وإليك نقلها: ۱ـ عن أبى جعفر الباقر ـ عليه السلام ـ فى تفسير قوله سبحانه: (إلاّ ـ المستضعفين ... لا يستطيعون حيلة)فيدخلوا فى الكفر (ولا يهتدون)فيدخلوا فى الايمان، فليس هم من الكفر والايمان فى شىء (۱) ۲ـ عن سماعة: وهم ليسوا بالمؤمنين ولا الكفّار(۲) وعن زرارة قال: قلت: لأبى عبد الله ـ عليه السلام ـ : أتزوّج المرجئة أو الحرورية أو القدرية؟ قال: لا عليك بالبله من النساء. قال زرارة: فقلت: ما هو إلاّ مؤمنة أو كافرة. فقال أبو عبد الله ـ عليه السلام ـ : فأين استثناء الله ، قول الله أصدق من قولك (إلاّ المستضعفين من الرجال والنساء)(۳)

---

۱ . البحار: ج ۶۹ ص ۱۶۲ باب المستضعفين ، الحديث ۱۶ .

۲ . المصدر نفسه: ص ۱۶۳ ، الحديث ۲۱. وسماعة من أصحاب الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ .

۳ . المصدر نفسه: ص ۱۶۴ باب المستضعفين ، الحديث ۲۴، ونظيره الحديث ۲۶.

۳ـ قال حمران: «سألت أبا عبد الله ـ عليه السلام ـ عن المستضعفين، قال: إنّهم ليسوا بالمؤمنين ولا بالكافرين وهم المرجون لأمر الله»(۱) ولاحظ الروايات الأُخر المذكورة فى ذلك الباب ولا نطيل الكلام بذكرها(۲). وقد أخرج سليم بن قيس حديثاً عن الإمام أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ يدلّ على وجود المستضعف فى مسائل فلاحظ (۳) فإن قلت: إنّ هناك روايات تدلّ على أنّ الشاك والجاحد كافر، والجاهل القاصر فى مجال المعارف بين شاك وجاحد، وربّما يكون غافلاً. روى عبد الله ابن سنان عن أبى عبد الله ـ عليه السلام ـ قال: من شك فى الله ورسوله فهو كافر (۴). وروى منصور بن حازم عن أبى عبد الله ـ عليه السلام ـ فيمن شك فى

رسول الله . قال: كافر (۵) وروى زرارة عن أبى عبد الله ـ عليه السلام ـ: لو أنّ العباد إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا لم يكفروا (۶) قلت: إنّ هذه الروايات ناظرة إلى المتمكّن، فإنّ الشك أو الجحد إذا استمرّا يكون آية التسامح فى التحقيق، والتقصير فى طلب الحقيقة. إلى هنا خرجنا بهذه النتيجة": إنّ القاصر فى مجال المعرفة لا موَمن ولا كافر، إلّا فيما كان العقل والفطرة كافيين فى التعرف على الحقّ وتمييزه عن الباطل كأصل المعرفة بالله وبعض صفاته، ويكون الكفر عندئذ عن تقصير ولا

---

۱ . البحار: ج ۶۹ ص ۱۶۵، الحديث ۲۹. قال سبحانه: (وآخرون مرجَون لاَمر الله إمّا يعذّبهم وإمّا يتوب عليهم والله عليم حكيم)(التوبة|۱۰۶).

۲ . لاحظ الاَحاديث فى نفس الكتاب ، الحديث ۳۰ و۳۴ .

۳ . المصدر نفسه: ص ۱۷۰ ـ ۱۷۱ ، الحديث ۳۶ .

۴ . الكافى: ج۲ ص ۳۸۶ باب الكفر، الحديث ۱۱، ۱۹.

۵ . الكافى: ج۲ ص ۳۸۶ باب الكفر، الحديث ۱۱، ۱۹.

۶ . الكافى: ج۲ ص ۳۸۶ باب الكفر، الحديث ۱۱، ۱۹.

(۹۹)

يكون الإنسان جاحداً لخالقه وبارئه إلّا لعامل روحى أو مادى يدفعانه إلى الانكار والجحد، أو الشك والترديد، وأمّا ما وراء ذلك فالجاهل القاصر متصوّر ومحقق فهو ليس بموَمن ولاـ كافر بالمعنى الذى عرفت. ج: الجاهل القاصر والحكم الوضعى: هل الجاهل القاصر محكوم بالاَحكام الوضعية الثابتة فى حقّ الكافر كنجاسته وحرمة ذبيحته وتزويجه على التفصيل المحرّر فى كتاب النكاح أو لا ؟ إنّ التصديق الفقهى يتوقّف على معرفة لسان الاَدلّة فى هذه الموارد، وأنّ الحكم هل هو مترتّب على عنوان غير المسلم؟ كأن يقول: ذبيحة غير المسلم نجس لاـ توَكل، أو هو مترتّب على عنوان الكافر ، أو على عنوان من لم يوَمن بالله ورسوله ... إلى غير ذلك من العناوين، ومن المعلوم أنّ الجاهل القاصر غير مسلم فيحكم بما يترتّب عليه، وأمّا الحكم المترتّب على الكافر فهو فرع القول بأنّه كافر ، وقد عرفت أنّ الروايات حاكمة على كونه غير موَمن ولا كافر، وأمّا العنوان الثالث، فالجاهل القاصر غير موَمن بالله ورسوله وما جاء به من الاَحكام الضرورية التى يرجع انكارها إلى انكار الرسالة، وبالجملة تجب ملاحظة العنوان وأنّه هل هو منطبق على الجاهل القاصر أولاـ ؟ وليس المقام مناسباً للتصديق الفقهى، فإحراز العناوين موكول إلى محلّها. د : هل الجاهل القاصر معاقب؟ قد ظهر ممّا ذكرنا حكم العقاب، فإنّه بحكم العقل مختص بالمقصّر، والمتمكّن من المعرفة، وأمّا غير المتمكّن فعقابه قبيح عقلاً ومرفوع شرعاً، إلّا أن يكون العقاب من لوازم الابتعاد عن الحق، وارتكاب الاَعمال المحرّمة بالذات، وبما أنّ حدود هذه القضية (كون الجزاء تمثّلاً للعقيدة والعمل وتجسّماً

(۱۰۰)

لهما) غير معلومة لنا، فلا يمكن الحكم بالعقوبة حتّى على هذا الاَصل، لاحتمال أن تكون الملازمة بين عقائد المتمكّن السخيفة، والجزاء والعذاب الاَليم، وبعبارة أُخرى: أن تكون الملازمة بين العصيان والعقاب لا المخالفة والعقاب، والمخالفة أعم من العصيان. هـ : المستضعف والجاهل القاصر: إنّ الجاهل القاصر من أقسام المستضعف ومن أوضح مصاديقه، والمراد منه هنا هو المستضعف الدينى لا السياسى، ولا المستضعف من ناحية الاقتصاد وأدوات الحياة، فلاَجل توضيح هذه الاَقسام الثلاثة نأتى بمجمل الكلام ونحيل التبسيط إلى محل آخر: الاستضعاف الدينى: المستضعف الدينى عبارة عمّن لا يتمكّن من معرفة الحق فى مجال العقائد أو من القيام بالوظيفة فى مجال الاَحكام، وفى الآيات اشارة إلى هذا الصنف من الاستضعاف قال سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفّاهُمُ المَلائِكَةُ ظالِمِى أَنْفُسِهِمْ قَالوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنّا مُسْتَضْعَفِينَ فى الاَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فيها فَأُولئِكَ مَأواهُمْ جَهَنَّمُ وَساءَتْ مَصِيراً * إلّا

المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِجالِ وَالنِساءِ وَالوِلْدانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبيلاً * فَأُولئِكَ عَسَى اللّهُ أن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكانَ اللّهُ عَفُوّاً غَفُوراً)(النساء|۹۷ـ ۹۹). إنّ الآية تقسّم من يموت على الكفر إلى قسمين: (۱۰۱)

۱ـ من ملك القدرة المالية والبدنية بالخروج عن أرض الشرك والكفر، والذهاب إلى دار الإيمان والإسلام، ولكنّه أخلد إلى الأَرض واتّبع هواه، وحان أجله فهوَلاء لو ماتوا على الكفر والشرك كانوا معذّبين، ولم يقبل لهم العذر بأنّهم كانوا مستضعفين فى الأَرض، إذ يجاب عليهم بأنّ أرض الله واسعة وكانوا متمكّنين من الخروج عن حومة الكفر بالمهاجرة، فهم لم يكونوا بمستضعفين حقيقة للتمكّن من كسر قيد الاستضعاف وإنّما اختاروا هذا الحال بسوء اختيارهم. وقسم ليست له مقدرة مالية أو بدنية ولا يهتدى سبيلاً، فهذا هو المستضعف الدينى لو مات على الكفر، فأُولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عَفوّاً غفوراً. وهم الذين أشار إليهم الذكر الحكيم فى آية أُخرى بقوله: (واخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ واللهُ عَلِيمٌ حَكيمٌ)(التوبة |۱۰۶). والوارد فى الآية الكريمة من الاستضعاف الدينى هو غير المتمكن من الخروج من أرض الشرك إلى أرض التوحيد، ولكن الملاك إذا كان هو عدم التمكّن فالأَقسام التالية كلّها من الاستضعاف الدينى: أ : من يتوطّن فى بلد لا ـ يتمكّن من تعلّم المعارف لخلوّه عن العالم العارف. ب : من لا يتمكّن ـ والحال هذه ـ من العمل بالوظائف لخلوّ قطره عن الفقيه والعارف بالأَحكام، ويشترك القسمان فى أنّهما غير متمكّنين من الخروج إلى بلد آخر ـ يتوفر فيه العارف والعالم. ج: من لا يتردّد فى عقائده ودينه ويراه أُصولاً رصينة كأنّها أفرغت من حديد أو رصاص كأكثر البوذيين فى المناطق الشرقية وأمثالها. د: من كان ضعيف العقل والاستعداد لا يهتدى لشىء لضعف عقله وتفكيره. وهذا هو الاستضعاف الفكرى الذى هو أيضاً قسم من أقسام

(۱۰۲)

الاستضعاف الدينى. كلّ ذلك من أقسام الاستضعاف الدينى. الاستضعاف السياسى: هناك قسم من الاستضعاف أولى بأن يسمّى الاستضعاف السياسى، وهم المؤمنون حقّاً القائمون بالوظائف بالخوف وتحت غطاء التقية غير أنّ قوى الكفر والشرك والعدوان قد وضعت فى طريقهم عراقيل وقهرتهم، وهم الذين دعا القرآن الكريم المسلمين الأَحرار إلى الجهاد ضد عدوّهم لتحريرهم من الاضطهاد، قال سبحانه: (وَمَا لَكُمْ لا تُقاتِلُونَ فى سَبيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدَانِ الّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هذِهِ القَرْيَةِ الظّالِمِ أَهْلُهَا وَ اجْعَل لَنا مِن لَدُنكَ ولِيّاً وَ اجْعَلْ لَنا مِن لَدُنْكَ نَصِيراً)(النساء|۷۵). وفى هذه الآية يدعو القرآن المسلمين الغيارى إلى التفدية والتضحية لتحرير إخوانهم المسلمين المكبّلين بالقيود، فما أحسن الحياة إذا كانت فى طريق الجهاد، وما أحسن التضحية إذا تمّت لتحرير الاخوان. الاستضعاف الاقتصادى: وهناك نوع من الاستضعاف وهو سلطة الأَغنياء على الفقراء واستنزاف دمائهم، ونهب ثرواتهم، واستغلال طاقاتهم بنحو من الأَنحاء، وإليه الاشارة فى قوله سبحانه: (وَنُرِيدُ أن نَمُنَّ عَلَى الّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فى الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوارِثِين)(القصص|۵) وما ورد حول الواجبات المالية من الزكاة والصدقات والأَخماس يشير إلى هذا النوع من الاستضعاف. وهذه عبرة عاجلة بمسألة الاستضعاف والتفصيل يطلب من محالِّه.

الجهة التاسعة :

الجهة التاسعة : دفاع عن الحقيقة فى الوقت الذى يتحالف فيه أعداء الإسلام الناهض، للقضاء على الصحوة الإسلامية الصاعدة ولا يشك أىّ ذى مسكة فى ضرورة توحيد الصفوف ورصّها للحفاظ على كيان الإسلام والمسلمين ومواجهة المؤامرات الخطيرة ... تقوم نعرة جاهلية جديدة تهدف إلى شق العصا وتفريق الصفوف، والحيلولة دون تقارب طوائف المسلمين لتحقيق الوحدة المطلوبة التى يخشاها المستعمرون، ويرهبها أعداء الإسلام من الصهاينة والصليبيّين الجدد. نرى أنّ رجلاً يعد نفسه فقيهاً مفتياً يقوم بتكفير طائفة كبيرة من المسلمين. لهم جذور فى التاريخ، وخدمات جليلة فى صالح الإسلام والمسلمين. ويجيب على سؤال بعثه إليه رجلٌ مجهول الاسم والهوية، وإليك السؤال والجواب: السؤال: يوجد فى بلدتنا شخص رافضى يعمل قصاب (۱) ويحضره أهل السنّة كى يذبح

ذبائحهم. وكذلك هناك بعض المطاعم تتعامل مع هذا الشخص الرافضى وغيره من الرافضة الذين يعملون فى نفس المهنة.. فما حكم التعامل مع هذا الرافضى وأمثاله؟ وما حكم ذبحه وهل ذبيحته حلال أم حرام؟ أفتونا مأجورين، والله ولى التوفيق. الجواب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

---

١ . هكذا وردت فى نص سؤال السائل والصحيح (قصاباً) لكونها حال.

(١٠۴)

وبعد فلا يحل ذبح الرافضى، ولا أكل ذبيحته فإنّ الرافضة غالباً مشركون، حيث يدعون على بن أبى طالب دائماً فى الشدة والرخاء، حتى فى عرفات والطواف والسعى، ويدعون أبناءه وأئمتهم كما سمعناهم مراراً. وهذا شرك أكبر، وردّة عن الإسلام يستحقّون القتل عليها كما هم يغالون فى وصف على رضى الله عنه ، ويصفونه بأوصاف لاتصلح إلاّ لله ، كما سمعناهم فى عرفات، وهم بذلك مرتدّون حيث جعلوه ربّاً وخالقاً ومتصرّفاً فى الكون ويعلم الغيب ويملك الضر والنفع، ونحو ذلك كما أنّهم يطعنون فى القرآن الكريم، ويزعمون أنّ الصحابة حرّفوه، وحذفوا منه أشياء كثيرة متعلّق بأهل البيت وأعدائهم. فلا يقتدون به ولا يرونه دليلاً. كما أنّهم يطعنون فى أكابر الصحابة كالخلفاء الثلاثة وبقية العشرة وأُمهات المؤمنين. فمشاهير الصحابة كأنس وجابر وأبى هريرة ونحوهم فلا يقبلون أحاديثهم لأنّهم كفّار فى زعمهم، ولايعملون بأحاديث الصحيحين إلاّ ما كان عن أهل البيت ويتعلّقون بأحاديث مكذوبة ولا دليل فيها على ما يقولون، ولكنّهم مع ذلك يفتون فيقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم. ويخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك. ويقولون من لا تقية له فلا دين له فلا تقبل دعواهم فى الآخرة و ... الخ. فالنفاق عقيدة عنهم كفى الله شرهم وصلى الله على محمد واله وصحبه وسلم. جبرين

۲۲|۲|۱۴۱۲ هذا هو نص السؤال والجواب وقبل أن نخوض فى الإجابة على ما ساق من التهم على الشيعة. نتبّه على أُمور: ١ ـ السنّة الرائجة فى الإجابة على الأسئلة الفقهية هو الاقتصار على نفس الفتوى. وكان على المفتى أن يقتصر على تحريم الأكل من دون حاجة إلى التفصيل. وما جاء به يعرب عن أنّ هناك مؤامرة، وأنّ السؤال والجواب دبّرا بليل. فالمقصود إيجاد القلق وإشاعة التهم ضد الشيعة سواء أصحَّ السؤال أو لا وهل كان هناك سائل أم لا ؟. (١٠۵)

٢ ـ إنّ الكلمة التى يستخدمها العوام فى التعبير عن هذه الطائفة هو لفظ الشيعة، وأمّا الرافضى وهى كلمة يستخدمها أصحاب المقالات وكتّاب الملل والنحل. فاستخدام كلمة الرافضى بدل كلمة الشيعة يرشدنا إلى أنّ السؤال كان مصطنعاً ممّن لهم ممارسة فى تكفير الفرق. ٣ ـ سواء أصحت تلك التهم أم لا فقد أسماهم النبى الأكرم بشيعة على بن أبى طالب وقال: ياعلى أنت وشيعتك هم الفائزون، وهم اختاروا لأنفسهم تلك الكلمة. فاستخدام الرافضى فى هذا المجال من قبيل التنابز بالألقاب، وهو أمر محرم على كل تقدير. ۴ ـ إنّ المجيب يقول: فإنّ الرافضة غالباً مشركون، وهذا يدل على أنّ فيهم موحدين، أو ليس من واجب المفتى أنّ يسأل السائل عن القصاب الذى يذبح ذبائحهم هل هو من الغالب أو من غيرهم، فلا يحكم على البرىء بحكم المجرم. ومن أدراه أنّ الذى يذبح هو من المشركين. كل ذلك يسوقنا إلى أنّ الهدف لم يكن إرشاد العوام ولا الإجابة على السؤال وإنّما كان الهدف إيجاد البلوى والشغب وضرب المسلمين بعضهم ببعض لتصفو المياه للمستعمرين. إذا وقفت على ذلك فترجع إلى الإجابة عن التهم الباطلة التى أُجيب عنها فى طيّات القرون عشرات المرات. ونحن نعلم أنّ خلافاً دام قروناً لا يرتفع بهذه الرسالة وأمثالها. غير أنّا نقوم بواجبنا الذى أولى به الرسول" صلى الله عليه وآله وسلم "فى كلامه المشرق": اذا ظهرت البدع فليظهر العالم علمه وإلاّ فعليه لعنة الله. " وأى بدعة أفضع من تكفير أُمة كبيرة تعد ربع المسلمين أو أكثر وليس لهم جريمة سوى حب أهل البيت الذين أمر الله سبحانه بمودّتهم وسوى المشايعة للثقلين الذين أمر النبى" صلى الله عليه وآله وسلم "بالتسمك بهما. (١٠۶)

وحدة الأُمة أُمنية النبى" صلى الله عليه وآله وسلم "الكبرى : إنّ وحدة الكلمة كانت أُمنية النبى" صلى الله عليه وآله وسلم "العليا، فقد

كـان رسول الاِسـلام محمّـد بن عبـد الله" صـلى الله عليه وآله وسـلم "يهـدف دائمـاً إلى توحيـد المسـلمين ويحافظ أبـداً على وحـدة صفوفهم، ويسـعى إلى إطفـاء أيـة نـائرة أو ثائرة تهـدد هـذه الوحـدة. فيوم دخل شاب يهودى مجتمع الاَوس والخزرج الـذين جمعهم الاِسـلام بعـد طول نزاع وتشاجر وتقاتل، وأخـذ يـذكّرهم بما وقع بينهم فى عهـد الجاهلية، من قتال، فأحيى فيهم الحميّة الجاهليّة حتى استعدّوا للنزاع والجدال، وكادت نيران الفتنة تثور من جديد بينهم بعد أن أشـعلها ذلك اليهودى المتامر، وتواثب رجلان من القبيلتين وتقاولا، وبلغ ذلك رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم "فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم، فقال": يا معشر المسـلمين! الله الله أبـدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله بالاِسـلام وأكرمكم به وقطع عنكم أمر الجاهلية، واسـتنقذكم من الكفر، وألّف بين قلوبكم ("۱) فإذا كانت هذه هى أهمية الوحدة فى الاُمة الاِسلامية فما جزاء من يرفع عقيرته يريد تفريق صفوف المسـلمين بفتوى ظالمة مخالفة لنصوص الكتاب العزيز والسـنّة المحمدية الشريفة؟ وهو بذلك لا يخدم إلّا القوى الاستعمارية الكافرة المعادية للاِسلام والمسلمين إذ لا ينتفع من هذه الفتوى المفرّقة، غيرهم. ما جزاء هذا المتسمّى باسم أهل العلم المتصدّى لمقام الدعوة والاِفتاء؟ ينبرى فى وقت أشـد ما يكون فيه المسـلمون إلى التآخى والتقارب ينجّس ويكفِّر طائفة كبرى من طوائف المسـلمين. فيقول: "لايحل ذبح الرافضى ـ ويقصد به

---

۱ . السيرة النبوية: ۲ | ۲۵۰ .

(۱۰۷)

شيعة الاِمام على ـ عليه السـلام ـ من أتباع الاِسلام ـ ولا أكل ذبيحته، فإنّ الرافضة غالباً مشركون حيث يدعون على بن أبى طالب دائماً فى الشدة والرخاء حتى فى عرفات والطواف والسـعى ويدعون أبناءه وأئمتهم كما سـمعناهم مراراً وهذا شرك أكبر وردّة عن الاِسلام يسـتحقّون القتل عليها كما هم يغلون فى وصف على رضـى الله عنه ويصـفونه بأوصاف لا تصـلح إلّا لله كما سمعناهم فى عرفات وهم بذلك مرتدّون حيث جعلوه ربّاً وخالقاً ومتصـرّفاً فى الكون!! "إنّ هذا الرجل يتطاول على شـيعة أهل البيت ـ عليهم السـلام ـ ويذلقهم بلسان حادّ ويتّهمهم بالشـرك والارتداد بينما هو يسكت ويخرس فى قضية سلمان رشدى الذى تجرّأ على رسول الله وأُمّهات المؤمنين وأصـحاب النبى" صلى الله عليه وآله وسلم "وتجاسر عليهم ومسّ كرامتهم، ونال من شرفهم، ولا يشير إلى ارتداد سلمان رشدى، وهو ينشـر تلك الترّهات والاِساءات إلى المقـدّسات الاِسـلامية. وما هذا السـكوت إلّا لاَنّ أسـيادهم يرفضون تكفير رشدى، بينما يتكلّفون خلق الشـبهات الباطلـة لاِلصاقهـا بشـيعة أهـل البـيت ـ عليهم السـلام ـ وتكفيرهم ويغمضون عيونهم عن الحقـائق الناصـعة الـتى تحكى إيمـانهم الصـادق بـالله ورسوله وكتـابه وأحكامه وإنّهم صـفوة الله ورسوله وأهل بيته فى رفع شأن هـذا الـدين وحمل هموم المسـلمين والـدفاع عنهم والعمل على ترسـيخ وحـدتهم على مرّ العصور والاَزمان. كما أنّ الغايـة من هذا التكفير هو التغطية على جريمة السـماح باستيطان جنود اليهود والنصارى فى أرض مكـة والمدينة المقدسة، وبهذا أثبتوا صـلتهم بالاَجانب المسـتعمرين. أجل للتغطية على هذا العار وتحريفاً لاَذهان ومشاعر الشـعوب الاِسـلامية الجريحة بسـبب تدنيس الاَمريكان وحلفائهم لاَرض المقدسات مكة والمدينة، عمد المدعو عبد الله بن عبد الرحمان الجبرين إلى تكفير الشيعة ورميهم

(۱۰۸)

بالشرك، ليخفى الحقيقة عن المسلمين غافلاً عن أنّ الشعوب الاِسلامية قد أصبحت اليوم واعية تميّز بين الحق والباطل ولم تعد تخفى عليها حقيقة المدعو" جبرين "ونظرائه من مفرّقى الصـفوف الاِسلامية، تحت غطاء الدفاع عن التوحيد. وإلّا فما ذنب الشيعة إلّا كونهم موالين لاَئمـة أهـل البيت الـذين" أذهـب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. "كمـا فرض فى الكتـاب مـودّتهم وجعلهـا أجراً للرسـالة المحمديـة؟ ما ذنب الشـيعة إلّا كونهم أُمـة مقاومـة للاسـتعمار البغيض رافضـة لخططه الجهنمية، أُمة مجاهدة امتزجت حياتهم بالجهاد والدفاع عن حياض الاِسـلام الحنيف ... والنبى واله الكرام. وهو رمز معاداة الكفر لهم؟ ما هو ميزان التوحيد والشرك؟ لقد كان رسول

الله" صلى الله عليه وآله وسلم "يكتفى فى قبول الإسلام من الذين يريدون الانضواء تحت رايته بمجرّد الشهادة بالوحدانية واستقبال القبلة والصلاة. قال رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم" : "من شهد أن لا إله إلاّ الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم ("۱) وقال" صلى الله عليه وآله وسلم" : "أُمِرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله ، فإذا شهدوا أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا وصلّوا صلاتنا حرمت علينا دماوَهم وأموالهم إلاّ بحقّها(۲).

---

۱ . جامع الأُصول: ۱|۱۵۸.

۲ . راجع صحيح البخارى: ۲، وصحيح مسلم: ۶، وجامع الأُصول: ۱|۱۵۸ ـ ۱۵۹.

(۱۰۹)

بهذا كان يكتفى رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم "لإطلاق وصف الإسلام على الأشخاص من دون أن ينبّش فى أعرافهم الاجتماعية وممارساتهم التقليدية، عند احترام شخصياتهم وتكريمهم. فما بال المدعو" الجبرين "وأضرابه يكفّرون بسهولة أُمة كبيرة من الموحدين المؤمنين بالرسالة المحمدية، التابعين للعترة الطاهرة المجاهدين للكفار والمستعمرين؟ مع أنهم يشهدون بالوحدانية والرسالة والمعاد ويصلّون ويصومون ويحجّون ويزكّون. وهل يحق لهم التكفير وقد نهاهم رسول الإسلام" صلى الله عليه وآله وسلم" عن ذلك فى أكثر من حديث صحيح تنقله مصادر السنّة والشيعة": كفّوا عن أهل لا إله إلاّ الله لا تكفّروهم بذنب، فمن كفّر أهل لا إله إلاّ الله فهو إلى الكفر أقرب". "من قذف مؤمناً بكفر فهو كقاتله، ومن قتل نفساً بشىء عذّبه الله بما قتل". "إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فهو كقتله، ولعن المؤمن كقتله(۱). هل دعاء الصالحين عبادة لهم وشرك؟ يقول صاحب هذه الفتوى الظالمة الباطلة: إنّ الرافضة مشركون حيث يدعون على بن أبى طالب دائماً فى الشدة والرخاء. إنّه يتمسّك بهذه الحجة (أى دعاء الأولياء الصالحين فى الشدة والرخاء) لرمى الشيعة المسلمين المؤمنين بالكفر والشرك. وهو أكبر حججهم لتكفير عامة المسلمين وليس خصوص الشيعة وهو لا يدرك أن دعاء الأولياء يقع على وجهين: الأوّل: دعاء الولىّ ونداوَه بما أنّه عبد صالح تستجاب دعوته عند الله إذا

---

۱ . راجع جامع الأُصول: ۱ و ۱۰ و ۱۱، وكنز العمال للمتقى الهندى۱.

(۱۱۰)

طلب منه تعالى شيئاً، وهو شىء أباحه القرآن بل أمر به إذ قال: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إذ ظَلَمُوا أنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ و اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوّاباً رَحِيماً)(۱) عن يعقوب ـ عليه السلام ـ أنّه لما طلب منه أبناوَه أن يدعو لهم ويستغفر لذنبهم قال: (سَوفَ أستغفِرُ لَكُم)وهو أمر جائز وجارٍ فى حياة النبى ـ عليه السلام ـ وأهل بيته وحال مماته، إذ الموت لا يغيّر الموضوع كما أنّه ليس دخيلاً فى مفهوم التوحيد والشرك، ما دام الداعى يؤمن بالله الواحد ويعتبره الرب الخالق والمدبر المستقل دون سواه. روى الطبرانى عن أبى أُمامة بن سهل بن حنيف عن عمّه عثمان بن حنيف: أنّ رجلاً ـ كان يختلف إلى عثمان بن عفان فى حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ـ ينظر فى حاجته، فلقى ابن حنيف فشكى ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: إئت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصلّ فيه ركعتين ثم قل: اللّهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد" صلى الله عليه وآله وسلم "نبى الرحمة يا محمد إنّى أتوجه بك إلى ربى فتقضى لى حاجتى، فتذكر حاجتك ورح حتى أروح معك. فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان (رض) فجاء البوّاب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان (رض) فأجلسه معه على الطنفسة، فقال: حاجتك؟ فذكر حاجته فقضاها له ثم قال له: ما ذكرتُ حاجتك حتى كان الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فاذكرها. ثم إنّ الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيراً ما كان ينظر فى حاجتى ولا يلتفت إلىّ حتى كلمته فىّ. فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلّمتُه ولكنّى

شهدت

---

۱ . النساء: ۶۴.

(۱۱۱)

رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم "وقد أتاه ضرير فشكى إليه ذهاب بصره فقال له النبى" صلى الله عليه وآله وسلم : "فتصبّر، فقال: يارسول الله ليس لى قائد، فقد شق علىّ، فقال النبى" صلى الله عليه وآله وسلم" : "إئت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات. "قال ابن حنيف: فوالله ما تفرّقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنّه لم يكن به ضرّ قط (۱) إنّ هذه الرواية ونظائرها تكشف عن أنّ الصحابة كانوا يدعون رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم "ويتوسّلون به حتى بعد وفاته" صلى الله عليه وآله وسلم "من دون أن يعتبروا ذلك محرّماً بل ولا مكروهاً. الثانى: لا شك أنّ دعاء النبى أو الصالح ونداءهما والتوسّل بهما باعتقاد أنّه إله أو ربّ أو خالق أو مستقلّ فى التأثير أو ملك للشفاعة والمغفرة شرك وكفر، ولكنّه لا يقوم به أىّ مسلم فى أقطار الأرض، بل ولا يخطر ببال أحد وهو يقرأ آيات الكتاب العزيز آناء الليل وأطراف النهار، ويتلو قوله سبحانه: (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ الله) (۲)؟ (أَ ءِلَهٌ مَعَ اللهِ تَعالَى اللهُ عَمّا يُشْرِكُون) (۳) (قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِى رَبّاً...)(۴) (قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَراً ولا نَفْعاً إلاّ مَا شَاءَ الله) (۵) إنّ المسلمين لا يعتقدون فى النبى وأهل بيته المطهرين: (فاطمة وعلى والحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ) إلاّ كونهم عباداً صالحين مقرَّبين عند الله مستجابة دعوتُهم. ولا يعتقدون بغير ذلك من ربوبية أو إلوهية أو مالكية للشفاعة

---

۱ . الحافظ الطبرانى: المعجم الكبير: ۹|۱۶ و ۱۷.

۲ . فاطر: ۳.

۳ . النمل: ۶۳.

۴ . الأنعام: ۱۶۴.

۵ . يونس: ۴۹.

(۱۱۲)

والمغفرة أبداً. ولكنّ القوم الذين عمدوا إلى تكفير الشيعة وغيرهم من المسلمين لم يفرّقوا بين الدعائين والندائين، فرموهما بسهم واحد. ثم يقول المدعو جبرين": حيث جعلوه ـ أى علياً ـ عليه السلام ـ ـ رباً وخالقاً ومتصرفاً فى الكون "ويالها من كذبة وقحة، وفرية فاضحة، وتهمة للمسلمين الموحدين. فما الرب عند المسلمين شيعة وسنّة، وما الخالق وما المتصرف الحقيقى فى الكون إلاّ الله سبحانه دون سواه ... وهذه كتبهم ومصنفاتهم فى العقائد والحديث والتفسير، فهى طافحة بالاعتراف والإقرار بوحدانية الله تعالى فى الذات والصفات والخالقية والتدبير والحاكمية والتشريع والطاعة، والعبودية والشفاعة والمغفرة. وكيف ترى يحق لجبرين ونظرائه أن يكفّروا المسلمين شيعة وسنّة الذين يوحّدون الله ، بشىء لم يعتقدوا به ولم يقولوا به؟ ولو صحّ أنّ دعاء أحد يستلزم القول بإلوهيته أو ربوبيته ويعدّ هذا الدعاء والنداء شركاً وكفراً فكيف نادى ودعا إخوة يوسف، أخاهم يوسف وقالوا: (يَا أَيُها العَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إنّ الله يَجْزِى المُتَصَدّقِينَ)(۱)؟ ولم يعتبر القرآن هذا شركاً. فهل النبى الأكرم محمد "صلى الله عليه وآله وسلم "أقل شأنا ودرجة من عزيز مصر يوسف الصديق ـ عليه السلام ـ ؟!

---

۱ . يوسف: ۸۸.

(۱۱۳)

وأمّا كون النبى محمد" صلى الله عليه وآله وسلم "يختلف عن العزيز بأنّه ميت فهو عذر تافه وكلام باطل، إذ حياة النبى وأهل بيته الشهداء فى سبيل الله فى البرزخ أمر مسلّم، كيف والقرآن الكريم يقول: (وَلا تَحْسَبَنَّ الّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبّهِمْ يُرزَقُون)(۱)وقال: (وَلا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فى سَبِيل اللهِ أموَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لا تَشْعُرُون) (۲) مع العلم أنّ الشهداء يأتون فى المرتبة الثالثة فى قوله تعالى: (فَأُولَئِكَ مَعَ الّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النّبِيّينَ والصّدّيقِينَ والشُّهَدَاءِ والصّالِحين) (۳) لو كان رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم "ميتاً فما معنى قوله" صلى الله عليه وآله وسلم" : "ما من أحد يسلّم علىَّ إلاّ ردّ الله عزّ وجلّ علىّ روحى حتى أرد عليه السلام (۴) ؟ وقوله" صلى الله عليه وآله وسلم" : "صلّوا علىّ فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم ("۵) إنّ النبى الاَكرم، والاَئمة الطاهرين من أهل بيته الذين يشاركونه فى الطهر والقداسة لآية التطهير والمباهلة والمودة، والذين قُتِلوا فى سبيل الله ودفاعاً عن حياض الشريعة المحمدية المقدسة، متماثلون فى الحياة بعد الموت، فكيف يكون نداوَهم ودعاوَهم دعاء للميت الذى لا يسمع؟ العلم بالغيب على نوعين: ويقول جبرين فى فتواه": وجعلوه ـ يعنى علياً ـ يعلم الغيب. "

---

۱ . آل عمران: ۱۶۹.

۲ . البقرة: ۱۵۴.

۳ . النساء: ۶۹.

۴ . سنن أبى داود: ۲ |۲۱۸، وكنز العمال: ۱۰|۳۸۱، وغيرهما من كتب الحديث.

۵ . نفس المصدر.

إنّ صاحب هذه الفتوى الباطلة جاهل حتى باللغة العربية والمصطلح الدينى، فإنّ العلم بالغيب فى الكتاب العزيز هو العلم النابع من الذات (أى من ذات العالم) غير المكتسب من آخر وهذا يختص بالله الواحد الاَحد، وإليه يشير قوله سبحانه: (قُلْ لا يَعْلَمُ مَن فِى السَّمَواتِ والاَرضِ الغَيْبَ إلاّ الله) (۱) وأمّا الإخبار بالغيب بتعليم من الله فالكتاب العزيز والسنّة الشريفة مليئان منه. فهذه سورة يوسف تخبرنا بأنّ يعقوب وابنه يوسف ـ عليهما السلام ـ قد أخبرا عن حوادث مستقبلية كثيرة.. أى أخبرا بالغيب: ۱ ـ لمّا أخبر يوسف والده بأنّه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين له، قال يعقوب ـ عليه السلام ـ: (يا بُنَىّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدا) (۲)وبذلك أخبر ضمناً عن مستقبله المشرق الذى لو عرف به إخوته لثارت عليه حفائظهم. ۲ ـ لمّا أخبر صاحبا يوسف فى السجن يوسفَ بروَياهما قال ـ عليه السلام ـ لمن أخبره بأنّه يعصر خمراً: (أمّا أَحَدُكُما فَيَسْقِى رَبّهُ خَمراً)وقال للثانى ـ الذى قال إنّه رأى يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه ـ: (وأمّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيرُ مِن رَأسِهِ) (۳) ۳ ـ لما فصلت العير قال أبوهم "يعقوب: ("إنّى لَاَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أن تُفَنّدُون)(۴). ۴ ـ قال النبى عيسى ـ عليه السلام ـ لقومه فى معرض بيان معاجزه

---

۱ . النمل: ۶۵.

۲ . يوسف: ۵.

۳ . يوسف: ۴۱.

۴ . يوسف: ۹۴.

وبيّناته: (وأُنَبّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُم) (۱) أليست كل هذه إخبارات بالغيب، ومغيّبات أنبأ بها الرسلُ؟ وإذا هى ثبتت لنبىّ جاز نسبتها إلى العترة الطاهرة لما لهم من المنزلة والمكانة العيا، وهل علىّ ـ عليه السلام ـ أقلّ شأناً من هارون ـ عليه السلام ـ وقد

قال النبى فى شأنه": يا على أما ترضى أن تكون منّى بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبى بعدى؟ ("۲)الذى يعنى أنّه له ما للرسول إلاّ ـ أنّه ليس نبياً، لختم النبوة برسول الله محمد" صلى الله عليه وآله وسلم . "كيف لا ـ وعلى ـ عليه السلام ـ وارث علم رسول الله بإجماع الأُمة الإسلامية، وهل علىّ ـ عليه السلام ـ أقل من كعب الأَحبار الذى أخبر الخليفة الثانى بأنّه سيموت بعد ثلاثة أيام وتحقّقت هذه النبوءة فعلاً (۳) وهلاّ ـ علم" جبرين "ما أخرجه قومه فى أئمتهم من العلم بالغيب ففى مسند أحمد: (۱|۴۸ و ۵۱) : أن عمر بن الخطاب أخبر بموته بسبب روَيا رآها وكان بين روَياه وبين يوم مصرعه اسبوع واحد (۴)؟ الشيعة وصيانة القرآن عن التحريف : ويقول جبرين فى فتواه الجائرة على شيعة أهل البيت": كما أنّهم يطعنون فى القرآن الكريم. "..إنّ الشيعة أيّها الشيخ لا يطعنون فى القرآن ولا يقولون بوقوع التحريف فيه. ولكن غيرهم قال بهذا، راجع تفسير الجامع لأَحكام القرآن للقرطبى:

---

۱ . آل عمران: ۴۹.

۲ . جامع الأُصول: ۸|۶۵۰.

۳ . الرياض النضرة: ۲|۷۵.

۴ . مسند أحمد: ۱|۴۸ و ۵۱.

۱۴|۱۱۳: وكانت هذه السورة (أى سورة الأَحزاب) تعدل سورة البقرة وكانت فيها آية الرجم (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم) . ذكره أبو بكر الأَنبارى عن أُبى بن كعب. ثم قال: وقد حدثنا أحمد بن الهيثم بن خالد قال: حدثنا أبو عبيد القاسم ابن سلاّم قال: حدثنا ابن أبى مريم عن أبى لهيعة عن أبى الأَسود عن عروة عن عائشة، قالت: كانت سورة الأَحزاب تعدل على عهد رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم "مائتى آية، فلما كُتِبَ المصحف لم يقدر منها إلاّ على ما هى الآن (۱) وروى أيضاً عن أُبى بن كعب قوله": فو الذى يحلف به أُبى بن كعب إنّها كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم: (والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم) . وفى موطّأ مالك قال عمر بن الخطاب: والذى نفسى بيده، لولا أن يقول الناس زاد عمر بن الخطاب فى كتاب الله تعالى لكتبتُها": الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة فإنّا قد قرأناها(۲. ")إذن فأين ذهبت هذه الآية؟ وجاء فى صحيح البخارى ومسند أحمد: قال عمر بن الخطاب: ... ثم إنّا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : (أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو فإن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم) (۳) فهذا هو الخليفة يصرّح بسقوط آى من القرآن الحكيم!

---

۱ . تفسير الجامع: ۱۴|۱۱۳.

۲ . الموطأ: ۱۰، الحدود.

۳ . صحيح البخارى: ۴|۱۷۹، مسند أحمد: ۱|۵۵.

أمّا ما يقوله الشيعة حول القرآن الكريم فإليك طائفة من أقوال أبرز شخصياتهم القدامى والمتأخّرين نذكرها على سبيل المثال لا الحصر: ۱ ـ قال الشيخ الصدوق (المتوفى ۳۸۱هـ) فى رسالته التى وضعها لبيان معتقدات الشيعة الإمامية: اعتقادنا أنّ القرآن الذى أنزله الله تعالى على نبيه محمد" صلى الله عليه وآله وسلم "هو ما بين الدفتين وهو ما بأيدى الناس ليس بأكثر من ذلك. ثم قال: ومن نسب إلينا أنا نقول إنّه أكثر من ذلك فهو كاذب (۱) ۲ ـ قال الشريف المرتضى (المتوفى عام ۴۳۶هـ) : إنّ العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة، فإنّ العناية اشتدّت والدواعى توفّرت على نقله

وحراسته، وبلغت إلى حدٍّ لم يبلغه فيما ذكرناه، لَانّ القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والاَحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا فى حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شىء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيّراً ومنقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد؟ (۲). ۳ ـ وقال الشيخ الطوسى (المتوفى ۴۶۰هـ) : وأمّا الكلام فى زيادته ونقصانه فممّا لا يليق بهذا الكتاب المقصود منه العلم بمعانى القرآن، لَانّ الزيادة مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه وهو الاَليق بالصحيح من مذهبنا (۳). ۴ ـ قال العلاّمة الحلّى (المتوفى ۷۲۶هـ) فى أحد موَلفاته: الحق أنّه لا تبديل ولا تأخير ولا تقديم فيه (أى القرآن) وأنّه لم يزد ولم ينقص ونعوذ بالله تعالى من أن يعتقد مثل ذلك وأمثال ذلك، فإنّه يوجب التطرّق إلى معجزة

---

۱ . اعتقادات الإمامية المطبوعة مع شرح الباب الحادى عشر.

۲ . مجمع البيان: ۱|۱۵.

۳ . مقدّمة تفسير التبيان.

الرسول" صلى الله عليه وآله وسلم "المنقولة بالتواتر (۱). ۵ ـ وقال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (المتوفى عام ۱۳۷۳هـ) : وإنّ الكتاب الموجود فى أيدى المسلمين هو الكتاب الذى أنزله الله إليه" صلى الله عليه وآله وسلم "للإعجاز والتحدى ولتعليم الاَحكام ولتمييز الحلال والحرام، وانّه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة وعلى هذا إجماعهم (أى إجماع الشيعة الإمامية)(۲). ۶ ـ وقال السيد محسن الاَمين العاملى (المتوفى عام ۱۳۷۱هـ) : لا يقول أحد من الإمامية لا قديماً ولا حديثاً إنّ القرآن مزيد فيه قليل أو كثير فضلاً عن كلّهم، بل كلّهم متفقون على عدم الزيادة ومن يُعتدّ بقوله من محقّقيهم متفقون على أنّه لم ينقص منه، ومن نسب إليهم خلاف ذلك فهو كاذب مفترٍ مجترىَ على الله ورسوله(۳). ۷ ـ وقال الإمام شرف الدين العاملى (المتوفى عام ۱۳۷۷هـ) : كل من نسب إليهم تحريف القرآن فإنّه مفتر ظالم لهم، لاَنّ قداسة القرآن الحكيم من ضروريات الدين الإسلامى ومذهبهم الإمامى ـ إلى أن قال: ـ وتلك كتبهم فى الحديث والفقه والاُصول صريحة بما نقول: والقرآن الحكيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إنّما هو ما بين الدفتين وهو ما فى أيدى الناس لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً ولاتبديل لكلمة بكلمة ولا لحرف بحرف، وكل حرف من حروفه متواتر فى كل جيل تواتراً قطعياً إلى عهد الوحى والنبوة (۴).

---

۱ . أجوبة المسائل المهناوية: ۱۲۱، المسألة ۱۳.

۲ . أصل الشيعة وأُصولها: ۱۳۳.

۳ . أعيان الشيعة: ۱|۴۱.

۴ . الفصول المهمة: ۱۶۳.

۸ ـ وقال السيد الإمام الخمينى ـ قدّس سرّه ـ : إنّ الواقف على عناية المسلمين بجمع الكتاب وحفظه وضبطه قراءة وكتابة يقف على بطلان تلك المزعمة. وماورد فيه من أخبار ـ حسبما تمسّكوا ـ إمّا ضعيف لا يصلح للاستدلال به أو مجعول تلوح عليه امارات الجعل، أو غريب يقضى بالعجب، أمّا الصحيح منها فيرمى إلى مسألة التأويل والتفسير وأنّ التحريف إنما حصل فى ذلك لا فى لفظه وعباراته. وتفصيل ذلك يحتاج إلى تأليف كتاب حافل ببيان تاريخ القرآن والمراحل التى قضاها طيلة قرون ويتلخّص فى أنّ الكتاب العزيز هو عين ما بين الدفتين لا زيادة فيه ولانقصان، وأنّ الاختلاف فى القراءات أمر حادث ناشئٌ عن اختلاف فى الاجتهادات من غير أن يمس جانب الوحى الذى نزل به الروح الاَمين على قلب سيد المرسلين (۱). ۹ ـ وقال السيد الإمام الگلبايگانى ـ قدّس سرّه ـ : الصحيح من

مـذهبنا أنّ كتاب الله الكريم الـذى بأيـدينا بين الـدفتين هو ذلك الكتاب الذى لا ريب فيه من لدن عزيز حكيم، المجموع المرتّب فى زمـانه (أى النبى" صـلى الله عليـه وآله وسـلم "وعصـره) بـأمره بلاـ تحريـف وتغيير وزيـادة ونقصـان والـدليل على ذلـك تـواتره بين المسلمين، كلاًّ وبعضاً، ترتيباً وقراءة... (۲)

۱۰ ـ وللسـيـد الاِمام الخوئى ـ قـدّس سـرّه ـ: بحث مفصل يوَكد فيه على خلو القرآن الكريم من أيّة زيادة أو نقيصة فى مقدمة تفسيره البيان (۳). هذه هى نماذج صـريحة تعكس عقيدة الشـيعة الاِمامية منذ القديم وإلى الآن حول القرآن الكريم، وكلّها توَكد على صيانة الكتاب العزيز من أيّة زيادة أو

---

۱ . تهذيب الأُصول: ۲|۱۶۵.

۲ . البرهان للبروجردى: ۱۵۶ ـ ۱۵۸.

۳ . ارتحل الاِمام الخوئى (قدّس سرّه) إلى بارئه فى ۸ صفر ۱۴۱۳ هـ ق .

(۱۲۰)

نقيصـة وخلوّه من كل تغيير أو تبـديل، فكيف يتّهم" جبرين "الشـيعة الاِماميـة بأنهم يطعنون فى القرآن؟ وأمّا الروايات فهى مضافاً إلى كونهـا ضـعيفة شاذة، أو مجعولـة موضوعـة لا يأبه بها الشـيعة الاِماميـة ـ لاتشـكل عقيـدة الشـيعة الاِماميـة، إذ ليس كل ما فى الروايات يعكس عقيدتهم، حتى يوَاخذون عليها، حتى لو افترضت صـحة بعضـها سـنداً ـ فكيف يوَاخذون عليها والحال أنّها ـ كما قلناه ـ ليسـت بصـحيحة. إنّ القرآن الكريم حسب عقيـدة المسـلمين سـنّة وشـيعة الـذى بأيدى الناس هو ما نزل على رسول الله" صـلى الله عليه وآله وسـلم "فى جميع خصوصياته الحاضرة. وكما لا يعبأ أعلام السنّة بروايات التحريف الواردة فى مصادرهم، كذلك لا يأبه علماء الشيعة أيضـاً بمـا ورد فى بعض مصـادرهم لضـعفها وشـذوذها، وظهور آثـار الاختلاق عليها. الصـحابة فى مرآة القرآن والحـديث: وأمّا قول "جبرين: "حول موقف الشـيعة الاِمامية من الصحابة ففيه مغالطة وتغطية للحق إذ لا تجد على أديم الأرض مسلماً يعتنق الاِسلام ويحب النبى الأـكرم، يبغض أصـحاب النبى الأـكرم بمـا أنّهم أصـحابه وأنصاره، بل الكل ينظر إليهم فى هـذا المجال بنظر التكريم والتبجيل، ومن أبغضـهم أو سـبّهم بهـذا المنظار، فهو كافر، أبعـده الله . ولكن إذا صـدر منهم فعل لا يوافق الكتاب والسـنّة فقام أحـد بـذكر فعله وتوصـيف حاله حسب دلالـة عمله وفعله عليه وقال: إنّه ركب الخطاء، أو صدرت منه المعصـية، أو قتل نفساً بغير نفس، إلى غير ذلك من المحرّمات والموبقات، فقد تبع القرآن الكريم والسنّة النبوية والسلف الصالح. (۱۲۱)

فحب الصـحابى بمـا هو صـحابى أمر، وتوصـيف أعمـاله وأفعاله ـ إن خيراً فخير وإن شـراً فشـر ـ أمر آخر يهـدف إلى الموضوعيـة فى البحث، والقضاء والابتعاد عن العشوائية فى الاعتقاد"، والجبرين "لايفرّق بين الأمرين ويضربهما بسهم واحد لغايات سياسية. إنّ صحبة الصـحابة لم تكن بأكثر ولا أقوى من صـحبة امرأة نوح وامرأة لوط فما أغنتهما من الله شـيئاً، قال سبحانه: (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلّذِينَ كَفَرُوا امرَأتَ نُوحٍ و امرَأَةَ لُوطٍ كانَتا تَـحْتَ عَبْـدَيْنِ مِن عِبَادِنَا صَالِحَينَ فَخَانَتَاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللهِ شَـيْئاً وَقِيلَ ادخُلا النارَ مَعَ الـدّاخِلِين) (۱). إنّ التشـرّف بصـحبة النبى لم يكن أكثر امتيـازاً وتـأثيراً من التشـرّف بالزواج من النبى، وقـد قال سـبحانه فى شأن أزواجه: (يانِسَاءَ النّبِىّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَـةٍ مُبَيّنَةٍ يُضَاعَفْ لَها العَذَابُ ضِعْفَينِ وكانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِـيرا) (۲). وكما أنّهم كانوا مختلفين فى السـن عند الانقياد للاِسـلام، كذلك كانوا مختلفين أيضاً فى مقدار الصحبة، فبعضهم صحب النبى" صلى الله عليه وآله وسلم "من بدء البعثة إلى لحظة الرحلة، وبعضـهم أسـلم بعد البعثة وقبل الهجرة، وكثير منهم أسـلموا بعد الهجرة وربما أدركوا من الصـحبة سـنة أو شـهراً أو أياماً أو ساعات. فهل يصـح أن نقول: إنّ صـحبةً مّا قلعت ما فى نفوسـهم جميعاً من جـذور غير صالحـة وملكات رديئة وكوّنت منهم شخصـيات ممتازة أعلى وأجل من أن يقعوا فى إطار التعديل والجرح. إن تأثير الصحبة عند من يعتقد بعدالة الصحابة كلّهم أشبه شىء بمادة كيمياوية تستعمل فى تحويل عنصر كالنحاس إلى عنصر آخر كالذهب، فكأن

۱ . التحريم: ۱۰ .

۲ . الاَحزاب: ۳۰ .

(۱۲۲)

الصحبة قلبت كل مصاحب إلى إنسان مثاليّ يتحلّى بالعدالة، وهذا ممّا يردّه المنطق والبرهان السليم، وذلك لاَنّ الرسول الاَعظم "صلى الله عليه وآله وسلم "لم يقم بتربية الناس وتعليمهم عن طريق الاِعجاز (فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أجْمَعِين)(۱). بل قام بإرشاد الناس ودعوتهم إلى الحق وصبهم في بوتقة الكمال مستعيناً بالاَساليب الطبيعية والاِمكانات الموجودة كتلاوة القرآن الكريم، والنصيحة بكلماته النافذة، وسلوكه القويم وبعث رسله ودعاة دينه إلى الاَقطار، ونحو ذلك. والدعوة القائمة على هذا الاَساس، يختلف أثرها في النفوس حسب اختلاف استعدادها وقابلياتها فلا يصح لنا أن نرمي الجميع بسهم واحد. الصحابة في الذّكر الحكيم: نرى أنّ الذكر الحكيم يصنّف صحابة النبي" صلى الله عليه وآله وسلم "ويمدحهم ضمن أصناف نأتي ببعضها: ۱ ـ السابقون الاَوّلون: يصف الذكر الحكيم السابقين الاَوّلين من المهاجرين والاَنصار والتابعين لهم بإحسان بأنّ الله رضي عنهم وهم رضوا عنه. قال عزّ من قائل: (والسّابِقُونَ الاَوّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ والاَنصَارِ وَالّذينَ اتّبَعُوهُم بِإحسانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي تَحتَها الاَنهارُ خَالِدِينَ فِيها أَبَداً ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيم) (۲). ۲ ـ المبايعون تحت الشجرة: ويصف سبحانه الصحابة الذين بايعوه

۱ . الاَنعام: ۱۴۹ .

۲ . التوبة: ۱۰۰ .

(۱۲۳)

تحت الشجرة بنزول السكينة عليهم قائلاً في محكم كتابه: (لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً) (۱). ۳ ـ المهاجرون: وهؤلاء هم الذين يصفهم تعالى ذكره بقوله: (لِلفُقَرَاءِ المُهاجِرِينَ الّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولئِكَ هُمُ الصّادِقُون) (۲). ۴ ـ أصحاب الفتح: وهؤلاء هم الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى في آخر سورة الفتح بقوله: (مُحَمّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالّذِينَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلَى الكُفّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكّعاً سُجّداً يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التّوراةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الاِنجيل كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاستَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرّاعَ لِيَغِيظ بِهِمُ الكُفّارَ وعَدَ اللهُ الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ مِنْهُم مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) (۳). ۵ ـ الاَصناف الاُخرى للصحابة: فالناظر المخلص المتجرّد عن كل رأي مسبق يجد في نفسه تكريماً لهوَلاء الصحابة.

۱ . الفتح: ۱۸ .

۲ . الحشر: ۸ .

۳ . الفتح: ۲۹ .

(۱۲۴)

غير أنّ الرأي الحاسم في عامّة الصحابة يستوجب النظر إلى كل الآيات القرانية الواردة في حقّهم، فعندئذ يتبيّن لنا أنّ هناك أصنافاً أُخرى من الصحابة غير ما سبق ذكرها، تمنعنا من أن نضرب الكلّ بسهم واحد، ونصف الكل بالرضا والرضوان. وهذا الصنف من الآيات يدل بوضوح على وجود مجموعات من الصحابة تضاد الاَصناف السابقة في الخلقيات والملكات والسلوك والعمل: أ ـ

المنـافقون المعروفون: المنافقون المعروفون بالنفاق الـذين نزلت فى حقّهم سورة" المنافقون "قال سـبحانه: (إذَا جَاءَكَ المُنافِقُونَ قَالُوا نَشْـهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ واللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ واللهُ يَشْـهَدُ إِنّ المُنـافِقِينَ لَكاذِبُون...)إلى آخر السورة .(۱) فهذه الآيات تعرب بوضوح عن وجود كتلـة قويّـة من المنافقين بين الصـحابة آنـذاك، وكان لهم شأنٌ ودورٌ فى المجتمع الاِسـلامى فنزلت سورة قرانيـة كاملـة فى حقهم. ب ـ المنافقون المختفون: تدل بعض الآيات على أنّه كانت بين الاَعراب القاطنين خارج المدينة ومن نفس أهل المدينة جماعة مردوا على النفاق وكان النبى الاَعظم لا يعرف بعضـهم ومن تلك الآيات قوله سـبحانه: (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِنَ الاَعْرابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ (۲)لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُم) (۳).

---

۱ . المنافقون: ۱.

۲ . مردوا على النفاق: تمرّنوا عليه ومارسوه.

۳ . التوبة: ۱۰۱.

(۱۲۵)

لقـد أعطى القرآن الكريم عنايـة خاصـة بعصـبة المنافقين وأعرب عن نواياهم ونـدّد بهم فى السور التاليـة: البقرة، آل عمران، المائـدة، التوبة، العنكبوت، الاَحزاب، محمد، الفتح، الحديد، المجادلة، الحشر، والمنافقون. وهذا إن دلّ على شىء فإنّما يدلّ على أنّ المنافقين كانوا جماعـة هائلـة فى المجتمع الاِسـلامى بين معروف، عرف بسـمة النفاق ووسـمة الكذب، وغير معروف بذلك مقنّع بقناع التظاهر بالاِيمـان والحبّ للنبى، فلو كـان المنـافقون جماعـة قليلـة غير موَثرة لما رأيت هـذه العنايـة البالغـة فى القرآن الكريم. وهناك ثلّـة من المحقّقين كتبوا حول النفـاق والمنـافقين رسائل وكتابات وقـد قام بعضـهم بإحصاء ما يرجع إليهم فبلغ مقـداراً يقرب من عشـر القرآن الكريم ، وهذا يدل (۱) على كثرة أصـحاب النفاق وتأثيرهم يوم ذاك فى المجتمع الاِسـلامى، وعلى ذلك لا يصـح لنا الحكم بعدالة كل من صـحب الرسول" صـلى الله عليه وآله وسـلم "مع غض النظر عن تلك العصابة، المتظاهرة بالنفاق والمختفية فى أصحاب النبى "صـلى الله عليه وآله وسـلم . "ج ـ مرضـى القلوب: وهـذه المجموعـة من الصـحابة لم يكونوا من زمرة المنافقين بل كانوا يتلونهم فى الروحيات والملكات مع ضعف فى الاِيمان والثقة بالله ورسوله ۶، قال سبحانه بحقّهم: (وَإِذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ والّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إلاّ غُرُورا) (۲). فأنّى لنا أن نصف مرضـى القلوب الذين ينسـبون خُلف الوعد إلى الله سبحانه وإلى الرسول" صلى الله عليه وآله وسلم"بالتقوى والعدالة؟

---

۱ . النفاق والمنافقون: تأليف الاَستاذ: إبراهيم على سالم المصرى.

۲ . الاَحزاب: ۱۲. (۱۲۶)

د ـ السـمّاعون: تلك المجموعة كانت قلوبهم كالريشة فى مهبّ الريح تميل إلى هؤلاء تارة وإلى أُولئك أُخرى، وذلك بسبب ضعف إيمانهم وقد حذّر البارى عزّ وجلّ المسـلمين منهم حيث قال عزّ من قائل، واصـفاً إيّاهم بالسمّاعين لاَهل الريب: (إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الّذِينَ لا ـ يُؤْمِنُونَ بِـاللهِ وَاليَوْمِ الآـخِرِ و ارْتَـابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدّدَونَ * وَلَوْ أَرَادُوا الخُرُوجَ لاَعَـدُّوا لَهُ عُـدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انبعـاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُـدُوا مَعَ القَاعِـدِينَ * لَوْ خَرَجُوا فيكُمْ ما زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلاَوْضَـعُوا خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَـمّاعُونَ لَهُمْ واللهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمين) وذيل الآيـة دليل(۱) على كون السـمّاعين من الظالمين لا من العـدول. هـ ـ خالطو العمل الصالح بالسـيّء: وهؤلاء هم الـذين يقومون بالصـلاح والفلاـح تارة، والفساد والعبث أُخرى، فلاَجل ذلك خلطوا عملاً صالحاً بعمل سـيّء، قال سـبحانه: (وَاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً واخَرَ سَـيّئاً) (۲). و ـ المشـرفون على الارتداد: إنّ بعض الآيات تدل على أنّ مجموعة من الصـحابة كانت قد أشـرفت على الارتداد يوم دارت عليهم الدوائر، وكانت الحرب بينهم وبين قريش طاحنة فأحسّوا بالضـعف، وقد أشرفوا على

الارتداد وقد عرّفهم الحق سبحانه بقوله: (وطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقّ ظَنَّ الجَاهِلِيّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا

---

۱ . التوبة: ۴۵ ـ ۴۷.

۲ . التوبة: ۱۰۲.

(۱۲۷)

مِنَ الاَمْرِ مِنْ شَىءٍ قُلْ إِنَّ الاَمْرَ كُلَّهُ للهِ يُخْفُونَ فِى أَنفُسِهِم مَا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الاَمْرِ شَىءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنا) (۱). ز ـ الفاسق: إنّ القرآن الكريم يحثُّ المؤمنين وفى مقدّمتهم الصحابة، على التحرّز من خبر الفاسق حتى يتحقّق التبيّن. فمَن هذا الفاسق الذى أمر القرآن بالتحرّز من خبره؟ إقرأ أنت ماورد حول الآية من شأن النزول واحكم بما هو الحق قال سبحانه: (يَا أَيُّها الّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) (۲). فإنّ من المجمع عليه بين أهل العلم أنّه نزل فى حق الوليد بن عقبة بن أبى معيط وذكره المفسّرون فى تفسير الآية فلا نحتاج إلى ذكر المصادر. كما نزل فى حقه قوله تعالى: (أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتوُون) (۳). نقل الطبرى فى تفسيره باسناده أنّه كان بين الوليد وعلىّ، كلام فقال الوليد: أنا أسلط منك لساناً، وأحدُّ منك سناناً وأردُّ منك للكتيبة. فقال على: اسكت فانّك فاسق، فأنزل الله فيهما: (أَفَمَن كانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُون) .(۴)

وقد نظم الحديث حسانُ بن ثابت (شاعر عصر الرسالة) وقال:

---

۱ . آل عمران: ۱۵۴.

۲ . الحجرات: ۶.

۳ . السجدة: ۱۸.

۴ . تفسير الطبرى: ۲۱|۶۰، وتفسير ابن كثير: ۳|۴۶۲.

(۱۲۸)

أنزل الله والكتاب عزيز فى على وفى الوليد قرآنا

فتبوّأ الوليد إذ ذاك فسقاً وعلـىّ مبوأٌ إيمانا

سوف يدعى الوليدُ بعد قليلو علىّ إلى الحساب عيانا

فعلىّ يجزى بذاك جنانا ووليدٌ يُجزى بذاك هوانا(۱) أفهل يمكن لباحث حرّ، التصديقُ بما ذكره ابن عبد البر وابن الاَثير وابن حجر، وفى مقدّمتهم أبو زرعة الرازى الذى هاجم المتفحّصين المحقّقين فى أحوال الصحابة واتّهمهم بالزندقة؟ ح ـ المسلمون غير المؤمنين: إنّ القرآن يعدّ جماعة من الاَعراب الذين رأوا النبى وشاهدوه وتكلّموا معه، مسلمين غير مؤمنين وأنّهم بعدُ لم يدخل الإيمان فى قلوبهم، قال سبحانه: (قَالَت الاَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَم تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمّا يَدْخُلِ الإِيمانُ فى قُلُوبِكُمْ وَإن تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لايَلِتْكُم مِنْ أعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيم)(۲). أفهل يصح عدُّ عصابة غير مؤمنة من العدول الاَتقياء؟! ط ـ المؤلّفة قلوبهم: اتّفق الفقهاء على أنّ المؤلّفة قلوبهم ممّن تصرف عليهم الصدقات، قال سبحانه: (إِنَّما الصَّدَقَاتُ لِلفُقَراءِ وَالمَسَاكِينِ والعَامِلِينَ عَلَيْها وَالمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ

---

۱ . تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزى: ۱۵، وكفاية الكنجى: ۵۵ ومطالب السؤول لابن طليحة: ۲۰، وشرح النهج، الطبعة القديمة: ۲|۱۰۳، وجمهرة الخطب لاَحمد زكى: ۲|۲۲، لاحظ الغدير: ۲|۴۳.

۲ . الحجرات: ۱۴.

(۱۲۹)

وَفِي الرِّقَابِ والغَارِمِينَ وفی سَبِيلِ اللهِ و ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ واللهُ عَلِيمٌ حَكِيم) (۱). والمراد من "المولّفة قلوبهم: "الذين كانوا فی صدر الإسلام ممّن يظهرون الإسلام، يتألّفون بدفع سهم من الصدقة إليهم لضعف يقينهم. وهناك أقوال أُخر فيهم متقاربة، والكلّ يهدف إلى الإعطاء لمن لايتمكن إسلامُه حقيقةً إلّا بالعطاء(۲). ی ـ المولُّون أمام الكفّار: إنّ التولّی عن الجهاد والفرار منه، من الكبائر الموبقة التی ندّد بها سبحانه بقوله: (يَا أَيُّها الّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلَا تُوَلُّوهُمُ الاَدْبار * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أو مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْواهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِير) (۳). إنّ التحذير من التولّی والفرار من الزحف، والحث على الصمود أمام العدو، لم يصدر من القرآن إلّا بعد فرار مجموعة كبيرة من صحابة النبی فی غزوة "أُحد "و" حنين. "أمّا الاَوّل: فيكفيك قول ابن هشام فی تفسير الآيات النازلة فی أُحد، قال": ثم أنّبهم بالفرار عن نبيهم وهم يُدعون، لا يعطفون عليه لدعائه إيّاهم فقال: (إذْ

---

۱ . التوبة: ۶۰.

۲ . تفسير القرطبی: ۸|۱۸۷، المغنی لابن قدامة: ۲|۵۵۶.

۳ . الاَنفال: ۱۵ ـ ۱۶.

(۱۳۰)

تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُم) (۱). وأمّا الثانی: فقد قال ابن هشام فيه أيضاً: فلمّا انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم " من جفاة أهل مكة الهزيمة، تكلّم رجالٌ منهم بما فی أنفسهم من الضغن فقال أبو سفيان بن حرب: لاـتنتهی هزيمتهم دون البحر، وصرخ جبلة بن حنبل: ألاـبَطَلَ السحرُ اليوم... (۲) أفبعد هذا يصح أن يعدّ جميع الصحابة، بحجة أنّهم رأوا نور النبوة، عدولاً أتقياء؟ قال القرطبی فی تفسيره: قد فرّ الناس يوم" أُحد "وعفی الله عنهم وقال الله فيهم يوم حنين: (ثم وليتم مدبرين)ثم ذكر فرار عدّة من أصحاب النبی من بعض السرايا (۳). هذه هی الاَصناف العشرة من صحابة النبی "صلى الله عليه وآله وسلم " ممّن لايمكن توصيفهم بالعدالة والتقوى، أتينا بها فی هذه العجالة مضافاً إلى الاَصناف المضادة لها. ولكن نلفت نظر القارئ الكريم إلى الآيات الواردة فی أوائل سورة البقرة وسورة النساء وغيرها من الآيات القرانية فيرى فيها أنّ الإيمان بعدالة الصحابة بأجمعهم خطأ فی القول، وزلّة فی الرأی، يضاد نصوص الذكر الحكيم، ولم يكن الصحابة إلّا كسائر الناس فيهم صالح تقی بلغ القمة فی التقی والنزاهة، وفيهم طالح شقی سقط إلى هوّة الشقاء والدناءة. ولكن الذی يميّز الصحابة عن غيرهم أنّهم رأوا نور النبوّة وتشرّفوا بصحبة النبی" صلى الله عليه وآله وسلم " وشاهدوا معجزاته فی حلبة المباراة بأمّ أعينهم، ولاَجل ذلك تحمّلوا مسؤُولية كبيرة أمام الله وأمام رسوله وأمام الاَجيال المعاصرة لهم واللاحقة بهم، فإنّهم ليسوا كسائر الناس، فزيغهم وميلهم عن الحق أشد ولا يعادل زيغ أكثر الناس وانحرافهم. وقد قال

---

۱ . آل عمران: ۱۵۳.

۲ . سيرة ابن هشام: ۳|۱۱ و ۴|۴۴۴، ولاحظ التفاسير.

۳ . تفسير القرطبی: ۷|۳۸۳.

(۱۳۱)

سبحانه فی حق أزواج النبی" صلى الله عليه وآله وسلم : (" يَانِسَاءَ النَّبِيّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النّساء) (۱)فإن انحرف هؤلاء فقد انحرفوا فی

حال شهدوا النور، ولمسوا الحقيقة، وشتّان بينهم وبين غيرهم. الصحابة فى السنّة النبوية : ونذكر فى المقام بعض ماورد فى مصادر أهل السنّة أنفسهم حول بعض الصحابة وليس كلّهم والعياذ بالله . ففى صحيح البخارى: فى تفسير سورة المائدة بسنده عن ابن عباس قال: خطب رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم ... ـ " إلى أن قال: ـ ويجاء برجال من أُمتى فيوَخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يارب أصحابى، فيقال إنّك لا تدرى ما أحدَثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح: (وَكُنْتُ عَلَيْهِم شَهيداً مَادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِم)(۲) فيقال إنّ هؤلاء لم يزالوا مرتدّين على(۳)أعقابهم منذ فارقتهم . ورواه الترمذى فى تفسير سورة الأنبياء أيضاً وجاء فى موطأ مالك: عن أبى النضر أنّه بلغه أنّ رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم " قال لشهداء أُحد: هؤلاء أشهد عليهم، فقال أبو بكر: ألسنا يارسول الله إخوانهم، أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟ فقال رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم : " بلى ولكن لا أدرى ما تحدثون بعدى. فبكى أبو بكر ثم قال: أئنّا لكائنون بعدك؟ (۴) وهل أتى الشيعة الإمامية بجديد إذا كانوا يفرّقون فى الحب والمودة بين جماعة وأُخرى، وقد أمر القرآن بذلك فى أكثر من آية؟

---

۱ . الأحزاب: ۳۲.

۲ . المائدة: ۱۱۷.

۳ . صحيح البخارى: ۳|۱۲۷.

۴ . الموطأ: ۱|۳۰۷، كتاب الجهاد ـ الشهداء فى سبيل الله .

(۱۳۲)

ثم إنّ" جبرين "وأمثاله لماذا يغمضون عيونهم عن حقائق القرآن ولا يصارحون الناس بها بدل اتّخاذ هذا الموقف الشريف الذى يمليه الحق والإنصاف؟ لماذا يعمد إلى تكفير طائفة كبرى من طوائف المسلمين وهم الشيعة الإمامية ويراهم مستحقّين للقتل والإبادة، ولا يوجّه مثل هذه الفتوى ضد الصهاينة فى فلسطين، والأمريكان الذى يدنّسون بأحذيتهم الصليبية أرض وبلد المقدّسات؟ لماذا لا يحارب الفساد الأخلاقى والسياسى فى مشرق الإسلام ومهجر الرسول، ولا ـ يفكر فى تسيّب الشباب هناك وتسرّب اللّادينية، والانحراف العقيدى إلى أذهانهم البريئة؟! لماذا تصدر هذه الفتوى فى هذا الظرف الذى انهارت فيه الشيوعية، واعترف "غورباتشوف "بأن السبب الرئيسى وراء هذا المصير القائم فى الاتحاد السوفيتى هو نسيان الله وتجاهل الفطرة التى فطر الناس عليها كما قال فى خطاب الاستقالة موَخراً؟! وهو الأمر الذى ذكَّره به الإمامُ الراحلُ الخمينى فى رسالَتِهِ التاريخية إليه. لماذا فى مثل هذا الظرف الهامّ الذى يتوجّه العالم إلى الإسلام ويتطلّع المستضعفون إلى المسلمين، وهو أمر يفرض العمل الجاد لتوحيد صفوف المسلمين وإظهارهم فى مظهر الأُمة الواحدة القوية على اختلاف مذاهبها ومسالكها التى تتمحور حول أُصول الإيمان وتتّفق فيها وإن اختلفت فى بعض الاجتهادات الفرعية العلمية؟! أقول: لماذا ينبرى مجلسُ الإفتاء السعودى متمثّلاً بالمدعوّ" جبرين "وبعض زملائه إلى شق عصا المسلمين وإثارة النعرات الطائفية، وعزل أكبر قطعة من جسم الأُمّة الإسلامية التى هى الآن صخرة صمّاء أمام تلاطم أمواج الكفر والاستكبار رافعة راية لا إله إلاّ الله ، كلمةً وعملاً وظهرها ومتكأها هو البارى

(۱۳۳)

صاحب الكلمة، فأين يا ترى موقفه أمام أعداء الإسلام اليوم وكيف سيواجه خالقه وقد أفرح بفعلته هذه قلوب المستكبرين والظلمة والمنافقين؟!! وهل أذنب الشيعةُ إذا هم اتّبعوا وأحبوا مَن أمرَ القرآن باتّباعهم ومحبّتهم من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهراً والذين فرض محبتهم ومودتهم بقوله: (قُلْ لا ـ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاّ المَوَدَّةَ فِى القُرْبَى) (۱)؟ المطلوب موَتمر للحوار العلمى الدينى : نحن ندعو علماء الوهابية إلى حوار علمى صريح وبنّاءٍ يحضره علماء المسلمين لمناقشة ما يعتقدونه، أوّلاً، وما يرمون به المسلمين ويكفّرونهم بسببه ثانياً، إنهاءً لهذه المواقف المضرّة بالمسلمين وقطعاً لدابر الفتنة والاختلاف. نحن نهيب بمفكرى الأُمّة

الإسلامية وبالشباب فى البلاد الإسلامية أن يضغطوا على مجلس الإفتاء السعودى ليقبل بالدخول مع علماء الشيعة الإمامية بصورة خاصة، وعلماء الطوائف الإسلامية الأُخرى بصورة عامة فى حوار علمى جادّ... لوضع حدٍّ لمُسلسل التكفيرات والمذابح الناشئة عنها، ونحن نحمّل المسلمين كلّ الجرائم التى ستنشأ من هذه التكفيرات التى تعكس أهداف الاستعمار الحاقد، لو سكتوا وتركوا الأمر. وإنّنا لنحذّر المسلمين بأنّ هذا الموقف الصادر من "الجبرين "ونظرائه الذين لايهمّهم إلاّ تكفير المسلمين ورميهم بالشرك تاركين الصهاينة والصليبيّين يسرحون ويمرحون فى بلاد الإسلام، لن يقتصر على الشيعة الإمامية بل سيشمل الطوائف الأُخرى، لأنّ الوهابيين الذين يرفعون شعار التوحيد يكفرّون عامة المسلمين إلاّ أنفسهم، فهل من مدّكر؟!.

---

١ . الشورى: ٢٣.

الجهة العاشرة:

الجهة العاشرة : فى الوحدة الإسلامية إنّ الإسلام يؤكد على وحدة المسلمين، والتمسّك بالعروة الوثقى ونبذ كل مايهدم هذه الوحدة من التهم والظنون أو التكفير والتفسيق، ويراها أمراً ضرورياً للمسلمين، وترى الترغيب فى الأُلفة والوحدة إذا تدبّرت معانى الآيات النازلة فى هذا المجال حيث قال سبحانه: ١ـ (إنَّما المُؤْمِنُونَ إخْوَةٌ)(الحجرات ـ ١٠) . ٢ـ (وَالمُؤْمِنُونَ والمُؤمِناتُ بَعْضُهُمْ أوْلِياءُ بَعْض)(التوبة ـ ٧١) . ٣ـ (مُحَمّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالّذِينَ مَعَهُ أشِدّاءُ عَلَى الكُفّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُم)(الفتح ـ ٢٩) . ۴ـ (وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا)(آل عمران ـ ١٠٣) . فهذه الآيات كلّها تدعو إلى الوحدة والألفة، وهناك آيات تنبذ الفرقة وتردّها قال سبحانه: ١ ـ (وَلا تَكُونُوا كَالّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِمَا جَاءَهُمُ البيّناتُ وأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم)(آل عمران ـ١٠۵) . ٢ ـ (إنَّ الّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىء إنَّما أمْرُهُمْ إلى اللهِ ثُمَّ يُنَبّئُهُم بِما كَانُوا يَفْعَلُون)(الأنعام ـ ١۵٩) . (١٣۵) ٣ ـ (أنْ أقِيمُوا الّدِينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيه)(الشورى ـ ١٣) . ۴ ـ (وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِه)(الأنعام ـ ١۵٣) . وكما أنّ الكتاب يدعو إلى الوحدة ويحذّر عن التفرّق فهكذا السنّة تتلو تلو الكتاب. قال رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم" : " لا تدخلون الجنّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنون حتى تحابّوا، أوَلا أدلّكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم ("١) وقال" صلى الله عليه وآله وسلم" : " الدين النصيحة" قالوا: لمن يارسول الله ؟ قال": لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامّتهم والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ("٢) وقال" صلى الله عليه وآله وسلم" : " ذمّة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم وهم يد على من سواهم فمن أخْفَر (٣) مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه يوم القيامة صدق ولا عدل ("۴) وقال": إيّاكم والظّن فانّ الظّن أكذب الحديث، ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا، ولاتدابروا، ولاتباغضوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثةأيام" (۵) وقال" صلى الله عليه وآله وسلم" : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه يوم القيامة ("۶). إلى غير ذلك من الأحاديث الحاثّة للمسلمين على الوئام والتالف والتوادد

---

١ . المتقى الهندى: كنز العمال: ١۵|٨٩٢ و ٣|۴١٣.

٢ . المتقى الهندى: كنز العمال: ١۵|٨٩٢ و ٣|۴١٣.

٣ . أخفر: نقض عهده.

۴ . الحاكم: المستدرك: ٢|١۴١، ومسند أحمد: ١|١٢۶ و ١۵١.

۵ . المتقى الهندى، كنز العمال: ١۶|٨۶ و ١|١۵٠.

۶ . المتقى الهندى، كنز العمال: ۱۶|۸۶ و ۱|۱۵۰.

(۱۳۶)

ونبذ الفرقة والاختلاف والتشاجر والتشاحن، والطرد والاِقصاء. هذه هى الآيات الكريمة والسنّة النبوية المشرَّفة تدعو إلى الوئام، وبينما نحن على العكس ندعو بأفعالنا وأقلامنا إلى الفرقة والاختلاف، فيتّهم ويسب ويكفّر بعضنا بعضا، وكأنّ الجميع قد نسوا أنّ العدو الذى يتحيّن الفرص لسحقهم، هو غير الشيعى والسنّى، وإنّما هو معسكر الغرب وأذنابه ودعاته وموَيّدوه، وقد نصبوا شراكهم لعامّة الفرق الاِسلامية بدون استثناء ليصبحوا فريسة لاَهدافهم. إنّ بعض أصحاب القلم من المسلمين قد انسحبوا من جبهة الصراع مع أعدائهم الحقيقيّين ولجأوا إلى جبهة معارضة ضد إخوانهم وكأنّه ليس لهم على وجه البسيطة عدو سواهم، وهذا موَسف جداً. إنّ الوحدة الاِسلامية أُمنية كل مسلم عاقل عارف بما حِيْك للمسلمين من مصائد فى هذه الاَيام لاستغفالهم، ولاتتحقّق الوحدة إلّا بالتفاهم بين الفرق لوجود الاُصول المشتركة بينهم ثم السماح لكلّ فرقة أن تجتهد فى غيرها. فمثلاً، انّ المتعة والزواج الموَقت مسألة فرعية دام الاختلاف فيها منذ عصر الخلفاء وحتى يومنا هذا، وهى مسألة فقهية قرانية حديثية، فمن قائل بكونها حلالاً فى عصر الرسول باقية على حكمها إلى عصرنا هذا، إلى قائل بأنّها نسخت فى عصر الرسول وكانت حلالاً سنين وشهوراً، إلى ثالث بأنّها نهى عنها الخليفة عمر بن الخطاب، والتحريم سنّة له. ولكلٍّ حجّته ودليله، فللمصيب أجران وللمخطئ أجر واحد، ومع ذلك نرى أنّ هذه المسألة أوجدت ضجة كبرى بين المعارضين للشيعة، وكأنّ القول بالحلّية إفتاء بالكفر، فما أكثر الخلاف فى المسائل الفرعية بين أئمة المذاهب، فلماذا يتّخذ ذلك الخلاف كقميص عثمان ضد شيعة أهل البيت. (۱۳۷)

إنّ أعلام الشيعة منذ منتصف القرن الثالث ملاَوا رسائلهم بنفى التحريف عن الكتاب العزيز، وربما وجد فيهم من اغترّ ببعض المراسيل الموجودة فى كتب الفريقين الروائية، ومع ذلك نجد أنّ المعارض يذكر الاَخير ويتناسى تصريح مئات علماء الشيعة على عدم التحريف. نحن الشيعة كلّما تكلّمنا عن تغلّب معاوية على الاُمّة وابتزازه الاِمرة عليها بغير رضا منها وقتله شيعة على ـ عليه السلام ـ تحت كل حجر، وأخذه بالظنّة والتهمة، وقتله الصحابى الجليل حجر بن عدى الكندى الذى أنهكه الورع والعبادة، والصحابى العظيم الآخر: عمرو بن الحمق بالوحشية والقسوة، إلى غير ذلك من فظائع الاَعمال، وقبائح الاَفعال. قام أصحاب القلم من السنّة بتبرير أعماله بالاجتهاد، وأنّه كان مجتهداً فيما رأى وعمل. وكلّما تكلّمنا عن عمرو بن العاص وخيانته التى ارتكبها فى مسألة التحكيم والخدعة التى قام بها بوجه أبى موسى الاَشعرى، برّروا عمله بأنّه صدر منه عن اجتهاد. وكلّما تحدّثنا عن جمل البصرة، وراكبته، وقائدة الجيش الجرّار ضد الاِمام المختار من قبل المهاجرين والاَنصار، بل الاِمام المنصوص عليه من قبل الله يوم الغدير فى محتشد عظيم، قالوا: إنّها كانت مجتهدة عارفة بوظيفتها. وإذا قلنا: إنّه سبحانه يأمرها بلزوم البيت النبوى بقوله عزّ من قائل: (وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنّ)(الاَحزاب ـ ۳۳) قالوا: إنّ أساس عملها الاجتهاد، وإن كانت خاطئة. فإذا كان باب الاجتهاد واسعاً إلى هذا الحد الذى يُبرَّر به قتل النفوس الموَمنة، وتخضيب الاَرض بالدماء الطاهرة، واستئصال الصحابة العدول، فلماذا لا يبرَّر به اجتهاد الشيعة فى الفروع والاَحكام العملية، فى مجال تجويز المتعة

(۱۳۸)

والتقية، ومسح الاَرجل، وترك التثويب وقبض اليد اليسرى باليمنى، إلى غير ذلك من الفروع التى اختلفت فيها كلمات فقهاء الشيعة عن أهل السنّة. فلماذا باؤكم تجرُّ وباؤنا لا تجر (تِلكَ إذاً قِسْمَةٌ ضِيزى). ففى هذا الجو المفعم بالعداء والتباغض وسوء الظن لاتتحقّق الوحدة، بل تتقوّى الفرقة وتتثلم العروة الوثقى. إنّ الشيعة فى عصرى الاَمويين والعباسيين كانوا فريسة للظالمين، ولم يكن لهم محيص إلّا التقية فإنّها سلاح الضعيف وعليها جُبلت طبيعة البشر وشرّعها الاِسلام فى الظروف الحرجة، وربما تحرم التقية التى جاء بها القرآن الكريم فى سورتين مباركتين (۱) وأطبق على جوازها كل المفسّرين، إذا توقف حفظ الكرامة وصيانة الحق على تركها، ومع ذلك نرى أنّه يشنّع بها على الشيعة ويُزدرى بها عليهم كأنّهم جاءوا بأمر فظيع. وأنت إذا قرأت تاريخ الشيعة وما حاقت بهم من بلايا

ومصائب من أخذهم بالظنّة والتهمة، وقتلهم تحت كل حجر ومدر، وصلبهم على مشانق البغى، تقف على أنّه لم يكن لهم محيص للحفاظ على حياتهم إلّا التقية. نعم كان هناك رجال رجّحوا التضرّج بالدماء على الحياة مع الظالمين. فلو كان هناك ذنب فى اعمال التقية فالبادئ بها أظلم، أى من دفعهم إلى العمل بها. فيا أيّها المسلمون كونوا أنصار الوحدة والأُلفة، ولاتكونوا دعاة التفرقة (وَلاتَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إلَيْكُمُ السّلَامَ لَسْتَ مُؤمِناً)(۲). وارفضوا سوء الظن بإخوانكم، واسمحوا لهم ما سمحتم لأنفسكم.

---

۱ . آل عمران: ۲۸، النحل: ۱۰۶.

۲ . النساء: ۹۴.

(۱۳۹)

وفى الختام نحمده سبحانه ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادى له، وكفى بالله رقيباً وحسيباً. وأسأله أن يجمع كلمة المسلمين على الحق والهدى: إنّه بذلك قدير، وبالإجابة جدير.

قم ـ مؤسسة الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ

۳ ـ شوال المكرّم ۱۴۱۵ هـ ق

رسالة فى حياة السيد المسيح ـ ع ـ بعد الرفع

إهداء:

إهداء: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبيّه وعترته الطاهرين وعلى عباده الصالحين. نقدّم هذه الدراسة العلمية حول السيد المسيح على نبينا وآله وعليه السلام، التى جاءت استجابة لطلب شاب فلسطينى مسلم ونجيب على سؤاله، فى الوقت الذى يواصل الشباب الفلسطينيون وأطفال ثورة الحجارة جهادهم المقدس فى أرض فلسطين ضدّ تلك الطغمة الفاسدة المفسدة، التى دنّست أرض القداسة بعهرها وفجورها، ورجال المقاومة الفلسطينية الأبطال يقبعون خلف أسوار السجون الحديدية، وقد تهشّمت عظامهم، وتورّمت أكتافهم تحت سياط ولكمات شذّاذ الآفاق وأعداء الإنسانية والمسيحية والإسلام... أولاد الأفاعى، ومصّاصى دماء الشعوب ... أجل نقدّم هذه الدراسة للطبع ونحن نسأل الله تعالى أن يعجّل بإزالة هذا الكابوس عن صدر الأُمّة الإسلامية عاجلاً لا آجلاً. المؤلف (۱۴۴) (۱۴۵)

حياة السيد المسيح ـ عليه السلام ـ

حياة السيد المسيح ـ عليه السلام ـ

بعد الرفع

فى ضوء الكتاب والسنّة كتب إلينا شاب فلسطينى من ألمانيا، يسأل عن حياة المسيح بعد ما رفعه الله سبحانه إليه، ويقول: إنّ المعروف هو أنّه ـ عليه السلام ـ حى يرزق، وينزل فى آخر الزمان، ولكن يفهم من بعض الآيات خلاف ذلك حيث يقول سبحانه: (إنّى مُتَوَفّيكَ ورافِعُكَ إلىّ) (۱) ومثله غيره مما ورد فيه لفظ "التوفّى. "أضف إليه: أنّ الموت سنّة إلهية جارية على الجميع حتى النبى الأكرم "صلى الله عليه وآله وسلم، "يقول سبحانه: (إنّكَ مَيّتٌ وإنّهُم مَيّتون) (۲) وكذلك سائر الآيات التى تؤكد على أنّ الموت والفناء سنّة إلهية جارية فى كل شىء فما هو الجواب فى المقام؟ فإنّ البحث حول هذا الموضوع هو بحث قرآنى أوّلاً، وعقائدى ثانياً.

۱ . سورة آل عمران: الآية ۵۵.

۲ . سورة الزمر: الآية ۳۰.

(۱۴۶)

الجواب: اتفق أغلب المفسّرين الإسلاميين ـ إن لم نقل جميعهم ـ على أنّ السيد المسيح حيّ يُرزق وسوف ينزل عند ما شاء سبحانه نزوله إلى الأرض، غير أنّه ظهر فى الآونة الأخيرة من بعض المعنيين بتفسير القرآن الكريم إنكار هذه الحقيقة، منهم: المراغى فى تفسيره(وسيوافيك كلامه فى ثنايا البحث) والأُستاذ الشيخ محمود شلتوت (فى رسالته التى حررها جواباً على سؤال ورد إلى مشيخة الأزهر) فقال فى الجواب: إنّ كلمة" توفّى "وردت فى القرآن كثيراً بمعنى الموت حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها، المتبادر منها، ولم تستعمل فى غير هذا المعنى، إلاّ وبجانبها ما يصرفها عن هذا المعنى المتبادر. ثم سرد بعض الآيات التى استعمل فيها التوفّى بمعنى الموت وقال: إنّ كلمة" توفّيتنى "فى الآية: (فَلَمّا تَوَفَّيْتَنِى كُنْتَ أنتَ الرّقِيبَ عَلَيْهِم)تحملُ على هذا المعنى المتبادر وهو الإماتة العادية التى يعرفها الناس، ويدركها من اللفظ والسياق الناطقون بالضاد، وإذاً فالآية لو لم يتصل بها غيرها فى تقرير نهاية عيسى مع قومه، لما كان هناك مبرر للقول بأنّ عيسى حيّ لم يمت (۱) . فإذا كان الدليل الوحيد لهما هو ظهور التوفّى فى الموت فيجب تحليل معناه لغة وقرآناً. وقبل ذلك نسرد الآيات الواردة فى هذا المجال فنقول: إنّ الآيات التى تتعرض لهذه المسألة لا تتجاوز خمس آيات وهى: ۱ ـ (إذ قَالَ اللهُ ياعِيسَى إنّى مُتَوَفّيكَ وَرَافِعُكَ إلىَّ وَمُطَهّرُكَ مِنَ الّذِينَ كَفَرُوا

۱ . لاحظ: إزالة الشبهات: ص ۳. نُشر جوابه فى كتابه" الفتاوى."

(۱۴۷)

وَجاعِلُ الّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوقَ الّذِينَ كَفَرُوا إلى يَومِ القِيامَة) (۱). ۲ ـ (وَقَولِهِمْ إنّا قَتَلْنا المَسِيحَ عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وما قَتَلُوهُ وما صَلَبُوهُ ولَكِن شُبّهَ لَهُم) إلى أن يقول: (وما قَتَلُوهُ يَقِينا * بَل رَفَعَهُ اللهُ إليه...) .(۲)

۳ ـ (ما قُلتُ لَهُمْ إلاّ ما أمَرْتَنِى بِهِ أنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبّى وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتَ فِيهِم فَلَمّا تَوَفَّيْتَنِى كُنْتَ أنت الرّقِيبَ عَلَيْهِمْ وأنتَ عَلى كُلِّ شَىءٍ شَهِيد) (۳) . ۴ ـ (وإنْ مِن أهْلِ الكِتابِ إلاّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِه...) (۴). ۵ ـ (وإنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِها و اتّبِعُونِ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيم) (۵). هذه هى الآيات التى تتعرض لمسألة السيد المسيح فى هذا المجال وإليكم البحث فى كل واحدة منها على الترتيب. تفسير الآية الأُولى: أمّا الآية الأُولى وهى قوله سبحانه: (إذ قال الله ياعيسى إنّى متوفّيك ورافعك إلىّ ومطهّرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتّبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة). فالكلام فيها يقع حول لفظ" التوفّى "فهل التوفّى ـ فى هذه الآية ـ بمعنى الإماتة؟ أو أنّ للتوفّى معنى آخر ينطبق على الموت تارة وعلى غيره أُخرى؟

۱ . سورة آل عمران: الآية۵۵.

۲ . سورة النساء: ۱۵۷ ـ ۱۵۸.

۳ . سورة المائدة: الآية ۱۱۷.

۴ . سورة النساء: الآية ۱۵۹.

۵ . سورة الزخرف: الآية ۶۱.

(۱۴۸)

وقد نصّ بذلك بعض أئمة أهل اللغة قال ابن منظور فى" اللسان: "وتُوفّى فلان وتوفّاه الله : إذا قبض نفسه، وفى الصحاح: إذا قبض

روحه، وقال غيره: تَوَفّى الميت: استيفاء مدته التى وفيت له وعدد أيامه وشهوره وأعوامه فى الدنيا. وتَوفَّيت المال منه واستوفيته: إذا أخذته كلّه، وتوفّيت عدد القوم إذا عددتهم كلّهم. وانشد أبو عبيدة لمنظور الوبرى: إنّ بنى الاَدْرَد ليسوا من أحَدْ ولا توفاهم قريش فى العدد أى لا تجعلهم قريش تمام عددهم ولا تستوفى بهم عددهم (۱). إنّ القدر الجامع المستقيم لما ورد فى القرآن من مشتقات هذه الكلمة هو: الاَخذ والاستيفاء، وهو يتحقق بالإماتة تارة، وبالنوم أُخرى، وبالاَخذ من الاَرض والرفع من العالم البشرى إلى عالم آخر (سواء أكان ذلك العالم الآخر عالم السماء أو عالماً آخر ثالثاً). ومحاورات القرآن الكريم بنفسها كافية فى بيان ذلك، كما يلاحظ فى الآيات التالية: يقول الله سبحانه: (اللهُ يَتَوفّى الاَنْفُسَ حِينَ مَوتها وَالّتى لَمْ تَمُتْ فى مَنامِها فَيُمْسِكُ الّتى قَضى عَلَيْها المَوتَ وَيُرْسِلُ الاُخرى إلى أَجَلٍ مُسَمّى) (۲) ويقول سبحانه: (وَهُوَ الّذِى يَتَوَفّاكُمْ بِاللَّيلِ وَيَعْلَمُ ما جَرَحتُمْ بِالنَّهار) (۳) ولا شك أنّ لفظة "والتى "معطوفة على" الاَنفس "وتقدير الآية هو": ويتوفّى التى لم تمت

---

۱ . لسان العرب: ۱۵| ۴۰۰، مادة" وفى "وسيوافيك لفظ الطبرى فى تفسير معنى" التوفّى."

۲ . سورة الزمر: الآية ۴۲.

۳ . سورة الاَنعام: الآية ۶۰.

(۱۴۹)

فى منامها "ولو كان التوفّى بمعنى" الإماتة "لما استقام معنى الآية، إذ يكون معناها ـ حينئذ ـ الله يميت الاَنفس حين موتها، ويميت التى لم تمت فى منامها. وهل هذا إلاّ التناقض؟ ولاَجل ذلك، لامناص من تفسير" التوفى"، "بالاَخذ "وهو ينطبق على الإماتة (الموت) فى الفقرة الاُولى وعلى الإنامة (النوم) فى الفقرة الثانية من الآية. ومثله قوله تعالى فى سورة الاَنعام: (وهُوَ الّذِى يَتَوَفّاكُمْ بِاللَّيلِ ويَعْلَمُ ما جَرَحتُمْ بِالنَّهارِ ثُمّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمّىً ثُمَّ إليهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُون). فإن تَوَفّى الناس بالليل لا يكون بالإماتة، بل بمعنى أخذهم بالنوم، ثم يبعثهم الله باليقظة فى النهار، ليقضوا بذلك آجالهم المسماة، ثم إلى الله مرجعهم، بواسطة الموت والمعاد. وكذلك قوله سبحانه فى سورة النساء: (واللاّتى يَأْتِينَ الفَاحِشَةَ مِن نِسَائِكُمْ فَا سْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فإن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى البُيُوت حَتَّى يَتَوفّاهُنَّ المَوْتُ أوْ يَجعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلا) (۱). ولا معنى لتفسير" التوفّى "بأنّه" يميتهنّ الموت "فلابد من القول بأن التوفّى ليس مرادفاً للموت والإماتة فى محاورات القرآن واستعمالاته، وإنّما هو: أخذ الشىء وافياً كاملاً برمّته. وعلى ضوء ذلك ليس للتوفّى إلاّ معنى واحداً، وهو الاَخذ للشىء تماماً ووافياً إمّا من عالم الحياة، أو من عالم اليقظة، أو من عالم التواجد بين البشر. فإذا كان لفظ" التوفّى "موضوعاً لمعنى جامع، وكان صالحاً للانطباق على الإماتة، والإنامة، والاَخذ من بين الناس، فليس حمله على المورد الاَوّل وتطبيقه عليه بلا قرينة ولا شاهد، صحيحاً، كما ارتكبه المستدلّ وفسّره بالموت، بل

---

۱ . سورة النساء: الآية ۱۵.

(۱۵۰)

قوله سبحانه: (ورافعك إلىَّ)شاهد على أنّ المراد هو الثالث فيكون المتبادر من الآية هو: إنّى آخذك وقابضك بين الناس ورافعك إلىَّ. فتصير الآية دليلاً على رفع المسيح حياً. لا إماتته ورفعه كما يتعاطاه المستدلّ حيث جعل ما هو ظاهر ـ بعد الإمعان ـ فى رفعه حياً، دليلاً على الإماتة، وما هذا إلاّ لاَنّه اتّخذ رأيا مسبقاً فى حقّ المسيح، فساقه الرأى إلى تفسير الآية بخلاف ظاهرها. وممّن تفطّن لهذا المعنى، هو ابن جرير فى تفسيره حيث قال: وقال آخرون: معنى ذلك: إنّى قابضك من الاَرض فرافعك إلىّ. قالوا: ومعنى الوفاة: القبض، كما يقال: تَوَفّيت من فلان مالى عليه، بمعنى قبضته واستوفيته، قالوا: فمعنى قوله: إنّى متوفّيك ورافعك: أى قابضك من الاَرض حياً إلى جوارى واخذك إلى ما عندى بغير موت ورافعك من بين المشركين. ـ ثم إنّه بعد ما ذكر وجوهاً فى تفسير الآية ـ

قال: قال أبو جعفر الطبرى: وأولى هـذه الاَقوال بالصـحة عندنا قول من قال: معنى ذلك: إنّى قابضك من الاَرض ورافعك إلىّ، لتواتر الاَخبار عن رسول الله" صـلى الله عليه وآله وسـلم "أنّه ينزل عيسـى ابن مريم فيقتل الدجّال ثم يمكث فى الاَرض مدّة (۱). ومـمّن نبّه بـذلك واسـتعرض الموضوع عرضاً تحقيقيّاً العلاّمة البلاغى ـ قدّس سرّه ـ (۲) . إذا عرفت ذلـك فلنرجع إلى الوجهين اللّذين نقلهما المراغى من المفسّـرين حول اللفظين" متوفّيك "و"رافعك، "ومبنى الوجهين كون التوفى بمعنى الاِماتة على ما اخترناه. ۱"ـ إنّ فيهـا تقديماً وتأخيـراً، والاَصل: إنّى رافعـك إلىَّ ومتوفّيك، أى إنّى رافعك الآن ومميتك بعد النزول من السماء فى الحين الذى قدر لك، وعلى هذا

---

۱ . لاحظ تفسير الطبرى: ۳|۲۰۳، وتفسير الرازى: ۲|۴۸۱، ط مصر. وتفسير ابن كثير: ۱|۳۶۶، نقلاً عن قتادة. وتفسير النيشابورى، (المطبوع بهامش الطبرى) : ۳|۲۰۷.

۲ . آلاء الرحمان: ۱|۳۳ ـ ۳۵ فى مقدمات تفسيره.

(۱۵۱)

فهو قـد رفع حيّاً بجسـمه وروحه، وإنّه سـينزل فى آخر الزمان فيحكم بين الناس بشـريعتنا ثم يتوفّاه الله . " ۲"ـ إنّ الآيـة على ظاهرها، وأنّ التوفّى هو الاِماتـة العادية وأنّ الرفع بعده للروح، ولا غرابة فى خطاب الشـخص وإرادة روحه، فالروح هى حقيقة الاِنسان والجسـد كالثوب المسـتعار يزيد وينقص ويتغير، والاِنسان إنسان لاَنّ روحه هى هى. والمعنى: إنّى مميتك وجاعلك بعد الموت فى مكان رفيع عنـدى كما قال تعالى فى إدريس ـ عليه السـلام ـ : (وَرَفَعناهُ مَكَاناً عَلِيّاً)(۱). وحـديث الرفع، والنزول آخر الزمان، حديث آحاد يتعلّق بـأمر اعتقـادى، والاُمور الاعتقاديـة لا يوَخـذ فيها إلاّ بالـدليل القاطع من قرآن وحـديث متواتر، ولا يوجـد هنا واحـد منها. أو أنّ المراد بنزوله وحكمه فى الاَرض، غلبـة روحه، وسـرّ رسـالته على النـاس، بالاَخـذ بمقاصـد الشـريعة دون الوقوف عنـد ظواهرها، والتمسـك بقشورها دون لبابها ("۲). ويلاحظ على هـذا الكلام: أنّ كلا الوجهين غير تامّين: أمّا الاَوّل: فلاَنّه مبنى على تفسير" متوفّيك "بمعنى "مميتك "ولـذلك التجأ إلى القول بأنّ فى الآيـة تقـديماً وتأخيراً لتقدّم رفعه على إماتته التى تتحقّق بعد النزول من السـماء فى الحين الذى قدّر له.

---

۱ . سورة مريم: الآية ۵۷.

۲ . تفسير المراغى: ۳|۱۶۹.

(۱۵۲)

وهـذا النوع من التفسير لا يليق بشـرف كلامه سـبحانه، إذ لا وجه لتقديم الاِماتة على الرفع مع كون الحقيقة على العكس. وأمّا الثانى: فلأنّ الرفع تعلّق بـ"ـ عيسـى "وهو علم للشـخص الخارجى، أعنى البدن الماثل أمام الاَبصار وكون حقيقة الاِنسان هى الروح لا يصـحح الخطاب للشـخص الخارجى. فإذا قال شـخص: جاء زيـد وأكل عمرو، فلا تصـح نسـبة الفعلين إلى الروح بحجّة أنّ حقيقة الاِنسان هى الروح، بل الظاهر أنّ المسـيح رفع بعنصـره الخارجى وشـخصه وهيكله الماثل بين الاَصـدقاء والاَعـداء، كما لا يصح تفسـير الآية بتعلّق الرفع بـالروح كـذلك لاـ يصـح تفسـيرها بعلو الدرجـة، وكون الرفع رفعـاً معنويـاً قياساً على قوله تعالى: (وَرفَعناه مَكَاناً عَلِياً)فإنّ قوله: (مكاناً علياً)ربّما يكون شاهـداً فى المقيس عليه لا فى المقيس (۱). على أنّ الرفع هناك معنوى لا حسّـى بخلاف المقام، فإنّ القرينة فيه على العكس، وإنّ الرفع حسّـى وعلى هـذا ينحصر تفسير الآية على الوجه التالى": متوفّيك: "أى آخذك، ومخلّصك من أيدى الاَعـداء، ولمـا كان أخـذه وتخليصه يتوقف على نقله إلى مكان آخر، أشار إلى مكانه بقوله: (ورافعك إلىّ): أى إلى نقطـة عاليـة ولا تعنى لفظة" إلىّ "من هذه الجملة أو لفظة" إليه "فى الآية التالية": بل رفعه الله إليه "سوى ما يعنيه قوله فى حقّ الشـهداء المقتولين فى

سبيل الله بأنّهم: (أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِم يُرزَقُون). نعم ذكر" الخازن "وجهاً آخر للجمع بين" متوفّيك "و"رافعك "وقال: إنّ

---

١ . قال العلاّمة الطباطبائى: المراد بالمكان العلى الذى رفع إليه، درجة من درجات القرب إذ لا مزية فى الارتفاع المادّى والصعود إلى أقاصى الجو البعيدة أينما كان. وقيل إنّ المراد بذلك ـ كما ورد به الحديث ـ إنّ الله رفعه إلى بعض السماوات وقبضه هناك، وفيه إراءة آية خارقة وقدرة إلهية بالغة وكفى به مزية. الميزان: ١۴|۶۶ ـ ۶۷.

(١۵٣)

معنى" التوفّى "أخذ الشىء وافياً، ولما علم الله تعالى إنّ من الناس من يخطر بباله أنّ الذى رفعه الله إليه هو روحه دون جسده كما زعمت النصارى إنّ المسيح رفع لاهوته يعنى روحه وبقى فى الاَرض ناسوته يعنى جسده فرد الله عليهم بقوله: (إنّى متوفّيك ورافعك إلىّ)فأخبر الله أنّه رفعه بتمامه إلى السماء بروحه وجسده جميعاً إلى السماء (١). فالكل كناية عن الاستظلال بظل عنايته ورحمته، من دون شوب تجسيم أو غيره. نعم، إنّ ما تدلّ عليه الآية هو أنّ المسيح رفع بجسمه وبدنه حيّاً إليه سبحانه، وأمّا كونه حياً لحد الآن فلا يستفاد من الآية، بل لابدّ للقول بحياته الباقية إلى الآن من دليل آخر وسيوافيك بيانه كما سيجىء توضيح للمقام عند تفسير الآية الثانية. تفسير الآية الثانية: وأمّا الآية الثانية: وهى قوله: (إنّا قَتَلْنا المَسيحَ عيسى ابنَ مَريَمَ رَسُولَ الله وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكن شُبِّهَ لَهُمْ وإنَّ الّذِينَ اختَلَفُوا فِيهِ لَفى شَكٍّ مِنهُ ما لَهُم بِهِ مِن عِلمٍ إلاّ اتّباعَ الظنّ وَما قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَفَعَهُ اللهُ إليهِ وَكانَ اللهُ عَزيزاً حَكيما)(٢)ز فإنّ الآية ظاهرة فى عدم موت المسيح (عندما هجم عليه أعداوَه) بالصلب ولا بأىّ سبب طبيعى آخر، وذلك لاَنّ اليهود لما ادّعوا قتله وصلبه، نزلت الآية حينئذٍ لتكذيب خصوص هذا الزعم وتفنيد هذا الادّعاء وإثبات أنّه ـ عليه السلام ـ لم يُقتل ولم يُصلب كما ادّعى اليهود، بل رفع وحفظ من كيدهم، فيكون مفاد الآية، هو رفع عيسى حياً من بين الاَعداء، فالرفع تعلّق بما تعلّق به

---

١ . تفسير الخازن: ١|٣۵۶.

٢ . سورة النساء: الآيتان ١۵٧ ـ ١۵٨.

(١۵۴)

الادّعاء، فتكون النتيجة أنّ هاهنا دعويين: الاُولى: ما يدّعيه اليهود هو: قُتِلَ المسيح وصُلِب. الثانية: ما يقوله القرآن: ما قتل المسيح وما صلب بل رفع. وبما أنّ متعلّق القتل والصلب هو الوجود الخارجى، أى جسمه وروحه، فيكون ذلك متعلّق الرفع أيضاً، أى رفع بجسمه وروحه. وبذلك يظهر بطلان أمرين: الاَوّل": إنّ الله سبحانه أمات المسيح أوّلاً ثم رفعه ("١) وذلك لاَنّه مخالف لظاهر الآية، فإنّ الاضراب الواقع فى قوله تعالى: (بل رفعه الله)لا يكون اضراباً عن قول اليهود إلاّ برفعه حياً لا برفعه ميتاً، فهذا الرفع كان نوع تخليص للمسيح، فأنجاه الله به من أيدى اليهود سواء أمات بعد ذلك أم بقى حياً، بإبقاء الله تعالى له، وعلى كل تقدير فلا يكون قوله: (بل رفعه الله)إبطالاً ـ لقول اليهود إلاّ ـ إذا رفع حياً. الثانى": أنّ المراد من الرفع، رفع درجته ("٢) وذلك لاَنّ المتبادر من الرفع هو رفع شخصه من بين الاَعداء، لا إعلاء مقامه ودرجته، لاَنّ مصب البحث هو قتل عيسى وصلبه، والآية بصدد التنديد بذلك الزعم وإبطاله، إذ تقول: (وَما قَتَلُوهُ يَقيناً * بل رفعه الله إليه)ولا يتم هذا التنديد إلاّ بتفسير الرفع، برفع عيسى ببدنه وشخصه من بين الاَعداء، ولا يناسب تفسيره بإعلاء مقامه، لاَنّ البحث ليس حول درجة المسيح ومقامه وهذا بخلاف قوله تعالى: (ورفعناه مكاناً علياً).

---

١ . وهذا التفسير عين ما ورد فى الاَناجيل المحرّفة من موت المسيح ثم رفعه بعد أُسبوع أو أيام قلائل فكيف يعتمد على هذا الوجه؟!

٢ . وهذا نفس ما احتمله المراغى فى تفسيره، وربما يدّعى أنّه المبدع للشبهة فقد نسبها إليه الشيخ" مصطفى صبرى "شيخ الاِسلام للدولة العثمانية سابقاً فى كتابه" موقف العقل والعلم والعالم من ربّ العالمين وعباده المرسلين: "ص١۵.

(۱۵۵)

وبعبارة أُخرى: أنّ مقتضى الاضراب فى الآية (بل رفعه الله إليه)هو تعلّق الرفع ببدنه الحى وشخصه الماثل، حتى يصح كونه رداً على زعم اليهود": إنّهم صلبوه وقتلوه، "لاَنّ القتل والصلب إنّما يتعلّقان بالبدن ولو فسّر بإعلاء المقام لا يكون رداً لدعوى القتل والصلب، ويكون جملة منقطعة الصلة عن زعم اليهود، فلا تكون الحكاية عن إعلاء المقام رداً على الخصم، إلّا إذا فسر برفع المسيح بشخصيته الخارجية الحيّة حتى يكون تكذيباً لمقالة اليهود وادّعائهم. أضف إلى ذلك أنّ رفع روحه أو إعلاء درجته، وإبقاء جسده بين الاَعداء، نوع تسليط لهم عليه، لا إنجاء له من أيديهم، وهذا لا يوافق سياق الآية لاَنّه بصدد بيان أنّه سبحانه أنجاه وخلّصه من أيديهم، وعند ذلك يتطابق مفاد هذه الآية مع مفاد الآية السابقة القائلة: (إنّى متوفّيك ورافعك إلى)لما عرفت أنّ" التوفّى "هناك ليس بمعنى الاِماتة، بل بمعنى الاَخذ ويكون مفاده مطابقاً لما يستفاد من هذه الآية بأنّ المسيح رفع بشخصيته الخارجية. نعم الآية تدلّ على رفعه حياً وأمّا بقاوَه كذلك لحد الآن فلا يستفاد من الآية بل لابد من التماس دليل آخر. تفسير الآية الثالثة: وأمّا الآية الثالثة: (ما قُلتُ لَهُمْ إلاّ ما أَمَرْتنِى بِهِ أنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبّى وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيهِم شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمّا تَوَفَّيْتَنى كُنْتَ أنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأنْتَ عَلَى كُلّ شىْءٍ شَهِيد) (۱). فلا إشكال فى أنّ ظرف المحاورة بين الله وعيسى هو يوم القيامة بدليل قوله تعالى: (هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) (۲) وأمّا التوفّى فيها فقد عرفت أنّه

---

۱ . سورة المائدة: الآية ۱۱۷.

۲ . سورة المائدة: الآية ۱۱۹.

(۱۵۶)

ليس مرادفاً للموت، بل معناه الاَخذ التام وهو يتحقّق تارة بالاِماتة، وأُخرى بالنوم وثالثة بالاَخذ من بين الناس والمجتمع، فلا يدلّ ظاهر الآية إلّا على المعنى الجامع، ولا يصبح لاَحد الفريقين (القائل بإماتته، أو القائل برفعه حياً) التمسك به لتأييد مذهبه. وقد عرفت دلالة الآيتين السابقتين على رفعه حياً فالآيات يفسر بعضها بعضاً. خلاصة ما سبق فى الآيات الثلاث: تدلّ الآية الاُولى على أنّه سبحانه وعد المسيح بأنّه آخذه ورافعه إليه، لا أنّه مميته ورافعه إليه، والاشتباه حصل فى جعل" التوفّى "بمعنى الاِماتة ومفادها أنّه سبحانه وعد المسيح بأخذه من يد اليهود ورفعه إليه حتى لا يتمكنوا من قتله وصلبه. وأمّا تعيين مصيره بعد الرفع، وأنّه هل بقى حياً لحد الآن أم لا ؟ فلا تدلّ الآية على شىء منه، بل الآية تدلّ على أنّه كان حياً عند الاَخذ والرفع، وانّ ظرف الرفع هو نفس ظرف وزمان الهجوم الذى قام به اليهود عليه. وتدلّ الآية الثانية على نفس ما دلّت عليه الآية الاُولى غير أنّ دلالتها على ذلك المعنى أظهر، فهى تدلّ على أنّه سبحانه خلّص المسيح من أيدى الطواغيت ولم يتمكّنوا من قتله وصلبه، وتحقّق بذلك الاَمر برفعه (حياً) دون أن تنال منه اليهود. ولو كان الرفع مقروناً بالاِماتة فهو لا يناسب الآية، لاَنّ الله تعالى بصدد امتداح نفسه فى هذه الآية بإنقاذ وتخليص نبيّه من أيدى أعدائه المهاجمين، والاَنسب لهذا الموقف هو رفعه حياً لا إماتته ثم رفعه ميتاً، لاَنّه ليس فى هذا ما يوجب امتداحاً للرفع. (۱۵۷)

وبعبارة أُخرى: أنّ الآية فى مقام بيان الامتنان على المسيح وهذا موافق مع رفع الله له حياً لا ميتاً كما أنّ تفسيره برفع الدرجة من دون فرض لاِنجائه من أيدى الطواغيت يجعل الكلام منقطع الصلة عمّا قبله. ومثله ما تعلّق بروحه فقط وترك بدنه بين الاَعداء نعم تختلف الآيتان فى أنّ الاُولى مشتملة على لفظين (التوفى والرفع) والثانية مشتملة على خصوص الرفع. والآية الثالثة راجعة إلى خطاب المسيح إلى الله سبحانه يوم القيامة والبعث حيث قال: (فلمّا توفّيتنى كنت أنت الرقيب عليهم)والتوفّى هناك هو نفس التوفى فى الآيات السابقة، بمعنى الاَخذ والمعنى فى الجميع واحد. إلى هنا تم توضيح الآيات الثلاث الدالة على أنّ عيسى رفع حياً. وأمّا مصيره بعد الرفع وأنّه هل بقى حياً أو لا، فلا تدلّ هذه الآيات على شىء من ذلك، نعم يدلّ عليه ما نتلوه عليك من الآية الرابعة والخامسة وإليك توضيحها. تفسير الآية الرابعة: وأمّا الآية الرابعة أعنى قوله تعالى: (وَإنْ مِن أهلِ الكِتابِ إلّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوتِهِ وَيَومَ القِيامَةِ يَكُونُ

عَلَيْهِمْ شَـهِيداً) (۱). فقـد فسـر بنزول "عيسـى "توضـيحها: هو أنّ (إن)نافيـة بمعنى" ما "والمبتـدأ محـذوف يدلّ عليه سـياق الكلام، فيكون معنى الآية": ما أحد من أهل الكتاب إلّا ليؤمنن به "والضـمير فى قوله": به "يرجع إلى المسيح بلا نقاش إنّما الكلام فى قوله: (قبل موته)فهل يرجع الضـمير فيه أيضاً إلى المسيح، أو يرجع إلى" أحـد "المقـدّر؟ كلاهما محتمل ولا يمكن لاَوّل وهلة القطع بأىّ واحد من الاحتمالين،

---

۱ . سورة النساء: الآية ۱۵۹.

(۱۵۸)

وإليـك بيانهمـا مع بيـان ما يؤيـد أحـدهما. إنّ للمفسـرين فى تفسـير الآيـة رأيين: الاَوّل: أنّ الضـميرين فى (به)و (موته)يرجعان إلى "عيسـى "وأنّ جميع أهل الكتاب المتواجـدين فى يوم" نزول عيسـى "لقتل الـدجال، يصـدّقون به فتصـير الملل كلها واحدة وهى ملة الاِسـلام. قـال ابن جرير: فعن ابن عبـاس فى تفسـير الآيـة: قال: قبل موت عيسـى ابن مريم ـ عليه السـلام ـ وقال أبو مالك: ذلك، عند نزول المسيح، وقبل موت عيسى بن امريم لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلّا آمن به. وعن الحسن: إنّه لحىّ الآن عند الله ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون، إنّ الله رفع إليه عيسـى وهو باعثه قبل يوم القيامـة مقاماً يؤمن به البرّ والفاجر. قال ابن جرير: وهذا أولى الاَقوال، وهو أنّه لا يبقى أحـد من أهل الكتاب بعد نزول عيسـى ـ عليه السـلام ـ إلّا آمن به قبل موت عيسـى (۱). الثانى: الضـمير الاَوّل (به)لعيسى والثانى (موته)للكتابى، فالمعنى على هـذا: إلّا ليؤمنن بعيسـى قبل أن يموت هـذا الكتابى إذا عاين وميّز الحقّ عن الباطل، لاَنّ كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحقّ من الباطل عن دينه. وروى عن ابن عباس ما يصح أنّ يؤيد هذا المعنى قال: لا يموت يهودى حتى يؤمن بعيسـى. وعن مجاهـد: كـل صـاحب كتـاب يؤمن بعيسـى قبـل موت صـاحب الكتاب. ويؤيـد هـذا التفسـير القراءة المنسوبة إلى أُبىّ": إلّا ليؤمننّ به قبل موتهم. "

---

۱ . تفسير الطبرى: ۵|۱۴ ـ ۱۶ بتلخيص.

(۱۵۹)

وهناك رأى شاذ لا يُعرَّج عليه وهو": ليؤمن بالله أو بمحمّد قبل موت الكتابى "وهذا رأى ساقط، إذ ليس فى الآية ما يشـير إليه فضـلاً عن الدلالـة، على أنّ إيمـان الكتابى بالله ثابت فى حياته. إلّا أنّ التأمل فى سـياق الآيـة يؤيـد رجوع ذلك الضـمير إلى المسيح لا إلى "أحد من أهل الكتاب "لاَنّ البحث، إنّما هو حول قتل المسيح وصلبه، فيناسب أن يكون المراد من" موته "فى الآية هو موت المسيح، لا موت الكتابى، وهذا يدلّ على كونه حياً، وأنّه لابد أن يدركه كل الكتابيين المتواجدين يوم نزوله فيؤمنون به قبل موته ـ عليه السلام ـ . وأمّا زمان هذا الاِيمان، وأنّه متى يؤمن به كل كتابى فالآية ساكتة عنه. وبعبارة أُخرى: أنّ الكلام سيق لبيان موقف اليهود من عيسى وصـنيعهم به، ولبيان سـنّة الله فى إنجائه ورد كيـد الاَعـداء عنه، فيتعيّن رجوع الضـميرين المجرورين (به ـ قبل موته) إلى عيسـى ـ عليه السـلام ـ أخذاً بسـياق الكلام وتوحيداً لمرجع الضميرين. قال الدكتور عبد الباقى أحمد محمد سلامة فى كتابه" بين يدى الساعة "فى ترجيح المعنى الاَوّل على الثانى: إنّ المقصود من سـياق الآية فى تقرير بطلان ما ادّعته اليهود من قتل عيسـى وصـلبه وتسـليم من سـلم لهم من النصارى الجهلـة، فأخبر الله تعالى أنّه لم يكن الاَمر كـذلك، وإنّما شـبّه لهم فقتلوا الشـبه وهم لا يتبيّنون ذلك، وأنّه باق حى، وأنّه سينزل قبل يوم القيامة كما دلّت عليه الاَحاديث المتواترة. فيقتل المسيح الضلالة ويكسر الصليب ويضع الجزية، يعنى: لا يقبلها من أحـد من أهـل الاَديـان، بـل لاـ يقبل إلّا الاِسـلام، فأخبرت هـذه الآيـة الكريمـة أنّه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئـذ ولا يتخلّف عن التصديق به واحد منهم قبل موته، أى موت عيسى الذى زعم اليهود ومن وافقهم من

(۱۶۰)

النصارى أنّه قتل وصلب، وسياق الآيات دليل على ذلك فقد قال تعالى: (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم) إلى أن قال: ـ(وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَفَعَهُ الله إِليه)(۱) . ثم ذكر تعالى هذه الآية: (وَإِنْ مِن أَهلِ الكِتابِ إلاّ لَيُؤمِنَنَّ بِهِ قَبلَ مَوتِهِ).(۲) وأمّا تعيين ظرف ذلك الإيمان فيرجع فيه إلى الروايات المتضافرة التى ستوافيك وتدلّ على أنّه سينزل آخر الزمان حكماً عدلاً، وأنّه يأتم بإمام المسلمين وهو الذى يقتل الدجال وعندئذ يؤمن به كل كتابى حى فى أديم الأرض. وأمّا المعنى الثانى، يعنى: إرجاع الضمير إلى الكتابى، فيكون معنى الآية: أنّ كل كتابى يؤمن بالمسيح قبل أن يموت ذلك الكتابى، فاليهودى الكافر بنبوة عيسى، يؤمن بها عند موته، والنصرانى القائل بإلوهيته، يصدق بأنّه نبىّ مرسل، لانكشاف الحقائق عند الموت، وحينئذ يطرح هذا السؤال نفسه: هل هذا الإيمان محسوس لغير الكتابى، أو إيمان لا يحس به غيره ؟ والأوّل خلاف المشاهد والملموس منهم، إذ لا نشاهده عند موت أهل الكتاب، وعلى الثانى: فالموت وإن كان يقارن رفع الحجب والأستار لقوله سبحانه: (حَتّى إذا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارجِعُونِ * لَعَلّى أعْمَلُ صَالِحاً فِيما تَرَكْت) (۳) وغيره من الآيات، ولكن هذا الإيمان الاضطرارى لايختص بأهل الكتاب أوّلاً، كما لا يختص بمسألة المسيح ثانياً، إذ عندئذ تنكشف الحقائق على ما هى عليه من دون اختصاص بهذه المسألة وما فائدة هذا الإيمان الاضطرارى بالمسيح ثالثاً، وقد قال تعالى: (ولَيْسَتِ التّوْبَةُ لِلّذِينَ يَعْمَلُونَ

---

۱ . سورة النساء: الآية ۱۵۷ ـ ۱۵۸و ۱۵۹.

۲ . بين يدى الساعة: ۱۲۹، ط الرياض، وهو كتاب قيم، والآية من سورة النساء | ۱۵۷ ، ۱۵۸، ۱۵۹.

۳ . سورة المؤمنون: الآية ۹۹ ـ ۱۰۰.

السّيئاتِ حتّى إذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ إنّى تُبْتُ الآن) (۱)ز وبهذا تبيّن أنّ المتعيّن هو رجوع الضمير إلى المسيح، ويكون مفاد الآية، أنّ أهل الكتاب يؤمنون بالمسيح، ويخرجون من الجحد والشك والكفر، قبل موت عيسى وذلك فى ظرف خاص، يعلم تفصيله ممّا ورد فى الروايات من نزول السيد المسيح، وقتله الدجال، وائتمامه بإمام المسلمين، الذى هو المصلح الموعود فى الكتب والزبر. فالتدبّر فى سياق الآية هذه، وما ينضم إليها من الآيات المربوطة بها، يفيد أنّ عيسى ـ عليه السلام ـ لم يتوفَ بقتل أو صلب ولا بالموت حتف الأنف، وانّ الكتابيين جميعاً، سيؤمنون به قبل موته، ويشاهدونه عياناً ويذعنون له إذعاناً لا خلاف فيه، وهذا فرع كونه حياً حتى يؤمن به كل كتابى قبل موته، وعلى هذا فالظاهر انّ المراد كل الكتابيين الموجودين فى ذلك الزمان، لا من مات وغبر من عصر المسيح إلى ذلك اليوم. تفسير الآية الخامسة: أمّا الآية الخامسة: وهى قوله: (وإِنَّهُ لَعِلمٌ للسّاعَةِ فَلا تمترنَّ بِها و اتبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقيم) (۲). فهذه الآية وما قبلها، بصدد بيان شأن المسيح، وموقفه أمام الله سبحانه، وأنّه لم يكن إلهاً بل كان كما وصفه سبحانه: (إنْ هُوَ إلاّ عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ وَجَعَلْناهُ مَثَلاً لِبَنِى إسرائيلَ * وَلَو نَشَاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِى الأرْضِ يَخْلُفُونَ *وَإِنّهُ لَعِلمٌ للسّاعَةِ) (۳) .

---

۱ . سورة النساء: الآية ۱۸.

۲ . سورة الزخرف: الآيات: ۵۹ ـ ۶۱.

۳ . سورة الزخرف: الآيات: ۵۹ ـ ۶۱.

وسياق الآيات ينفى بتاتاً، أن يكون القرآن الكريم أو النبى الأكرم محمّد" صلى الله عليه وآله وسلم "مرجعاً للضمير، بل المرجع هو المسيح بلا كلام، لأنّ الآيات السابقة واللاحقة (۱) تبحث عنه ـ عليه السلام ـ فالآية تفيد أنّ المسيح سبب للعلم بالساعة وأمارة ودليل على وقوعها، وعندئذ يجب تحليل كيفية كونه علماً للساعة، وفيه عدّة احتمالات: ۱ ـ إنّ خلقه من دون أب، أو إحياءه الموتى دليل

على صحة البعث وإمكانه. وهذا مرفوض لأنّ البحث ليس فى إمكان البعث وعدم إمكانه، والآية لا تحتمل ذلك، وإلاّ لكان الأنسب أن تقول: وإنّه أو فعله دليل على إمكان البعث. ٢ ـ إنّ وجود عيسى دليل على قرب الساعة وشرط من أشراطها. وهذا أيضاً مرفوض لأنّه لو كان وجوده دليلاً عل قرب الساعة، فوجود النبى الأكرم" صلى الله عليه وآله وسلم "وأُمّته أولى بأن يكون كذلك، فلم يبق إلاّ الاحتمال الثالث: ٣ ـ إنّ وجود عيسى فى ظرف خاص من الظروف (غير ظروفه السابقة الماضية) يكون علماً للساعة، فإذا أُضيفت إليها الأخبار والروايات المستفيضة المصرّحة بنزوله فى آخر الزمان يتجلّى مفاد الآية بصورة واضحة، وأنّ عيسى سينزل فى زمن من الأزمنة، ولا مناص فى رفع الإبهام من الرجوع إلى الروايات حتى يحدد ذلك الظرف والزمان. وقال ابن كثير: وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم "أنّه أخبر بنزول عيسى ـ عليه السلام ـ قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً (٢). هذا خلاصة القول فى تبيين مفاد الآية وأرجو منكم التمعّن فى ما ذكرناه. وخلاصة هذا البحث الضافى: أنّ الآيات الثلاث الأُولى تدلّ على كونه حيّاً عند الرفع، بينما الآيتان: الرابعة والخامسة تدلاّن على حياته لحد الساعة والآن.

---

١ . قوله سبحانه: (ولما جاء عيسى بالبيّنات قال قد جئتكم بالحكمة ولأُبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون)(الزخرف: ۶۳) .

٢ . تفسير ابن كثير: ۴|۱۳۳.

حياة السيد المسيح فى السنّة النبوية:

حياة السيد المسيح فى السنّة النبوية: قد تعرفت على مفاد الآيات النازلة حول سيدنا المسيح، كما تعرفت على دلالة بعضها على كونه حيّاً لحدِّ الآن، غير أنّ إكمال هذا البحث يتوقف على معرفة ما ورد فى هذا المجال، فى السنّة المأثورة عن النبى الأكرم" صلى الله عليه وآله وسلم "حتى يتبيّن الحقّ بأجلى مظاهره. وإن طال بنا الكلام، وطال موقفنا مع السائل الكريم فنقول: الأحاديث الواردة فى شأن عيسى ونزوله فى آخر الزمان تنقسم إلى ثلاثة أقسام: ١ ـ ما يدلّ على نزوله عند خروج الدجال فيقتله. ٢ ـ ما يدلّ على نزوله عند ظهور المهدى ـ عجل الله فرجه ـ الذى هو من ولد فاطمة ـ عليها السلام ـ ويصلّى المسيح خلفه. ٣ ـ ما يدلّ على أنّ نزول عيسى ـ عليه السلام ـ من أشراط الساعة، وأنّ الساعة لا تقوم حتى تتحقّق عشر آيات، منها: خروج الدجال ونزول عيسى المسيح ـ عليه السلام ـ . وإمعان النظر فى هذه المأثورات المبعثرة فى الصحاح والمسانيد، لا يبقى شكاً لمرتاد الحقيقة فى أنّ المسيح حسب هذه الروايات حىّ يُرزق وأنّ الله سبحانه بقدرته الكاملة أفاض عليه الحياة المستمرة إلى وقت معين وغاية خاصة. نعم بعد تحقّق تلك الغاية وحصول الظروف المحددة يموت كل ابن آدم

(۱۶۴)

من غير فرق بين المسيح وغيره، لأنّ الموت سنّة جارية على الإنسان كلّه، ولا يراد من حياته لحد الآن كونه لا يموت: أبداً إلى يوم القيامة حتى يقال: إنّ الموت سنّة إلهية عامّة كما جاء فى السئوال. ولأجل أن يقف القارئ على مضامين تلك الروايات نأتى بأكثر ما ظفرنا عليه من متون، معيّنين مصادرها فى أسفل الصفحة حتى يتيسّر الرجوع لكل من أراد ذلك، ولا يخفى أنّ بعض هذه الروايات يحتاج إلى تعليق وتوضيح وليس كل ما ورد فى هذه الروايات قابلاً للتصديق، غير أنّ الكل يتفق فى حياة المسيح ونزوله فى آخر الزمان وإنّا نرجئ التحقيق حولها إلى آونة أُخرى، وعليه سبحانه التكلان: ١ ـ روى البخارى بإسناده عن أبى هريرة قال: قال رسول "صلى الله عليه وآله وسلم" : "والّذى نفسى بيده ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها ("١). ٢ ـ وروى عن أبى هريرة أيضاً قال: قال رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم" : "كيف أنتم إذا نزل ابن مريم وإمامكم منكم ("٢) والمقصود من الإمام فى" إمامكم "هو

المهدى حسب ما تواترت عليه الروايات. والحديث رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما، وبذلك يعلم عدم صحة ما ربّما يقال من أنّ أحاديث المهدى لم ترد فى صحيحى البخارى ومسلم، وأنّ

---

١ . صحيح البخارى: ۴|۱۶۸، باب نزول عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ وسنن الترمذى: ۴|۵۰۶ برقم ۲۲۳۳ وصحيح مسلم: ۱|۹۳، نقله بطرق مختلفة مع اختلاف فى الألفاظ مثل " إماماً مقسطاً "و" حكماً عادلاً "و... وكنز العمال: ۱۴|۳۳۲ برقم ۴۲، ۳۸۸.

٢ . صحيح البخارى: ۴ |۱۶۸ (فى نفس الباب) وصحيح مسلم: ۱|۹۴ (باب نزول عيسى) وكنز العمال: ۱۴|۳۳۴ برقم: ۳۸۸۴۵. وفى صحيح مسلم: بهذا اللفظ: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وأمَّكُم.

(۱۶۵)

انفراد أبى داود والترمذى بروايات أحاديث المهدى شيء يلفت النظر فعلاً. قال الدكتور عبد الباقى": لا أرى لزاماً علينا نحن المسلمين أن نربط ديننا بهما. فلنفرض أنّهما لم يكونا. فهل تشلّ حركتنا وتتوقف دورتنا؟ لا. فالأُمّة بخير والحمد لله . والذين جاءوا بعد البخارى ومسلم استدركوا عليهما. واستكملوا جهدهما. ووزنوا عملهما. وكشفوا بعض الخلاف فى صحيحيهما. وما زال المحدثون فى تقدم علمى وبحث وتحقيق ودراسة وجمع ومقارنة وتمحيص. حتى يغمر الضوء كل مجهول. ويظهر كل خفى. ولماذا نردُّ حديثنا لمجرد أن قيل فى بعض رواته: إنّه ليّن أو ضعيف. أو منقطع. أو مرسل أو..؟. نعم. هذه علل، تثير الشك والتساوَل، وتدفع إلى زيادة البحث والتعمق. ولكن: كما أعتقد أنّ بعض علل الحديث لاتُلزِم بالردِّ لهذا الحديث فكثيراً ما نجد فى بعض الطرق ضعفاً، وفى بعضها قوة. فهو صحيح من طريق، حسن أو ضعيف من أُخرى. ومعنى هذا أنّ الراوى الذى حكم عليه مثلاً بأنّه ينسى تبيّن أنّه فى هذه الواقعة لم ينسَ. فجاءت روايته موَيدة بما جاء عن غيره. وأحاديث المهدى ـ فى نظرى ـ من هذا النوع، ولو بعضها. رغم أنّ بعض المسلمين ـ كابن خلدون ـ قد بالغ وضعّفها كلها. وردّها وحكم عليها حكماً قاسياً. واتّهم كل هؤلاء الرواة ومن رووا عنهم بما لا يليق أن يُظن فيهم. إنّ المشكلة ليست مشكلة حديث أو حديثين. أو راوٍ أو راويَين، إنّها مجموعة من الأحاديث والآثار تبلغ الثمانين تقريباً، اجتمع على تناقلها مئات الرواة وأكثر من صاحب كتاب صحيح. (۱۶۶)

فلماذا نردُّ كل هذه الكمية؟ أكلها فاسدة؟! لو صحّ هذا الحكم لانهار الدين والعياذ بالله . نتيجة تطرق الشك والظن الفاسد إلى ما عداها من سنّة رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم . "ثم إنّى لا أجد خلافاً حول ظهور المهدى، أو حول حاجة العالم إليه. وإنّما الخلاف حول من هو؟ حسنى أو حسينى؟ سيكون فى أخر الزمان أو موجود الآن؟ خفى وسيظهر؟ظهر أو سيظهر؟ ـ ولا عبرة بالمدّعين الكاذبين فليس لهم اعتبار ـ ثم إنّى لم أجد مناقشة موضوعية فى متن الأحاديث، والذى أجده إنّما هو مناقشة وخلاف حول السند واتصاله أو عدم اتصاله ودرجة رواته، ومن خرّجوه ومن قالوا فيه. وإذا نظرنا إلى ظهور المهدى نظرة مجردة، فإنّنا لا نجد حرجاً من قبولها وتصديقها، أو على الأقل عدم رفضها. فإذا ما تأيد ذلك بالأدلة الكثيرة والأحاديث المتعددة. ورواتها مسلمون موَتمنون، والكتب التى نقلتها إلينا كتب قيمة. والترمذى من رجال التخريج والحكم. بالإضافة إلى أنّ أحاديث المهدى لها ما يصح أن يكون سنداً لها فى البخارى ومسلم. كحديث جابر فى مسلم، الذى فيه: فيقول أميرهم (أى لعيسى): تعال صلِّلنا.. وحديث أبى هريرة فى البخارى، وفيه: كيف بكم إذا نزل فيكم المسيح ابن مريم وإمامكم منكم؟ فلا ما نع أن يكون هذا الأمير، وهذا الإمام هو المهدى. يضاف إلى هذا: أنّ كثيراً من السلف ـ رضى الله عنهم ـ لم يعارضوا هذا

(۱۶۷)

القول. بل جاءت شروحهم وتقريراتهم موافقة لإثبات هذه العقيدة عند المسلمين. على أنّ يكون ثبوتها على مستوى فهم أهل السنّة. فى حدود ما وردت به السنّة": يملأ الأرض عدلاً. "بدون زيادة أو مبالغة(١. ")٣ ـ روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة أنّه قال: قال رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم" : "والله لينزلنّ ابن مريم حكماً عدلاً فليكسرنّ الصليب، وليقتلنّ الخنزير، وليضعنّ الجزية،

ولتتركنّ القلاص فلا يسعى عليها، ولتذهبنّ الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعونَّ المال فلا يقبله أحد ("۲). ۴ ـ روى مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله أنّه يقول: سمعت النبى" صلى الله عليه وآله وسلم "يقول": لا تزال طائفة من أُمتى يقاتلون على الحقّ ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم: تعال صلّ لنا فيقول: لا إنّ بعضكم على بعض أُمراء تكرمة الله هذه الاُمّة ("۳). ۵ ـ روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة: إنّ رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم "قال": لاتقوم الساعة حتى ينزل الروم بالاَعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الاَرض يومئذ ـ إلى أن قال: ـ فبينما هم يعدّون للقتال يسوّون الصفوف إذ أُقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأمّهم، فإذا رآه عدوّ الله ذاب كما يذوب الملح فى الماء، فلو تركه لاَنْذابَ حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه فى حربته ("۴).

---

۱ . بين يدى الساعة: ۱۲۳ ـ ۱۲۵.

۲ . صحيح مسلم: ۱|۹۴، باب نزول عيسى ـ عليه السلام ـ وكنز العمال: ۱۴|۳۳۲. وبرقم ۳۸۸۴۱ أيضاً فى كنز العمال: ۱۴|۳۳۷، بلفظ لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم...برقم ۳۸۸۶۰.

۳ . صحيح مسلم: ۱|۹۵، باب نزول عيسى ـ عليه السلام ـ وكنز العمال: ۱۴|۳۳۴، برقم ۳۸۸۴۶.

۴ . صحيح مسلم: ۸|۱۷۵ ـ ۱۷۶ (باب خروج الدجال) .

(۱۶۸)

۶ ـ روى مسلم فى صحيحه عن النواسى بن سمعان أنّه قال: ذكر رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم : "الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع، ـ إلى أن قال ـ: فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق ... حتى يدركه بباب لدّ فيقتله ... إلى آخر الحديث (۱) والحديث طويل. ۷ ـ وروى مسلم أيضاً عن يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفى يقول: سمعت عبد الله بن عمر وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذى تحدّث به، تقول: إنّ الساعة تقوم إلى كذا وكذا ... إلى أن قال: قال رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم" : "يخرج الدجال فى أُمتى ... فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنّه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه" ... (۲). ۸ ـ روى ابن ماجة فى سننه عن أبى أُمامة الباهلى قال: خطبنا رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم "فكان أكثر خطبته حديثاً حدثناه عن الدجال وحذرناه فكان من قوله": إنّه لم تكن فتنة فى الاَرض منذ ذرأ الله ذرية آدم، أعظم من فتنة الدجال ـ إلى أن قال: ـ وإمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدّم ليصلّى بهم الصبح، إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح فرجع ذلك الاِمام ينكص يمشى القهقرى لتقدم عيسى يصلى بالناس فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له: تقدم فصلّ فإنّها لك أُقيمت، فيصلّى بهم إمامهم ("...۳). ۹ ـ روى أبو داود: فى سننه عن حذيفة بن أسيد الغفارى: قال: كنّا قعوداً

---

۱ . صحيح مسلم: ۸|۱۷۹ ـ ۱۹۸، باب خروج الدجال ونزول عيسى ـ عليه السلام ـ وسنن ابن ماجة: ۲|۵۰۸ ـ ۵۱۱، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ـ عليه السلام ـ بتقديم وتأخير فى بعض الفاظ الحديث وسنن الترمذى: ۴|۵۱۰ ـ ۵۱۴ برقم ۲۲۴۰، وكنز العمال: ۱۴|۲۸۵ ـ ۲۸۸ برقم ۳۸۷۴.

۲ . صحيح مسلم: ۸|۲۰۱ ـ ۲۰۲، باب خروج الدجال ونزول عيسى ـ عليه السلام ـ وكنز العمال: ۱۴|۲۹۷ ـ ۲۹۸ برقم ۳۸۷۴۵.

۳ . سنن ابن ماجة: ۲|۵۱۲ ـ ۵۱۵، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ـ عليه السلام ـ وكنز العمال: ۱۴|۲۹۲ ـ ۲۹۶ برقم ۳۸۷۴۲.

(۱۶۹)

نتحدث فى ظل غرفة لرسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم "فذكرنا الساعة فارتفعت أصواتنا فقال رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم" : "لن تكون، أو لن تقوم، الساعة حتى يكون قبلها عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، وخروج يأجوج

ومأجوج، والـدجال، وعيسـى ابن مريم، والدخان، وثلاث خسوف: خسف بالمغرب، وخسف بالمشـرق، وخسف بجزيرة العرب ("۱).

۱۰ ـ وروى أبو داود أيضاً عن أبى هريرة: أنّ النبى" صـلى الله عليه وآله وسلم "قال": ليس بينى وبينه نبى ـ يعنى عيسى ـ أنّه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصـرتين (۲)، كان رأسه يقطر وإن لم يصـبه بلل، فيقاتل الناس على الاِسـلام فيدقّ الصـليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله فى زمانه الملل كلّها إلاّ الاِسـلام، ويهلك المسيح الدجال، فيمكث فى الاَرض أربعين سـنة ثم يتوفى فيصـلى عليه المسـلمون ("۳). ۱۱ ـ روى ابـن ماجـة عـن أبى هريرة، عـن النـبى" صـلى الله عليه وآله وسـلم :" "لاتقوم الساعة حتى ينزل عيسـى ابن مريم حكماً مقسـطاً وإماماً عدلاً فيكسـر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ("۴).

---

۱ . سـنن أبى داود: ۴|۱۱۵ برقم ۴۳۱۱، باب أمارات الساعة، وصـحيح مسلم: ۴|۱۷۹. باختلاف يسير، وفيه ثلاثة أحاديث فى أشراط الساعة، وكنز العمال: ۱۴|۲۵۷ برقم ۳۸۶۳۹.

۲ . ممصرتين تثنية" ممصرة "والممصرة من الثياب التى فيها صفرة خفيفة، أى ينزل عيسى بين ثوبين فيهما صفرة خفيفة.

۳ . سنن أبى داود: ۴|۱۱۷ـ ۱۱۸ برقم ۴۳۲۴ وكنز العمال: ۱۴|۲۳۵ برقم ۳۸۸۵۵.

۴ . سنن ابن ماجة: ۲|۵۱۶.

(۱۷۰)

هذه نماذج من مسانيد الباب، وأمّا الموقوفات على الصـحابة و التابعين فإليك نقل بعضها: ۱۲ ـ عن أبى سعيد: منّا الذى يصلّـى عيسى ابن مريم خلفه (۱) . ۱۳ ـ عن ثوبان: عصابتان من أُمتى أحرزهما الله من النار: عصابـة تغزو الهنـد، وعصابة تكون مع عيسـى ابن مريم (۲). ۱۴ ـ عن جابر: لا تزال طائفة من أُمتى يقاتلون على الحقّ ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم: تعال صلّ لنا، فيقول: لا، إنّ بعضكم على بعض أمير تكرمة الله لهذه الاَُمّة .(۳) ۱۵ ـ عن أبى هريرة: لم يسلط على الدجال إلاّ(۴) عيسى ابن مريم . ۱۶ ـ عن جبير بن نفير: ليدركنَّ الدجال قوماً مثلكم أو خيراً منكم، ولن يخزى الله أُمّة أنا أوّلها وعيسى ابن مريم آخرها (۵). ۱۷ ـ عن مجمع بن جارية: ليقتلنَّ ابن مريم، الدجال بباب لدّ (۶). ۱۸ ـ عن مجمع بن جارية: يقتل ابن مريم، الدجال بباب لدّ (۷). ۱۹ ـ عن أبى هريرة: ليهبطنّ عيسى ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً وليسكننّ فجاجاً أو معتمراً أو بنيّتهما ليأتين قبرى حتى يسلِّم علىّ ولاَردنّ

---

۱ . كنز العمال: ۱۴|۲۶۶ برقم ۳۸۶۷۳.

۲ . كنز العمال: ۱۴|۳۳۳ برقم ۳۸۸۴۵.

۳ . كنز العمال: ۱۴|۲۳۴ برقم ۳ ۸۸۴۶.

۴ . كنز العمال: ۱۴|۲۳۴ برقم ۳۸۸۴۷.

۵ . كنز العمال: ۱۴|۲۳۴ برقم ۳۸۸۴۸.

۶ . كنز العمال: ۱۴|۳۳۴ برقم ۳۸۸۴۹.

۷ . كنز العمال: ۱۴|۳۳۵ برقم ۳۸۸۵۰ وسنن الترمذى: ۴|۵۱۵ برقم ۲۲۴۴.

(۱۷۱)

عليه(۱) . ۲۰ ـ عن أبى هريرة: إنّ روح الله عيسـى ابن مريم نازل فيكم فإذا رأيتموه فاعترفوا (۲) . ونفس هذا ورد أيضاً برقم (۳۸۸۵۶) ولكن من غير الطريق السـابق وباختلاـف يسير فى العبارة. وهناك أحاديث أُخرى متفرّقـة فى هـذا الباب اسـتغنينا عنها، لاَنّ لبّها واحد والاختلاف فى اللفظ أو الطريق، فراجع كنز العمال: ۱۴|۲۵۷ ـ ۳۳۸. وهناك من يتصوّر أنّ هذه الاَحاديث والمأثورات المتضافرة هى

أحاديث إسرائيلية أو مسيحية من دون أن يحقّقوا فى المسألة من جذورها أو أن يبينوا علة ما يقولون. وما هذا إلاّ رجم بالغيب، ويصدر من رماة القول على عواهنه، وإلاّ ـ فيجب أن يكون كل ما جاء فى الكتاب والسنّة من أحاديث حول موسى الكليم وحول المسيح، أحاديث إسرائيلية أو مسيحية خاطئة نعوذ بالله من وساوس الشيطان. هذا وقد قام المحدّث الكشميرى الهندى محمد أنور شاه (۱۲۹۲ ـ ۱۳۵۲هـ) بجمع ما ورد فى نزول المسيح فى رسالة خاصة أسماها بـ"ـ التصريح بما تواتر فى نزول المسيح "طبعت فى حلب ورتّب أحاديثها تلميذه الشيخ محمد شفيع، وقد بلغ ما جمعه إلى ۷۵ مأثوراً بين مسند إلى النبى وموقوف على الصحابة والتابعين، ويظهر من فهرس تأليفه أنّ له وراء هذه، رسالتين أُخريين فى هذا المضمار ألا وهما:

---

۱ . كنز العمال: ۱۴|۳۳۵ برقم: ۳۸۸۵۱.

۲ . كنز العمال: ۱۴|۳۳۵ برقم ۳۸۸۵۵.

۱"ـ عقيدة الإسلام بحياة عيسى ـ عليه السلام " ـ فى ۱۲۲ صفحة. ۲"ـ تحية الإسلام فى حياة عيسى ـ عليه السلام " ـ فى ۱۴۹ صفحة، وفى بعض ما نقله من الأحاديث مشاكل فى المتن يقف عليها القارئ، ولأجل ذلك لم نذكر سوى مورد الحاجة ولا توجد عندنا سوى رسالته الأُولى وقد أغنانا الرجوع إلى المصادر، عن النقل عنها رأساً (وإن كان الفضل للمتقدم) ولكنّه أهمل البحث عن الآيات مع أنّها الأصل. وقد اكتفينا بعشرين مأثوراً أخرجناها من مصادرها، وهذه الكمية الهائلة تفيد الاطمئنان واليقين بحياة المسيح ولو لم يكن هذا المقدار كافياً له، فما هو الكافى؟! يا ترى فماذا بعد الحق إلاّ الضلال؟! نزول المسيح فى أحاديث الشيعة : قد تعرفت على الأحاديث التى رواها المحدثون من أهل السنّة حول حياة المسيح ونزوله فى آخر الزمان، وإليك فيما يلى بعض ما رواه المحدّثون من الشيعة فى هذا الموضوع، والكل يدلّ على أنّ حياته ونزوله من الحقائق الناصعة فى الشريعة الإسلامية الغراء، ولذلك أصفق المحدثون من الفريقين على نقله. ۱ـ روى فرات فى تفسيره: عن جعفر بن محمد الفزارى، عن أبى جعفر الباقر ـ عليه السلام ـ قال": يا خيثمة، سيأتى على الناس زمان ... وحتى يتنزل عيسى ابن مريم من السماء، ويقتل الله الدجال على يديه، ويصلّى بهم رجل منّا أهل البيت ("۱) . ۲ ـ روى الصدوق فى الخصال: عن ما جيلويه... عن النبى" صلى الله عليه وآله وسلم "قال": من ذرّيتى المهدى إذا خرج نزل عيسى ابن مريم لنصرته فقدّمه وصلّى خلفه ("۲).

---

۱ . تفسير فرات الكوفى: ۴۴، وبحار الأنوار: ۱۴|۳۴۸ ـ ۳۴۹، الحديث ۱۰.

۲ . لاحظ الأمالى: ۱۸۱، الحديث۴ من مجلس ۳۹، وبحار الأنوار: ۱۴|۳۴۹، الحديث۱۱ نقلاً عن الخصال.

۳ ـ روى الطبرسى فى أعلام الورى: عن حنّان بن سدير عن الحسن بن على ـ عليه السلام ـ قال": ما منّا أحد إلاّ ويقع فى عنقه بيعة لطاغية زمانه إلاّ القائم الذى يصلّى روح الله عيسى ابن مريم خلفه ("۱). ۴ ـ روى على بن إبراهيم القمى فى تفسيره: عن شهر بن حوشب فى تفسير قوله سبحانه: (وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمننّ به قبل موته): إنّ عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملة إلاّ ـ آمن به قبل موته ويصلّى خلف المهدى. قال: ويحك أنّى لك هذا، فقلت: حدثنى به محمد بن على بن الحسين ـ عليهم السلام ـ فقال: جئت والله بها من عين صافية (۲) ۵ ـ روى الصدوق فى إكمال الدين عن عبد الله بن سليمان وكان قارئاً للكتب قال: قرأت فى الإنجيل وذكر أوصاف النبى" صلى الله عليه وآله وسلم ، "إلى أن قال تعالى لعيسى: أرفعك إلىّ ثم، أُهبطك فى آخر الزمان لترى من أُمّة ذلك النبى العجائب، ولتعينهم على اللعين الدجال، أُهبطك فى وقت الصلاة لتصلّى معهم إنّهم أُمّة مرحومة (۳) . ۶ ـ روى على بن إبراهيم القمى فى تفسيره: عن أبى الجارود عن أبى جعفر ـ عليه السلام ـ فى قوله: (إنَّ اللهَ قادِرٌ عَلَى أن يُنَزّلَ آيةً

)وسيريك فى آخر الزمان آيات منها واية الاَرض والدجال ونزول عيسى ابن مريم وطلوع الشمس من مغربها(۴) . ۷ ـ روى الصدوق فى إكمال الدين: عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر ـ عليه السلام ـ يقول": القائم منصور بالرعب موَيد بالنصر ... فلا يبقى فى الاَرض خراب إلاّ عمر، وينزل روح الله عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ فيصلى

---

۱ . إعلام الورى: ۲۴۴ ـ ۲۴۵، وبحار الاَنوار: ۱۴|۳۴۹، الحديث ۱۲.

۲ . تفسير القمى: ۱ |۱۵۸، وبحار الاَنوار: ۱۴|۳۴۹ ـ ۳۵۰، الحديث ۱۳.

۳ . إكمال الدين: ۱ |۱۵۹ ـ ۱۶۰، الحديث: ۱۸، وبحار الاَنوار: ۵۲|۱۸۱، الحديث۱.

۴ . تفسير القمى: ۱ |۱۹۸، وبحار الاَنوار: ۵۲|۱۸۱ الحديث۴، والآية ۳۷ من سورة الاَنعام.

(۱۷۴)

خلفه "فقلت له: يابن رسول الله متى يخرج قائمكم؟ قال: ... (۱). ۸ ـ روى الصدوق فى إكمال الدين: عن النزال بن سبرة قال: خطبنا على ابن أبى طالب ـ عليه السلام ـ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال": سلونى أيّها الناس قبل أن تفقدونى "ثلاثاً، فقام إليه صعصعة بن صوحان فقال: يا أمير الموَمنين متى يخرج الدجال؟ فقال له على ـ عليه السلام" ـ : أُقعد فقد سمع الله كلامك ... على يدى من يصلّى المسيح عيسى ابن مريم خلفه. "فقال النزال بن سبرة لصعصعة: ما عنى أمير الموَمنين بهذا القول؟ فقال صعصعة: يابن سبرة إنّ الذى يصلّى خلفه عيسى ابن مريم هو الثانى عشر من العترة، التاسع من ولد الحسين بن على وهو الشمس الطالعة من مغربها (۲) ۹ ـ روى الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبة: عن عامر بن واثلة عن أمير الموَمنين ـ عليه السلام ـ قال: قال رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم :" "عشر قبل الساعة لابد منها: السفيانى والدجال ... ونزول عيسى ـ عليه السلام ("ـ ۳). ۱۰ ـ كتاب المحتضر للحسن بن سليمان نقلاً عن كتاب المعراج للشيخ الصالح أبى محمد الحسن بإسناده عن الصدوق (۴) عن ابن إدريس، عن ابن عباس قال: قال رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم" : "إنّه لما عرج بى ربى جلّ جلاله أتانى النداء: يا محمّد: ... آخر رجل منهم يصلّى خلفه عيسى ابن مريم"... (۵). ***

---

۱ . إكمال الدين: ۱|۳۳۰ ـ ۳۳۱، الحديث: ۱۶ ط قم. وبحار الاَنوار: ۵۲|۱۹۱ ـ ۱۹۲، الحديث۲۴.

۲ . إكمال الدين: ۲|۵۲۵ ـ ۵۲۷، الحديث۱. وعن بحار الاَنوار: ۵۲|۱۹۲ ـ ۱۹۴، الحديث ۲۶.

۳ . الغيبة للشيخ الطوسى: ۲۸۲، ط ۱۳۲۴ حجرية، بحار الاَنوار: ۵۲|۲۰۹، الحديث۴۸.

۴ . إكمال الدين: ۱|۲۵۰ ـ ۲۵۱ الحديث۱.

۵ . بحار الاَنوار: ۵۲|۲۷۷، الحديث۱۷۲.

(۱۷۵)

هذا ما سمح به الوقت فى الاِجابة عن سوَال الاَخ الفلسطينى وأرجو من الله سبحانه، أن يُذلّ العتاة المستكبرين، والطغاة الظالمين، ويُطهّر بلادَ المسلمين من لوث الصهاينة الغاصبين ويردَّ القدس إلى أحضان الموَمنين، ويمكّن إخواننا الفلسطينين المشرَّدين، من الرجوع إلى أوطانهم سالمين. إنّه بذلك قدير. وبالاِجابة جدير. جعفر السبحانى

قم ـ ساحة الشهداء

موَسسة الاِمام الصادق ـ عليه السلام ـ

۴ جمادى الاَولى من عام ۱۴۰۹ هـ ق

المناهج التفسيرية

المقدمة:

المقدمة: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى نزّل الكتاب تبياناً لكل شىء وهدىً ورحمةً للعالمين. والصلاة والسلام على من نزل الكتاب على قلبه ليكون من المنذرين، وعلى العترة الطاهرة أعدال الكتاب وقرنائه. أمّا بعد؛ فهذه رسالة موجزة تتكفّل ببيان المناهج التفسيرية صحيحها وسقيمها، وتبين الفرق بين المنهج التفسيرى والاهتمام التفسيرى فأُصول المنهج لا تتعدى عن أصلين: ١ ـ التفسير بالعقل وله صور. ٢ ـ التفسير بالنقل وله صور. أمّا الاَوّل فصوره عبارة عن: أ ـ التفسير بالعقل الصريح. ب ـ التفسير فى ضوء المدارس الكلامية. ج ـ التفسير حسب تأويلات الباطنية. د ـ التفسير حسب تأويلات الصوفية. هـ ـ التفسير حسب الاُصول العلمية الحديثة. (١٨٠)

أمّا الثانى فصوره عبارة عن: أ ـ تفسير القرآن بالقران. ب ـ التفسير البيانى للقران. ج ـ تفسير القرآن باللغة والقواعد العربية. د ـ تفسير القرآن بالمأثور عن النبى" صلى الله عليه وآله وسلم " والاَئمّة ـ عليهم السلام ـ . فهذه الصور التسع من فروع المنهجين الاَصليين، وفى ثنايا البحث نشير إلى ما لا غنى للباحث المفسر عنه، وأرجو منه سبحانه أن تكون الرسالة بايجازها نافعة لقارئها الكريم باذن منه. جعفر السبحانى (١٨١)

المناهج التفسيرية

المناهج التفسيرية

التفسير إمّا مأخوذ من" فسَّر "يفسِّر تفسيراً بمعنى أبان، يبين، إبانة. تقول فسّرت الشىء إذا بيّنته، يقول الطريحى": التفسير: هو كشف معنى اللفظ وإظهاره "ويؤيّده قوله سبحانه: (وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إلاّ جِئْنَاكَ بِالْحَقّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرا) (١) (أى أحسن تبييناً) . أو مأخوذ من فسّر، المشتق بالاشتقاق الكبير من السفر، وهو الكشف والظهور يقال: أسفر الصبح إذا ظهر، وأسفرت المرأة عن وجهها: إذا كشفت. وفى الاصطلاح هو العلم الباحث عن القرآن الكريم من حيث تبيين دلالته على مراده سبحانه، وقد عرّف أيضاً بتعاريف أُخرى لاحاجة لذكرها. حاجة القرآن إلى التفسير: وعلى كل تقدير: الرأى السائد بين المسلمين هو أنّ القرآن المجيد غير غنىّ عن التفسير والتبيين، إمّا تبيينه من جانب نفسه كاستظهار معنى آية باية أُخرى، أو تبيينه بكلام من نزل على قلبه يقول سبحانه:(وَأَنزَلْنَا إِلَيكَ الذِّكرَ لِتُبَيّنَ

---

١ . الفرقان: ٣٣.

(١٨٢)

لِلنّاسِ ما نُزّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُون) (١)ولم يقل"لتقرأ "بل قال:(لتُبيّن)إشارة إلى أنّ القرآن يحتاج وراء قراءة النبى، إلى تبيينه فلو لم نقل أنّ جميع الآيات بحاجة إليه فلا أقل أنّ هناك قسماً منها يحتاج إليه بأحد الطريقين: تفسير الآية بالآية، أو تفسيرها بكلام النبى "صلى الله عليه وآله وسلم . " والذى يكشف عن حاجة القرآن إلى التبيين أُمور نذكر منها ما يلى: ١ ـ إنّ أسباب النزول، للآيات القرانية، كقرائن حالية اعتمد المتكلم عليها فى إلقاء كلامه بحيث لو قطع النظر عنها، وقُصِّر إلى نفس الآية، لصارت الآية مجملة غير مفهومة، ولو ضمّت إليها تكون واضحة شأن كل قرينة منفصلة عن الكلام، وإن شئت لاحظ قوله سبحانه:(وَعَلى الثّلاثَةِ الّذِينَ خُلِّفُوا حَتّى إذا ضاقَتْ عَلَيهِمُ الاَرْضُ بِما رَحُبَتْ وضاقَتْ عَلَيهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أنْ لا مَلجَأَ مِنَ اللهِ إلاّ إليهِ ثُمَّ تابَ عَلَيهِم لِيَتُوبوا إنّ اللهَ هُوَ التَّوابُ الرَّحِيم) (٢) ترى أنّ الآية تحكى عن أشخاص ثلاثة تخلّفوا عن الجهاد حتى ضاقت عليهم الاَرض بما رحبت، فعند ذلك يسأل الإنسان نفسه، من هؤلاء الثلاثة؟ ولماذا تخلّفوا؟ ولاَىّ سبب ضاقت الاَرض والاَنفس عليهم ؟. وما المراد من هذا الضيق؟ ثم ما

ذا حدث حتى انقلبوا وظنوا أنّه لا ـ ملجأ من الله إلاّ ـ إليه؟ إلى غير ذلك من الأسئلة المتراكمة حول الآية، لكن بالرجوع إلى أسباب النزول تتخذ الآية لنفسها معنى واضحاً لا إبهام فيه. وهذا هو دور أسباب النزول فى جميع الآيات، فإنّه يُلقى ضوءاً على الآية ويوضح إبهامها، فلا غناء للمفسّر من الرجوع إلى أسباب النزول قبل تفسير الآية.

---

١ . النحل: ۴۴.

٢ . التوبة: ١١٨.

(١٨٣)

٢ ـ إنّ القرآن مشتمل على مجملات كالصلاة والصوم والحجّ لا ـ يفهم منها إلاّ معانى مجملة، غير أنّ السنّة كافلة لشرحها فلاغناء للمفسر عن الرجوع إليها فى تفسير المجملات. ٣ ـ إنّ القرآن يشتمل على آيات متشابهة غير واضحة المراد فى بدء النظر وربما يكون المتبادر منها فى بادئه، غير ما أراد الله سبحانه وإنّما يعلم المراد بإرجاعها إلى المحكمات حتى تفسر بها غير أنّ الذين فى قلوبهم زيغ يتبعون الظهور البدائى للآية لإيجاد الفتنة وتشويش الأذهان، وأمّا الراسخون فى العلم فيتبعون مراده سبحانه بعدما يظهر من سائر الآيات التى هى أُم الكتاب. قال سبحانه: (مِنهُ آياتٌ مُحكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فأمّا الّذِينَ فى قُلوبِهِمْ زَيغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنهُ ابتِغاءَ الفِتنَةِ وابتغاءَ تأويله) (١) وعلى هذا لا غناء من تفسير المتشابهات بفضل المحكمات، وهذا يرجع إلى تفسير القرآن نفسه بنفسه، والآية بأُختها. ۴ ـ إنّ القرآن المجيد نزل نجوماً لغاية تثبيت قلب النبى طيلة عهد الرسالة. قال سبحانه:(وقالَ الّذِينَ كَفَرُوا لَولا ـ نُزّلَ عَلَيْهِ القُرانُ جُملَةً واحِدةً كَذلِكَ لِنُثَبّتَ بِهِ فُوَادَكَ وَرَتَّلناهُ تَرتيلا)(٢)فمقتضى النزول التدريجى تفرق الآيات الباحثة عن موضوع واحد فى سور مختلفة، ومن المعلوم أنّ القضاء فى موضوع واحد يتوقف على جمع الآيات المربوطة به فى مكان واحد حتى يستنطق بعضها ببعض، ويستوضح بعضها ببعض آخر، وهذا ما يشير إليه الحديث النبوى

---

١ . آل عمران: ٧.

٢ . الفرقان: ٣٢.

(١٨۴)

المعروف": القرآن يفسر بعضه بعضاً(١. ")وقال الإمام على ـ عليه السلام" ـ: كتاب الله تبصرون به، وتنطقون وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا ـ يختلف فى الله ولايخالف بصاحبه عن الله (٢). وفى كلامه ـ عليه السلام ـ ما يعرب عن كون الرسول" صلى الله عليه وآله وسلم " هو المفسر الأوّل للقرآن الكريم يقول": خلّف فيكم ("أى رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم) " كتابَ رَبّكم، مبيّناً حلالَه وحرامَه، وفرائضَه، وفضائلَه وناسخَه ومنسوخَه، ورُخَصَه وَعَزَائمَه، وخاصَّه وعامَّه، وعِبَره وأمثالَه، ومُرسَلَه وَمَحْدودَه، ومُحْكَمه ومتشابهه، مفسّراً مجمله، ومبيّنا غوامضه(٣). وهذه الوجوه ونظائرها تثبت أنّ القرآن لايستغنى عن التفسير. سوَال وإجابة : أمّا السوَال: فربما يتصور أنّ حاجة القرآن إلى التفسير ينافى قوله سبحانه:(وَلَقَد يَسَّرنا القرانَ لِلذِّكرِ فَهَل مِنْ مُدَّكِر) (۴)ونظيره قوله سبحانه فى موارد مختلفة:(بِلسانٍ عَربيٍّ مبين) (۵)فإنَّ توصيف القرآن باليسر وَكونِه بِلسانٍ عَرَبى مُبين يهدفان إلى غناه عن أىّ إيضاح وتبيين.

---

١ . حديث معروف مذكور فى التفاسير ولم نقف على سنده.

٢ . نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٣٣.

٣ . نهج البلاغة: الخطبة رقم١، والظاهر أنّ قوله مبيّناً، بيان لوصف النبى ٩والضمائر ترجع إلى القرآن الكريم لا إلى الله سبحانه.

۴ . القمر: ۱۷.

۵ . الشعراء: ۱۹۵. وفى النحل: ۱۰۳ (وهذا لسان عربىّ مبين).

(۱۸۵)

وأمّا الاِجابة: فإنّ توصيفه باليسر، أو بأنّه نزل بلغة عربية واضحة يهدفان إلى أمر آخر، وهو أنّ القرآن ليس ككلمات الكهنة المركّبة من الاسجاع والكلمات الغريبة، ولامن قبيل الاَحاجى والاَلغاز وإنّما هو كتاب سهل واضح، من أراد فهمه، فالطريق مفتوح أمامه وهذا نظير ما إذا أراد رجل وصف كتاب أُلّف فى علم الرياضيات، أو فى الفيزياء أو الكيمياء يقول: أُلّف الكتاب بلغة واضحة، وتعابير سهلة، فلا يهدف قوله هذا إلى استغناء الطالب عن المعلّم ليوضح له المطالب ويفسّر له القواعد. ولاَجل ذلك قام المسلمون بعد عهد الرسالة بتدوين ما أثر عن النبى أو الصحابة والتابعين أو أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ فى مجال كشف المراد وتبيين الآيات ولم تكن الآيات المتقدمة رادعة لهم عن القيام بهذا الجهد الكبير. نعم إنّ المفسرين فى الاَجيال المتلاحقة ارتووا من ذلك المنهل العذب (القرآن) ولكلّ طائفة منهم شرعة ومنهاج فى الاستفادة من القرآن والاستضاءة بأنواره، فالمنهل واحد والمنهاج مختلف: (لِكُلّ جَعَلنا مِنُكم شِرعةً وَمِنهاجاً).(۱) القرآن وافاقه اللامتناهية : يتميّز القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماوية بآفاقه اللامتناهية كما عبر عن ذلك خاتم الاَنبياء" صلى الله عليه وآله وسلم " وقال": ظاهره أنيق، وباطنه عميق، له تخوم، وعلى تخومه تخوم، لاتحصى عجائبه، ولاتبلى غرائبه ("۲)

---

۱ . المائدة: ۴۸.

۲ . الكافى: ۲|۲۳۸.

(۱۸۶)

وقد عبّر عنه سيد الاُوصياء، قال": وسراجاً لا ـ يخبو توقّده، وبحراً لايدرك قعره ـ إلى أن قال: ـ وبحر لاينزفه المستنزِفون وعيون لاينضبها الماتحون، ومناهل لايغيضها الواردون(۱. ")ولاَجل ذلك صار القرآن الكريم، النسخة الثانية لعالم الطبيعة الذى لايزيد البحث فيه والكشف عن حقائقه إلاّ ـ معرفة أنّ الاِنسان لايزال فى الخطوات الاُولى من التوصل إلى مكامنه الخفية وأغواره البعيدة. والمترقَّب من الكتاب العزيز النازل من عند الله الجليل، هو ذاك وهو كلام من لاتتصور لوجوده وصفاته نهاية فيناسب أن يكون فعله مشابهاً لوصفه، ووصفه حاكياً عن ذاته وبالتالى يكون القرآن مرجع الاَجيال وملجأ البشرية فى جميع العصور. ولما ارتحل النبى الاَكرم "صلى الله عليه وآله وسلم ، " والتحق بالرفيق الاَعلى، وقف المسلمون على أنّ فهم القرآن وإفهامه يتوقف على تدوين علوم تسهل التعرّف على القرآن الكريم ولاَجل ذلك قاموا بعملين ضخمين فى مجال القرآن: الاَوّل: تأسيس علوم الصرف والنحو واللغة والاشتقاق وما شابهها لتسهيل التعرف على مفاهيم ومعانى القرآن الكريم أوّلاً، والسنّة النبوية ثانياً، وإن كانت تقع فى طريق أهداف أُخرى أيضاً لكن الغاية القصوى من القيام بتأسيسها وتدوينها، هو فهم القرآن وإفهامه. الثانى: وضع تفاسير فى مختلف الاَجيال حسب الاَذواق المختلفة لاستجلاء مداليله ومن هنا لانجد فى التاريخ مثيلاً للقران الكريم من حيث شدّة اهتمام أتباعه به وحرصهم على ضبطه، وقراءته، وتجويده، وتفسيره، وتبيينه.

---

۱ . نهج البلاغة: الخطبة ۱۹۸.

(۱۸۷)

وقد ضبط تاريخ التفسير أسماء ماينوف على ألفين ومائتى تفسير وعند المقايسة يختص ربع هذا العدد بالشيعة الاِمامية (۱). هذا ماتوصّل إلى إحصائه المحقّقون من طريق الفهارس ومراجعة المكتبات عدا ما فاتهم ذكره مما ضاع فى الحوادث الموَسفة كالحرق

والغرق والغارة. وعلى ضوء هذا يصعب جداً الإحاطة بعدد التفاسير وأسمائها وخصوصياتها طيلة أربعة عشر قرناً حسب اختلاف بيئاتهم وقابلياتهم وأذواقهم. والجدير بالبحث هو تبيين المناهج المتّبعة فى التفاسير المتداولة ونخوض فيه، بعد تقديم مقدمة، توضح مفهوم "المنهج "وتميزه عن مفهوم" الاتجاه "و" الاهتمام. "المنهج التفسيرى غير الاهتمام التفسيرى : هاهنا نكتة قيمة ربّما غفل عنها بعض من اهتم بتبيين المناهج التفسيرية

---

١ . لاحظ معجم المفسرين لـ"عادل نويهص "وطبقات المفسرين لـ"الحافظ شمس الدين الداودى "المتوفى عام ۹۴۵هـ وما ذكرنا من الإحصاء مأخوذاً من معجم المفسرين كما أنّ ما ذكرنا من أنّ ربع هذا العدد يختص بالشيعة مأخوذ من ملاحظة ما جاء فى كتاب "الذريعة إلى تصانيف الشيعة "من ذكر ۴۵۰ تفسيراً للشيعة.

ولكن الحقيقة فوق ذلك، فإنّ ما قام به علماء الشيعة فى مجال التفسير باللغات المختلفة فى العصر الحاضر لم يذكر فى الذريعة، ولأجل ذلك يصح أن يقال: إنّ ثلث هذا العدد يختص بالشيعة كما أنّه فات صاحب" معجم المفسرين "عدّة من كتب التفسير للشيعة الإمامية وإن كان تتبعه جديراً للتقدير. ولقد أتينا ـ بذكر أُمّة كبيرة من المفسرين الشيعة من عصر الصحابة والتابعين إلى يومنا هذا، من الذين قاموا بتفسير القرآن بألوان مختلفة، فى تقديمنا لكتاب التبيان لشيخ الطائفة الطوسى ـ قدّس سرّه ـ وقد طبع مع الجزء الأوّل.

(۱۸۸)

وهى أنّ هاهنا بحثين: الأوّل: البحث عن المنهج التفسيرى لكل مفسر، وهو تبيين طريقة كل مفسر فى تفسير القرآن الكريم، والأداة والوسيلة التى يعتمد عليها لكشف الستر عن وجه الآية أو الآيات؟ فهل يأخذ العقلَ أداةً للتفسير أو النقل؟ وعلى الثانى فهل يعتمد فى تفسير القرآن على نفس القرآن أو على السنة أو على كليهما أو غيرهما. وبالجملة ما يتخذه مفتاحاً لحل عقد الآيات وغَلقها، وهذا هو ما نسمّيه المنهج فى تفسير القرآن فى مقالنا هذا. الثانى: البحث عن الاتجاهات والاهتمامات التفسيرية، والمراد منها المباحث التى يهتم بها المفسر فى تفسيره مهما كان منهجه وطريقته فى تفسير الآيات، مثلاً تارة يتجه إلى إيضاح المادة القرآنية من حيث اللغة، وأُخرى إلى صورتها العارضة عليها من حيث الإعراب والبناء، وثالثة يتجه إلى الجانب البلاغى، ورابعة يعتنى بايات الأحكام، وخامسة يصب اهتمامه على الجانب التاريخى والقصصى، وسادسة يهتم بالأبحاث الأخلاقية، وسابعة يهتم بالأبحاث الاجتماعية، وثامنة يهتم بالآيات الباحثة عن الكون وعالم الطبيعة، وتاسعة يهتم بمعارف القرآن واياته الاعتقادية الباقية عن المبدأ والمعاد وغيرهما، وعاشرة بالجميع حسبما أُوتى من المقدرة. ولا ـ شك أنّ التفاسير مختلفة من حيث الاتجاه والاهتمام، إمّا لاختلاف أذواق المفسرين وكفاءاتهم وموَهلاتهم، أو لاختلاف بيئاتهم وظروفهم، أو غير ذلك من العوامل التى تسوق المفسر إلى صبّ اهتمامه بجانب من الجوانب المذكورة أو غيرها، ولكن البحث عن هذا لا يمتّ بالبحث عن المنهج التفسيرى للمفسر بصلة فمن تصور أنّ البحث عن اختلاف الاهتمامات والاتجاهات

(۱۸۹)

راجع إلى البحث عن المنهج التفسيرى فقد أخطأ. وإن شئت أن تفرق بين البحثين فنأتى بكلمة موجزة وهى أنّ البحث فى المناهج بحث عن الطريق والأسلوب، والبحث فى الاهتمامات بحث عن الأغراض والأهداف التى يتوخّاها المفسر، وتكون علة غائية لقيامه بالتأليف فى مجال القرآن. ***

أنواع المناهج التفسيرية: إذا تبين الفرق بين البحثين فنقول: إنّ التقسيم الدارج فى تبيين المناهج هو أنّ المفسر إمّا يعتمد فى رفع الستر عن وجه الآية على الدليل العقلى أو على الدليل النقلى، ونحن أيضاً نقتفى فى هذا البحث أثر هذا التقسيم لكن بتبسيط فى الكلام: (۱۹۰)

المنهج الأوّل:

المنهج الاَوّل:

التفسير بالعقل وصوره: ۱ـ التفسير بالعقل الصريح الفطرى. ۲ـ التفسير فى ضوء المدارس الكلامية. ۳ـ التفسير حسب تأويلات الباطنية. ۴ـ التفسير حسب تأويلات الصوفية. ۵ـ التفسير حسب الاُصول العلمية الحديثة. وإليك بيان هذه الصور : ۱ـ التفسير بالعقل الصريح الفطرى: المقصود تحليل الآيات الواردة فى المعارف على ضوء الاَحكام العقلية القطعية الثابتة لدى "العدلية "كالتحسين والتقبيح العقليين، والثمرات المترتبة عليهما من لزوم بعث الاَنبياء وحسن التكليف، وقبح العقاب بلاـ بيان، ولزوم إعداد المقدمات لاِيصال الاِنسان إلى الغاية التى خلق لها، وحسن العدل، وقبح الظلم إلى غير ذلك من الاَحكام العقلية الثابتة لدى عقلاء العالم والكل يستمدّ من الاَصل المعيّن أعنى أصل التحسين والتقبيح العقليين .(۱) _____

۱ . هذا ما يسميه بعضهم بالعقل الصريح .

(۱۹۱)

هذا ما يرجع إلى العقل العملى أى الاَحكام الصادرة منه فى مجال العمل، وهناك إدراكات أُخرى يرجع إلى العقل النظرى أى الاَحكام الصادرة منه فى مجال التفكر والنظر وبه يفسّر كلَّ ما ورد فى القرآن من الآيات الراجعة إلى الصانع، وتوحيده وسائر صفاته وغير ذلك من الاُمور التى تبينها على عاتق العقل النظرى. وبالجملة، الاَحكام العقلية فى مجالى النظر والعمل أداة يفسَّر بها ما ورد من الآيات حول ذاته وصفاته (مورد العقل النظرى) وأفعاله (مورد العقل العملى) . نعم من اتخذ العقل أداة وحيدة للتفسير يصعب عليه تحليل الآيات الراجعة إلى الاَحكام والقصص والمغازى. وينطبع تفسيره بالطابع العقلى البحت. وتظهر أهميته فى الآيات الواردة حول المعارف خصوصاً الآيات المتضمنة للحوار والمناظرة بين الاَنبياء وخصومهم. ومن ألطف ما رأينا من التفاسير فى هذا المنهج هو تفسير "القرآن والعقل "تأليف السيد الجليل نور الدين الحسينى العراقى (م ۱۳۴۱هـ) . وفى هذا القسم من التفسير لايهتم المفسر فى إخضاع الآيات لمنهج عقلى كلامى خاص وإنّما هو من قبيل الاستضاءة بهذه الاُصول الثابتة عند العقل فى تحليل الآيات. نعم لو وقف المفسر على آيات يتبادر من ظهورها الابتدائى الجبر فإنّه يحاول أن يتفحص فى القرآن ليجد ما يفسر هذه الآية على وجه يكون موافقاً للاَصل المسلّم عند العقل (الاختيار) لكن تكون هذه الاُصول هى المحركة للمفسر إلى الفحص البالغ فى متون الآيات والقرائن المنفصلة عنها حتى يتبين الحقّ وهذا بخلاف القسم الآخر الذى سيوافيك فإنّه أشبه بالتفسير بالرأى. ومن حاول أن يسمّى هذا النوع من التفسير، تفسيراً بالرأى فقد أخطأ خطأ

(۱۹۲)

كبيراً لاَنّ المفسر إنّما يقوم بتفسير كلام الله بعد الاعتقاد بوجود الصانع وصفاته وأفعاله وأنبيائه ورسله وكتبه وزبره. وهذه المعارف تعرف بالعقل الذى يستقل بالاَحكام الماضية ولافرق عند العقل بين الاستدلال على وجود الصانع عن طريق النظام السائد على العالم، والحكم بحسن العدل، وقبح الظلم، ولزوم الوفاء بالعهد، وقبح مقابلة الاِحسان بالظلم، إلى غير ذلك من الاَحكام العقلية المستقلة العالية التى يعترف بها جميع عقلاء العالم إلاّ قسم من الاَشاعرة الذين ينكرونها فى اللسان ويوَمنون بها فى القلب. ***

۲ـ التفسير فى ضوء المدارس الكلامية: المراد من هذا القسم هو إخضاع الآيات للعقائد التى اعتنقها المفسر فى مدرسته الكلامية ونجد هذا اللون من التفسير بالعقل غالباً فى تفاسير أصحاب المقالات: المعتزلة والاَشاعرة والخوارج خصوصاً الباطنية فإنّ لهوَلاء عقائد خاصة فى مجالات مختلفة، زعموها حقائق راهنة على ضوء الاستدلال، وفى مجال التفسير حملوا الآيات على معتقدهم، وإن كان ظاهر الآية يأباه ولايتحمله غير أنّ هذا النمط من التفسير بالرأى والعقل، يختلف حسب بعد المعتقَد عن مدلول الآية فربما يكون التأويل بعيداً عن الآية، ولكن تتحملها الآية بتصرف يسير، وربما يكون الاَصل الكلامى بعيداً عن الآية غاية البعد بحيث لاتتحمله الآية حتى بالتصرف الكثير فضلاً عن اليسير . تأويلات المعتزلة والاَشاعرة : القسم الاَوّل عبارة عن التأويلات الموجودة فى تفسير الكشاف

لعلاّمة المعتزلة والتأويلات التى ارتكبها الرازى علاّمة الاَشاعرة فى مجال العقائد

(۱۹۳)

وإليك البيان: أ ـ الشفاعة حط الذنوب أو رفع الدرجة : إنّ الشفاعة لم تكن فكرة جديدة ابتكرها الإسلام وانفرد بها بل كانت فكرة رائجة بين جميع أُمم العالم من قبل وخاصةً بين الوثنيين واليهود. نعم إنّ الإسلام قد طرحها مهذَّبة من الخرافات، ومما نسج حولها من الاَوهام، ومن وقف على آراء اليهود والوثنيين فى أمر الشفاعة يقف على أنّ الشفاعة الدارجة بينهم كانت مبنية على رجائهم لشفاعة أنبيائهم فى حط الذنوب وغفران آثامهم، ولاَجل هذا الاعتقاد كانوا يقترفون المعاصى ويرتكبون الذنوب، تعويلاً على ذلك الرجاء، فالآيات النافية للشفاعة والمثبتة لها تحت شرائط خاصة كلها راجعة إلى الشفاعة بهذا المعنى فلو نُفِيَت فالمنفى هو هذا المعنى، ولو قُبِلت والمقبول هو هذا المعنى، وقد أوضحنا فى محله (۱)أنّ الآيات الواردة فى مجال الشفاعة على سبعة أنواع لايصح تفسيرها إلاّ بتفسير بعضها ببعض، وتمييز القسم المردود منها عن المقبول. ومع ذلك نرى أنّ المعتزلة يخصُّون آيات الشفاعة بأهل الطاعة دون العصاة ويرتكبون التأويل فى موردها، وما هذا إلاّ للموقف الذى اتخذوه فى حقّ العصاة ومقترفى الذنوب، فى أبحاثهم الكلامية، فقالوا بخلود أهل العصيان فى النار إذا ماتوا بلا توبة. قال القاضى عبد الجبار: إنّ شفاعة الفسّاق الذين ماتوا على الفسوق ولم يتوبوا، يتنزل منزلة الشفاعة لِمن قتلَ ولدَ الغير، وترصّد للآخر حتى يقتله فكما أنّ ذلك يقبح، فكذلك هاهنا (۲).

---

۱ . مفاهيم القرآن: ۴ | ۱۷۷ ـ ۱۹۹ . . شرح الاَصول الخمسة: ۶۸۸ .

(۱۹۴)

والذى دفع القاضى إلى تصوير الشفاعة فى حقّ المذنب بما جاء فى المثال، هو اعتقاده الراسخ بالاَصل الكلامى الذى يعد أصلاً من أُصول منهج الاعتزال وفى الوقت نفسه يعرب عن غفلته عن شروط الشفاعة فإنّ بعض الذنوب الكبيرة تقطع العلائق الإيمانية بالله سبحانه كما تقطع الاَواصر الروحية بالنبى الاَكرم فأمثال هؤلاء ـ العصاة ـ محرومون من الشفاعة وقد وردت فى الروايات الإسلامية شروط الشفاعة وحرمان طوائف منها.

ولو افترضنا صحة ما ذكره من التمثيل فحكمه بحرمان العصاة من الشفاعة اجتهاد فى مقابل نصوص الآيات وإخضاع لها لمدرسته الفكرية. يقول الزمخشرى فى تفسير قوله سبحانه:(أنفِقُوا مِمّا رَزَقنَاكُمْ مِن قَبلِ أنْ يَأتِيَ يَومٌ لا بَيعٌ فِيه ولا خُلَّةٌ ولا شفاعة). قال: (ولا خُلَّةٌ)حتى يسامحكم أخلاوَكم به، وإن أردتم أن يحط عنكم ما فى ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعاً يشفع لكم فى حط الواجبات لاَنّ الشفاعة ثمة فى زيادة الفضل لا غير ("۱). ويلاحظ عليه: أنّ الآية بصدد نفى الشفاعة بالمعنى الدارج بين اليهود والوثنيين لاَجل أنّهم كفار، وانقطاع صلتهم عن الله سبحانه، وبالتالى إثباتها فى حقّ غيرهم بإذنه سبحانه ويقول فى الآية التالية: (مَن ذا الّذِى يَشْفَعُ عِندَهُ إلاّ بإذنِه)وأمّا أنّ حقيقة الشفاعة زيادة الفضل لا حطّ الذنوب فهو تحميل للعقيدة على الآية فلو استدل القائل بها على نفى الشفاعة بتاتاً لكان أولى من استدلاله على نفى الشفاعة عن الكفار، وذلك لاَنّ المفروض أنّ الشفاعة بمعنى زيادة الفضل لا حطُّ الذنوب، وهو لايتصور فى حقّ الكفار لاَنّهم لايستحقون الثواب فضلاً عن زيادته.

---

۱ . الكشاف: ۱ | ۲۹۱ فى تفسير الآية رقم ۲۵۴ من سورة البقرة.

(۱۹۵)

ب: هل مرتكب الكبيرة يستحق المغفرة أو لا ؟ اتفقت المعتزلة على أنّ مرتكب الكبيرة مخلد فى النار إذا مات بلا توبة(۱) وفى ضوء ذلك التجأوا إلى تأويل كثير من الآيات الظاهرة فى خلافه نذكر منها آيتين: الاُولى: يقول سبحانه (وإنّ ربّكَ لَذُو مَغفِرةٍ لِلنّاسِ عَلى ظُلمِهِمْ وإنَّ ربّكَ لَشديدُ العِقاب)(۲). فالآية ظاهرة فى أنّ مغفرة الربّ تشمل الناس فى حال كونهم ظالمين، ومن المعلوم أنّ الآية

راجعة إلى غير صورة التوبة وإلّا لايصح توصيفهم بكونهم ظالمين، فلو أخذنا بظاهر الآية فهو يدلّ على عدم جواز الحكم القطعى بخلود مرتكب الكبيرة فى النار إذا مات بلا توبة لرجاء شمول مغفرة الربّ له ولما كان ظاهر الآية مخالفاً للاَصل الكلامى عند صاحب الكشاف، حاول تأويل الآية بقوله": وفيه أوجه: ۱ ـ أن يريد ـ قوله(على ظلمهم) السيئات المكفَّرة، لمجتنب الكبائر. ۲ ـ أو الكبائر بشرط التوبة. ۳ ـ أو يريد بالمغفرة الستر والاِمهال ("۳). وأنت خبير بأنّ كل واحد من الاحتمالات مخالف لظاهر الآية أو صريحها.

***

---

۱ . لاحظ أوائل المقالات: ۱۴ وشرح الاُصول الخمسة: ۶۵۹ .

۲ . الرعد: ۶ .

۳ . الكشاف: ۲ | ۱۵۹ .

(۱۹۶)

الثانية: (إنّ الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) .(۱) والآية واردة فى حقّ غير التائب، لاَنّ الشرك مغفور بالتوبة أيضاً فيعود معنى الآية أنّ الله سبحانه يغفر ما دون الشرك لمن يشاء وإن مات بلا توبة فتكون نتيجة ذلك عدم جواز الحكم القطعى بخلود مرتكب الكبائر فى النار، ولما كان مفاد الآية مخالفاً لما هو المحرّر فى المدرسة الكلامية للمعتزلة حاول صاحب الكشاف تأويل الآية فقال: الوجه أن يكون الفعل المنفى والمثبت جميعاً موجهين بقوله تعالى: (لمن يشاء) كأنّه قيل": إنّ الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك "على أنّ المراد بالاَوّل من لم يتب وبالثانى من تاب، نظير قولك: إنّ الاَمير لايبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء، تريد لايبذل الدينار لمن لايستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله ("۲). يلاحظ عليه: أنّ ماذكره خلاف ظاهر الآية وقد ساقته إليه مدرسته الكلامية فنزّل الاَوّل مورد عدم التوبة، والثانى موردها، حتى تتفق الآية ومعتقده. كما أنّه لا دلالة فى الآية على تقييد الثانى بالتوبة، لاَنّه تفكيك بين الجملتين بلا دليل بل هما ناظرتان إلى صورة واحدة وهى صورة عدم اقترانهما بالتوبة فلا يغفر الشرك لعظم الذنب ويغفر ما دونه. ج: امتناع روَية الله أو إمكانها : ذهبت الاَشاعرة إلى جواز روَيته سبحانه يوم القيامة وهذا هو الاَصل البارز فى مدرستهم الكلامية، ثم إنّ هناك آيات تدلّ بصراحتها على امتناع روَيته سبحانه فحاولوا إخضاع الآيات لنظريتهم وإليك نموذجاً واحداً، يقول سبحانه:

---

۱ . النساء: ۴۸ .

۲ . الكشاف: ۱ | ۲۰۱ فى تفسير الآية المذكورة .

(۱۹۷)

(ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا ـ إِلهَ إلاّ ـ هُوَ خالِقُ كُلّ شَىءٍ فَا عبدُوه وَهوَ عَلى كُلّ شَىءٍ وَكيلٌ * لا تُدرِكُهُ الاَبصارُ وَهُو يُدرِكُ الاَبصارَ وَهوَ اللَّطيفُ الخَبير) (۱) ومن المعلوم أنّ الاِدراك مفهوم عام لايتعين فى البصرى أو السمعى أو العقلى إلّا بالاِضافة إلى الحاسة التى يراد الاِدراك بها، فالاِدراك بالبصر يراد منه الروَية بالعين، والاِدراك بالسمع يراد منه السماع، هذا هو ظاهر الآية، وهى تنفى إمكان الاِدراك بالبصر على الاِطلاق. ولما وقف الرازى على أنّ ظاهر الآية أو صريحها لا ـ يوافق أصله الكلامى فقال": إنّ أصحابنا (الاَشاعرة) احتجوا بهذه الآية على أنّه يجوز روَيته والموَمنون يرونه فى الآخرة وذلك بوجوه: ۱ ـ أنّ الآية فى مقام المدح فلو لم يكن جائز الروَية لما حصل التمدح بقوله:(لاتدركه الاَبصار)ألا ترى أنّ المعدوم لا تصح روَيته، والعلوم والقدرة والاِرادة والروائح والطعوم لاتصح روَية شىء منها ولا يمدح شىء منها فى كونها" لاتدركه الاَبصار "فثبت أنّ قوله:(لاتدركه الاَبصار) يفيد المدح، إلّا إذا صحت الروَية. والعجب غفلة الرازى عن أنّ المدح ليس بالجزء الاَوّل فقط وهو لا تدركه الاَبصار بل بمجموع الجزأين المذكورين

فى الآيـة كأنّه سبحانه يقول: والله جلّت عظمته يـدرك أبصاركم، ولكن لا تـدركه أبصاركم، فالمدح بمجموع القضـيتين لا بالقضـية الأُولى. ۲ ـ أنّ لفظ" الأَبصار "صـيغة جمع دخل عليها الأَلـف واللام فهى تفيـد الاسـتغراق بمعنى أنّه لايدركه جميع الأَبصار وهذا لا ينافى أن يدركه بعض الأَبصار. ــــــــــــــــ

۱ . الأَنعام: ۱۰۲ ـ ۱۰۳ .

(۱۹۸)

يلاحظ عليه: أنّ الآيـة تفيد عموم السلب لاسلب العموم بقرينة كونه فى مقام مدح نفسه.

كأنّه سبحانه يقول": لا يدركه أحد من جميع ذوى الأَبصار من مخلوقاته ولكنّه تعالى يدركهم وهذا نظير قوله سبحانه:(كَذلِكَ يَطبَعُ اللهُ عَلى كُلّ قَلبِ مُتَكبّرٍ جَبّار) (۱) وقوله: (إنَّ اللهَ لا يُحبُّ كُلَّ مُختالٍ فَخور) (۲). إلى غير ذلك من الوجوه الواهية التى ما ساقه إلى ذكره إلّا لِيُخضِعَ الآيـةَ، معتقـده. إلى هنا تم الكلام فى القسم الأَوّل، وإليك الكلام فى القسم الثانى الذى يكون التفسير فيه بعيداً عن ظاهر الآية غاية البعد. ***

۳ـ التفسير حسب تأويلات الباطنية: إنّ الباطنية وضعوا لتفسير المفاهيم الإسلامية ضابطة ما دلّ عليها من الشرع شىء وهو أنّ للقرآن ظاهراً وباطناً والمراد منه باطنه دون ظاهره المعلوم من اللغة، ونسبة الباطن إلى الظاهر كنسبة اللب إلى القشر، وإنّ باطنه يؤدّى إلى ترك العمل بظاهره واستدلّوا على ذلك بقوله سبحانه: (فَضُرِبَ بَينَهُم بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِيه الرَّحمَةُ وَظاهِرُهُ مِن قِبَلِه العَذاب)(۳).

---

۱ . غافر: ۳۵ .

۲ . لقمان: ۱۸ .

۳ . الفرق بين الفرق: ۱۸ | والآية ۱۳ من سورة الحديد .

(۱۹۹) إذا افترضنا صحة تلك الضابطة فى فهم الشريعة والعمل بالقرآن، إذاً تصبح الشريعة غرضاً للأهواء المختلفة، لأنّ كل ذى هوى يدّعى أنّ الحق معه. وأنّ المراد ما اختاره من التأويل على الرغم من اختلاف تأويلاتهم. أُنظر إلى ما يقولون حول المفاهيم الإسلامية وإنّهم كيف يتلاعبون بها فالوضوء عبارة عن موالاة الإمام، والتيمم هو الأخذ من المأذون عند غيبة الإمام الذى هو الحجة، والصلاة عبارة عن الناطق الذى هو الرسول بدليل قوله تعالى فى الآية ۴۵ من سورة العنكبوت:(إنّ الصَّلوةَ تَنهى عَنِ الفَحشاءِ وَالمُنكَر) والغسل تجديد العهد ممّن أفشى سراً من أسرارهم من غير قصد، وإفشاء السر عندهم على هذا النحو هو معنى الاحتلام، والزكاة هى تزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من الدين، والكعبة النبى، والباب على، والصفا هو النبى، والمروة على، والميقات الايناس، والتلبية إجابة الدعوة، والطواف بالبيت سبعاً موالاة الأئمة السبعة، والجنة راحة الأبدان من التكاليف، والنار مشقتها بمزاولة التكاليف (۱). فإذا كان ما ذكروه حقيقة الدين والتكاليف فلم يبق بين الديانة والإلحاد حد فاصل. هذه نماذج من تأويلات الباطنية اقتصرنا على هذا المقدار. ۴ـ التفسير حسب تأويلات المتصوفة: ومن القسم الثانى ما جاء به ابن العربى شيخ الصوفية فى عصره فقد قام بتأويل المفاهيم القرآنية على وجه لا ـ دليل عليه فيقول: إنّ جبرائيل هو العقل العقال، وميكائيل هو روح الفلك السادس، وإسرافيل هو روح الفلك الرابع، وعزرائيل هو روح الفلك السابع .(۲)

---

۱ . المواقف: ۸ | ۳۹۰ . ۲ . تفسير ابن عربى: ۱ | ۱۵۰ .

(۲۰۰)

هذا و هو يفسّر قوله سبحانه: (مَرَجَ البَحرين يَلتقيان * بَينَهُما بَرزخٌ لا يَبغيان) (۱)أنّ مرج البحرين هو بحر الهيولى الجسمانية الذى هو الملح الأُجاج، وبحر الروح المجرد هو العذب الفرات، يلتقيان فى الموجود الإنسانى، وإنّ بين الهيولى الجسمانية والروح المجردة

برزخ هو النفس الحيوانية التى ليست فى صفاء الروح المجردة ولطافتها، ولا ـ فى كثرة الأجساد الهيولائية وكثافتها، ولكن مع ذلك لايبغيان أى لايتجاوز أحدهما حده فيغلب على الآخر بخاصيته فلا الروح المجردة تجرد البدن وتخرج به وتجعله من جنسه ولا البدن يجسد الروح ويجعله مادياً (۲). ***

۵ـ التفسير حسب الأُصول العلمية الحديثة : وهناك تفسير بالعقل باسم التفسير العلمى أكثر منه الشيخ محمد عبده، والسيد سير أحمد خان الهندى، والطنطاوى الجوهرى، ونحن نكتفى هنا بنماذج من تفسير" المنار "الذى جمعه تلميذه السيد محمد رشيد رضا منشئ المنار. ۱ ـ كتب الأُستاذ فى تفسير قوله سبحانه: (وَلَقَد عَلِمتُمُ الّذِينَ اعتَدَوْا مِنكُم فِى السَّبتِ فَقُلنا لَهُم كُونُوا قِرَدةً خاسِئِين * فَجَعَلناها نَكالاً ـ لِما بَينَ يَدَيها وَما خَلفَها وَمَوعِظةً للمتَّقين)(۳) كتب ما يلى": إنّ السلف من المفسرين ـ إلاّ ـ من شذّ ـ ذهب إلى أنّ معنى قوله:(كونوا قردة خاسئين)أنّ صورهم مسخت فكانوا قردة حقيقيين. _____

۱ . الرحمن: ۱۹ ـ ۲۰ .

۲ . تفسير ابن عربى: ۲ | ۲۸۰ .

۳ . البقرة: ۶۵ ـ ۶۶ .

(۲۰۱) وإنّما نسب هذا المعنى إلى السلف، لأنّه يصطدم بالمنهج الذى اختاره الأُستاذ فى تفسير القرآن، ولاتصدقه أنصار الحضارة المادية الّذين ينكرون إمكان صيرورة إنسان قرداً حقيقياً دفعة واحدة، ولأجل ذلك مال الأُستاذ إلى رأى مجاهد الذى قال: ما مسخت صورهم ولكن مسخت قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار فى قوله تعالى: (مَثَلُ الّذِينَ حُمِّلُوا التَّورية ثمَّ لَم يَحمِلُوها كَمَثَلِ الحِمارِ يَحمِلُ أسفاراً)(۱). ثم أخذ فى نقد قول الجمهور ـ إلى أن قال" ـ: فما قاله مجاهد هو الأوفق بالعبرة والأجدر بتحريك الفكرة(۲.") ولا يخفى أنّه إذا صحّ هذا التأويل فيصح لكل من ينكر المعاجز والكرامات وخوارق العادات هذا النمط من التأويل، وعندئذ تبطل المعارف ويكون الكتاب العزيز لعبة بيد المحرّفين. ۲ ـ نقل صاحب المنار عن بعض المفسرين مذهباً خاصاً فى معنى الملائكة وهو أنّ مجموع ما ورد فى الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من إنماء نبات، وخلقة حيوان، وحفظ إنسان وغير ذلك، فيه إيماء إلى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة وهو أنّ هذا النمو فى النبات لم يكن إلاّ بروح خاص نفخه الله فى البذرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة وكذلك يقال فى الحيوان والإنسان، فكل أمر كلى قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلهية فى إيجاده فإنّما قوامه بروح إلهى، سُمّى فى لسان الشرع ملكاً ومن لم يبال فى التسمية بالتوقيف يسمى هذه المعانى القوى الطبيعية إذا كان لايعرف من عالم الإمكان إلاّ ما هو طبيعة أو قوة يظهر أثرها فى الطبيعة.

---

۱ . الجمعة: ۵ .

۲ . تفسير المنار: ۱ | ۳۴۳ ـ ۳۵۴ .

(۲۰۲)

وقال الأُستاذ عبده بعد نقل نظير هذه التأويلات: ولو أنّ نفساً مالت إلى قبول هذا التأويل لم تجد فى الدين ما يمنعها من ذلك، والعمدة على اطمئنان القلب وركون النفس على ما أبصرت من الحق (۱). ولايخفى أنّ هذا التأويل لو صح فى بعض الأحاديث لما يصحّ فى الملائكة الواردة فى قصة آدم وغيرها وما هذا التأويل إلاّ للخضوع للمنهج الخاص الذى اختاره الأُستاذ فى تفسير القرآن. ولنكتف بهذه النماذج من التفسير بالعقل غير المرضى، والمراد بالعقل ما يقابل التفسير بالنقل سواء اعتمد على المدارس الكلامية، أو تأويلات الباطنية أو الصوفية أو على الأُصول العلمية الحديثة أو غير ذلك. إنّ التفسير بالعقل وإن صحّ ببعض صوره لكنه غير وافٍ فى إيقاف الإنسان على حقائق الكتاب العزيز ولا غنى لمن يستند بالعقل عن الاستناد إلى النقل أيضاً. كلمة فى التفسير بالرأى : التفسير بالرأى الذى يدخل تحته أكثر ما تقدم من التفسير بالعقل، هو الذى أجمع الفريقان على منعه تبعاً للآثار المتضافر عن النبى" صلى الله

عليه وآله وسلم " حيث قال": اتّقوا الحديث إلّا ما علمتم، فمن كَذِبَ عَلَيَّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار، ومن قال فى القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار(۲. ")وعلى ضوء هذا الحديث الذى رواه الفريقان، يجب على المفسر أن يتجرد من الآراء المسبقة، ويُوَطّن نفسه على قبول ما تفيده الآية وتدلّ عليه ولايُخضِع القرآن لعقيدته، بل يعرض عقيدته على القرآن، لأنّه حجّة الله على

---

۱ . المنار: ۱ | ۲۷۳ ، طبع مصر سنة ۱۳۷۳ هـ . ق .

۲ . سنن الترمذى: ۲ | ۱۵۷ ، أبواب التفسير.

خلقه وعهده إلى عباده، إليه يتحاكمون وعن حكمه يصدرون، ولأجل ذلك لايجوز له تأويل الآية وإخراجها عن ظاهرها ليوافق عقيدته ويلائم مذهبه، فإنّ موقف المتصدّى لتفسير كلام الله موقف المتعلم من المعلم ومجتنى الثمرة من الشجرة، فيجب أن يتربص إلى أن ينطلق المعلّم فيأخذه خطة وقاعدة ويجتنى الثمرة فى أوانها وفى إيناعها. من البدع الذائعة فى بعض التفاسير طلب الوجوه البعيدة فى الإعراب، أو حمل اللفظ على المعانى التى لاتتفق وسياقها، أو سبب نزولها وتطبيق الآيات على موارد ومصاديق بعيدة ـ كلها ـ لأجل أغراض ودعايات وأهداف طائفية أو سياسية أو شخصية. عصمنا الله من ركوب الهوى والعصبية. ***

هل التفسير الإشارى من قبيل التفسير بالرأى؟ هناك منهج اصطلحوا عليه بالتفسير الإشارى أو التفسير الفيضى، وعرّفوه بأنّ نصوص القرآن محمولة على ظواهرها ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة(۱). وبعبارة أُخرى: ما يظهر من الآيات بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة. وبعبارة ثالثة: القائل بالتفسير الإشارى لاينكر كون الظاهر مراداً ولكن يقول بأنّ فى هذه الظواهر، إشارات إلى معانٍ خفية تفهمه عدّة من أرباب السلوك وأولو العقل

---

۱ . سعد الدين التفتازانى : شرح العقائد النسفية: ۱۴۲ .

والنهى وبذاك يمتاز عن تفسير الباطنية فإنّهم يرفضون كون الظواهر مرادة ويأخذون بالبواطن هذا هو حاصل التفسير الإشارى. وربما يؤيد ذلك ما ورد عن نبى الإسلام" صلى الله عليه وآله وسلم " بأنّ للقرآن ظهراً وبطناً، وظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق (۱). وربما يؤيد أيضاً بقول سبحانه:(فَما لِهؤلاءِ القَومِ لا يَكادُونَ يَفقَهُونَ حَديثاً) (۲). وقوله تعالى:(أفَلا يَتَدَبَّرونَ القُرآنَ وَلَو كانَ مِن عندِ غَيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فيه اختلافاً كَثيراً) (۳). وقوله تعالى:(أفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ أمْ عَلى قُلوبٍ أقفالُها) (۴). فهذه الآيات تشير إلى أنّ القرآن له ظهر وبطن وذلك لأنّ الله سبحانه حيث يصف الكافرين بأنّهم لايكادون يفقهون حديثاً لايريد بذلك أنّهم لا يفهمون نفس الكلام، لأنّ القوم كانوا عرباً والقرآن لم يخرج عن لغتهم فهم يفهمون ظاهره بلا ـ شك، وإنّما أراد بذلك أنّهم لايفهمون مراده من الخطاب فحضّهم على أن يتدبروا فى آياته حتى يقفوا على مقصود الله ومراده وذلك هو الباطن الذى جهلوه ولم يصلوا إليه بعقولهم (۵).

---

۱ . الكافى: ۲ | ۹۲۳۸ .

۲ . النساء: ۷۸ .

۳ . النساء: ۸۲ .

۴. محمد.

۵ . التفسير والمفسرون ، نقلاً عن الموافقات: ۳ | ۳۸۲ ـ ۳۸۳ .

(۲۰۵)

ولايخفى أنّ الاستدلال بهذه الآيات غير تام جداً فإنّها تدعو إلى التدبر فى نفس المفاهيم المستفادة من ظاهر الآيات وكون القرآن عربياً، وكون القوم عرباً لا ـ يكفى فى فهم القرآن الكريم من دون التدبر والإمعان فهل يكفى كون القوم عرباً فى فهم مغزى قوله سبحانه: (هُوَ الاَوّلُ وَالآخِرُ وَالظّاهِرُ وَالباطِنُ وَهُوَ بِكلّ شَىءٍ عَلِيم)(۱). أو فى فهم قوله سبحانه:(وَما كَانَ مَعهُ مِن إلهٍ إذاً لَذَهَبَ كُلُّ إلهٍ بِما خلَقَ ولَعَلا بَعضُهُم عَلى بَعضٍ سُبحانَ اللهِ عَمّا يَصفون) (۲). أو فهم قوله سبحانه:(لَو كانَ فيهِما آلِهَةٌ إلاّ اللهُ لَفَسدَتا فَسُبحانَ اللهِ ربّ العَرشِ عَمّا يَصِفُون)(۳). فالدعوة إلى التدبر لا يدلّ على أنّ للقران وراء ما تفيده ظواهره بطناً. أضف إلى ذلك أنّه يمكن أن يكون الاَمر بالتدبر هو تطبيق العمل على ما يفهمونه من القرآن فربَّ ناصح يُدلى بكلام فيه نصيحة الاَهل والولد، ولكنّهم إذا لم يطبقوا عملهم على قول ناصحهم يعود الناصح إليهم، ويقول: لماذا لا تتدبرون فى كلامى؟ لماذا لاتعقلون؟ مشعراً بذلك أنّكم ما وصلتم إلى ما أدعوكم إليه وإلاّ لتركتم أعمالكم القبيحة وصرتم عاملين بما أدعو إليه. وأمّا ما روى عن النبى الاَكرم" صلى الله عليه وآله وسلم" بأنّ للقرآن بطناً وظهراً فالحديث فيه ذو شجون وأنّه يحتمل وجوهاً على نحو مانعة الخلو. ۱ ـ المقصود من البطن هو أنّ ما ورد فى القرآن حول الاَقوام والاُمم من القصص، وما أصابهم من النعم والنقم، لاينحصر على أُولئك الاَقوام، بل هؤلاء

---

۱ . الحديد: ۳ .

۲ . المؤمنون: ۹۱ .

۳ . الاَنبياء: ۲۲ .

(۲۰۶)

مظاهر لكلامه سبحانه وهو يعم غيرهم ممن يأتون فى الاَجيال فقوله سبحانه:(وضَربَ اللهُ مَثلاً قَريةً كانَت آمنَةً مُطمَئِنَّةً يَأتِيها رِزقُها رَغَداً مِن كُلّ مَكانٍ فَكَفَرت بِأنعُمِ اللهِ فأذاقها اللهُ لِباسَ الجُوعِ وَالخَوفِ بِما كانُوا يَصنَعونَ * وَلَقد جاءَهُمْ رَسولٌ مِنهم فَكَذَّبُوهُ فَأخَذهُمُ العَذابُ وَهُم ظالِمون)(۱)وإن كان وارداً فى قوم خاص، لكنّها قاعدة كلية مضروبة على الاُمم جمعاء. ۲ ـ المراد من بطن القرآن هو الاهتداء إلى المصاديق الخفية التى يحتاج الوصول إليها إلى التدبر، أو تنصيص من الإمام، ولاَجل ذلك نرى أنّ علياً ـ عليه السلام ـ يقول فى تفسير قوله سبحانه: (وإن نَكَثُوا أيْمانَهُم مِن بَعدِ عَهدِهِم وطَعَنُوا فى دِينِكُم فَقاتِلُوا أئمَّةَ الكُفْرِ إنّهُم لا أيْمانَ لَهُم لَعَلّهُم يَنتَهُون)(۲") إنّه ما قوتل أهلها منذ نزلت حتى اليوم "وفى رواية قال على ـ عليه السلام" ـ: عذرنى الله من طلحة والزبير بايعانى طائعين، غير مكرهين، ثم نكثا بيعتى من غير حدث أحدثته "ثم تلا هذه الآية (۳). ۳ ـ وهناك احتمال ثالث للبطن وهو حمل الآية على مراتب مفهومها وسعة معناها واختلاف الناس فى الاستفادة منها حسب استعداداتهم وقابلياتهم لاحظ قوله سبحانه:(أنزَلَ مِن السّماءِ ماءً فَسالت أوديةٌ بِقَدَرِها فاحتَملَ السَّيلُ زَبَداً رابِياً وَمِمّا يُوقِدُونَ عَلَيهِ فى النّارِ ابتغاءَ حِليةٍ أو متاعٍ زَبَدٌ مِثلُهُ كَذلِكَ يَضربُ اللهُ الحَقَّ والباطِلَ فأمّا الزَّبَدُ فَيَذهَبُ جُفاءً وأمّا ما يَنفَعُ النّاسَ فَيمكُثُ فِى الاَرضِ كَذلِكَ يَضرِبُ اللهُ الاَمثال)(۴).

---

۱ . النحل: ۱۱۲ ـ ۱۱۳ .

۲ . التوبة: ۱۲ .

۳ . البرهان فى تفسير القرآن: ۱ | ۱۰۵ .

۴ . الرعد: ۱۷ .

(۲۰۷)

إنّ للآيـة مراتب ودرجـات من التفسـير كـل يسـتفيد منهـا حسب قـابليته والكـل يسـتمد من الظـاهر، ونظيره آيـة النور (١) فقـد خاض المفسـرون فى تفسـير الآيـة وتطبيقهـا على موارد مختلفـة وكل اسـتفاد من نورها حسب موَهلاته وكفاءاته. وحاصل القول فى التفسـير الاِشارى أنّ ما يفهمه المفسـر من المعانى الدقيقة إنّ كان لها صـلة بالظاهر فهو مقبول سواء سـمّى تفسيراً على حسب الظاهر أو تفسيراً إشارياً وعلى كل تقدير فالمفسـر على حجّة من ربّه فى حمل الآية على ما أدرك، وأمّا إذا كان مقطوع الصلة عن الظاهر، المتبادر إلى الاَذهان، فلايصـح له حمل القرآن عليه إلاّ إذا حصل له القطع بأنّه المراد وعندئـذ يكون القطع حجّة له لالغيره وإن كان مخالفاً للواقع، ولاِيضاح الحال نأتى بأمثلـة: يخاطب سـبحانه أُمّ المسـيح بقوله:(وهُزّى إلَيكِ بِجذعِ النَّخلَةِ تُساقِطْ عَلَيكِ رُطباً جَنيّاً)(٢). فلو قال أحد: إنّه سـبحانه هيّأ مقدمات الولادة وموَخراتها لاُمّ المسـيح، حتى الرطب فى غير فصـله من الشـجرة اليابسة ومع ذلك أمرها أن تَهزَّ بجذع النخلـة مع أنّ فى وسع المولى سـبحانه أن يرزقهـا الرطب بلا حاجـة إلى الهزِّ، ـ أمرها بالهزّ ـ هـذا لتفهيمها أنّها مسوَولـة فى حياتها عن معاشـها، وأنّه سـبحانه لو هيّأ كـل المقـدمات فلاـ تغنى عن سـعيها وحركتهـا ولو بـالهز بجـذع النخلـة. هـذا ما ربما يعلق بـذهن بعض المفسـرين ولابأس به لاَنّ له صـلة بالظاهر. روى أنّه بعدما نزل قوله سبحانه:(اليومَ أكمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأتمَمتُ عَليكُمْ نِعمَتى وَرَضيتُ لَكُمُ الاِسلامَ ديناً)فرحَ الصحابة وبكى بعضهم فقال: الآية تنعى إلينا برحلة النبى (٣).

---

١ . النور: ٣٥ .

٢ . مريم: ٢٥ .

٣ . الآلوسى: روح المعانى: ۶ | ۶۰ والآية ٣ من سورة المائدة.

والنماذج الواضـحة لهذا النوع من التفسير الاِشارى مايذكره المفسرون حول الآيتين آية الرعد وايةِ النور ترى أنّ المعانى المذكورة فى كتب التفاسير تختلف وضوحاً وخفاءً وبساطة وعلوياً، والكل يسند المعانى إلى اللفظ وبينها وبين لفظ الآية صلة، ولعل الاَمر بالتدبر فى القرآن يعود أيضاً لهـذا النوع من التفسـير التى لايصل إليها المفسـر إلاّ بعد الاِمعان وهذا ما يقال فيه": العلم نور يقذفه الله فى قلب من يشـاء. "نعم هناك تفاسـير باسم التفسـير الاِشارى لايصـح إسـناده إلى الله سـبحانه كتفسـير" الَم "بأنّ الاَلف إشارة إلى الله واللام إلى جبرئيل والميم إلى محمّد" صـلى الله عليه وآله وسـلم " فإنّه أشـبه بالتفسير بالرأى إلاّ إذا كان هناك نصّ من المعصوم. ولو صحّ هذا التفسـير فيمكن تفسـيره بوجوه كثيرة بـأنّ يقـال الاَلـف إشـارة إلى ألف الوحدانيـة، واللاـم إلى لام اللطف، والميم إشارة إلى الملك، فمعنى الكلمـة: من وحّدنى تلطفت له فجزيته بالملك الاَعلى، وأسوأ من ذلك تفسـير قوله سـبحانه:(والجارِ ذِى القُربَى والجارِ الجُنُبِ وَالصّاحِبِ بالجَنْبِ و ابنِ السّبِيل)(١) بأن يقال:(والجار ذى القربى)هو القلب،(والجار الجنب)هو الطبيعة،(والصاحب الجنب) هو العقل المقتدى بالشريعة،(وابن السبيل)هو الجوارح المطيعة لله . فمثل هذا النوع من التفسير يلتحق بتفاسير الباطنية التى سوف نبحث عنها فى المسـتقبل. وخلاصة الكلام: أنّ ما يهتدى إليه المفسر بعد التفكر والتأمل فى نفس الآية ومفرداتها وسياقها منه سواء كان معنى أخلاقياً أو اجتماعياً أو سياسياً نافعاً بحال المجتمع، إذا كان له صلة بالظاهر غير منقطع عنه فهو تفسير مقبول وفى

---

١ . النساء: ٣۶ .

غير هذه الصورة يكون مردوداً. ولعل كون القرآن كتاب القرون والاَجيال لا تنقضى عجائبه يلازم قبول هذا النوع من التفسير الاِشارى ولاَجل ذلك لم يزل كتاب الله طريّاً فى غضون الاَجيال لم ينـدرس ولم يطرأ عليه الاندراس، بل هو طرىّ ما دامت السـموات والاَرض ولاـزم ذلك وجود معارف وحقائق فى القرآن يهتـدى إليها الاِنسان بالتعمق فى دلالاته اللفظيـة: المطابقيـة والتضـمنية والالتزاميـة وإن

كان السلف فى الاَعصار الماضية غافلين عن هذه المعانى، ولعله إلى ذلك يشير الصادق ـ عليه السلام ـ فى جواب من سأله أنّه ما بال القرآن لايزداد على النشر والدرس إلاّ غضاضة؟ بقوله": لاَنّ الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس وهو فى كل زمان جديد، وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة ("۱). وبالجملة فإيصاد هذا الباب فى وجه المفسرين، يوجب وقف الحركة العلمية فى فهم الكتاب العزيز وبالتالى يكون القرآن كسائر الكتب محدود المعنى، ومقصور المراد، لا يحتاج إلى تداوم البحث وتضافره. ***

---

۱ . البحار: ۹۲ ، باب فضل القرآن، الحديث ۸ ، نقلاً عن عيون أخبار الرضا، عن أبيه موسى الكاظم ـ عليهما السلام ـ .

المنهج الثانى:

المنهج الثانى: التفسير بالنقل وصوره: ۱ـ تفسير القرآن بالقران. ۲ـ التفسير البيانى للقران. ۳ـ تفسير القرآن باللغة والقواعد العربية. ۴ـ تفسير القرآن بالمأثور عن النبىّ" صلى الله عليه وآله وسلم " والاَئمّة ـ عليهم السلام ـ . وإليك بيان هذه الاَقسام: ۱ ـ تفسير القرآن بالقران: إنّ هذا المنهج من أسمى المناهج الصحيحة الكافلة لتبيين المقصود من الآية كيف وقد قال سبحانه: (وَنَزّلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ تِبياناً لِكُلّ شَىءٍ)(النحل ـ ۸۹) . فإذا كان القرآن موضحاً لكل شىء، فهو موضِّح لنفسه أيضاً، كيف والقرآن كلّه" هدى "و" بيّنة "و "فرقان "و" نور "كما فى قوله سبحانه: (شَهرُ رَمضانَ الّذى أُنْزِلَ فِيهِ القُرانُ هُدًى لِلنّاسِ وَبيّناتٍ مِنَ الهُدى والفُرقان)(البقرة ـ ۱۸۵) . وقال سبحانه: (وأنزَلنا إلَيكُمْ نُوراً مُبيناً)(النساء ـ ۱۷۴) .

(۲۱۱) وعن النبى الاَكرم" صلى الله عليه وآله وسلم" : " إنّ القرآن يصدّق بعضه بعضاً "وقال على ـ عليه السلام ـ فى كلام له يصف فيه القرآن": كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض، ولايختلف فى الله ولايخالف بمصاحبه عن الله (۱. "وهذا نظير تفسير المطر الوارد فى قوله سبحانه:(وأمطَرنا عَلَيهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ المُنذَرين)(الشعراء ـ ۱۷۳) . بالحجارة الواردة فى آية أُخرى فى هذا الشأن قال:(وأمطَرنا عَلَيهِم حِجارَةً مِن سِجّيل)(الحجر ـ ۷۴) . وفى الروايات المأثورة عن أهل البيت نماذج كثيرة من هذا المنهج يقف عليها المتتبع فى الآثار الواردة عنهم عند الاستدلال بالآيات على كثير من الاَحكام الشرعية الفرعية وغيرها. وقد قام أحد الفضلاء باستقصاء جميع هذا النوع من الاَحاديث المتضمنة لهذا النمط من التفسير. ولنذكر بعض النماذج من هذا المنهج. ۱ ـ سأل زرارة ومحمد بن مسلم أبا جعفر ـ عليه السلام ـ عن وجوب القصر فى الصلاة فى السفر مع أنّه سبحانه يقول:(وَلَيْسَ عَلَيكُم جُناح) (۲) لم يقل افعلوا؟ فأجاب الإمام ـ عليه السلام ـ بقوله": أوليس قد قال الله عزّ وجلّ فى الصفا والمروة:(فَمَن حَجَّ البَيتَ أوِ اعتَمرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أن يَطَّوَّفَ بِهِما) (۳) ألا ترون أنّ الطواف بهما واجب مفروض .("۴)

---

۱ . نهج البلاغة: الخطبة: ۱۲۹ .

۲ . الاَحزاب: ۲۵ .

۳ . البقرة: ۱۵۸ .

۴ . الوسائل: ۵ ، الباب ۲۲ ، من أبواب صلاة المسافر، الحديث ۲.

(۲۱۲) ۲ ـ روى المفيد فى إرشاده: أنّ عمر أُتى بامرأة قد ولدت لستة أشهر فهمَّ برجمها فقال له أمير المؤمنين ـ عليه السلام" ـ: إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك إنّ الله تعالى يقول:(وَحَملُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهراً) (۱) ويقول:(وَالوالِداتُ يُرضِعنَ أولادَهُنَّ حَولَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَن أراد أن يُتِمَّ الرّضاعَة)(۲) . فإذا تمّ، أتمّت المرأة الرضاع لسنتين، وكان حمله وفصاله ثلاثين شهراً كان الحمل منها ستة أشهر، "فخلّى عمر سبيل المرأة (۳). أقول: هذا النمط من التفسير كما يتحقّق بالتفسير الموضوعى، أى تفسير القرآن حسب

الموضوعات، يتحقّق بالتفسير التجزيئى أى حسب السور، سورة بعد سورة وهذا هو تفسير" الميزان "كتب على نمط تفسير القرآن بالقرآن، لكن على حسب السور، دون الموضوعات فبيّن إبهام الآية بآية أُختها. ولكن الصورة الكاملة لهذا النمط من التفسير يستدعى الإحاطة بالقران الكريم، وجمع الآيات الواردة فى موضوع واحد، حتى تتجلّى الحقيقة من ضمّ بعضها إلى بعض، واستنطاق بعضها ببعض، فيجب على القائم بهذا النمط، تفسير القرآن على حسب الموضوعات، وهو نمط جليل يحتاج إلى عناء كثير، وقد قام العلامة المجلسى برفع بعض مشاكل هذا النمط فجمع الآيات الواردة فى كل موضوع حسب السور. ولو انتشر هذا القسم من البحار فى جزء مستقل ربّما يكون مفتاحاً للتفسير الموضوعى فهو ـ قدّس سرّه ـ قد استخرج الآيات حسب الموضوعات، وشرحها بوجه إجمالى.

---

۱ . الأحقاف: ۱۵ .

۲ . البقرة: ۲۳۳ .

۳ . نور الثقلين: ۱۴۵. الدر المنثور للسيوطى: ۷ | ۴۴۱ ، طبع دار الفكر بيروت .

(۲۱۳) ولكن النمط الأوسط منه هو قراءة القرآن من أوّله إلى آخره، والدقة فى مقاصد الآيات، ثم تصنيف الآيات حسب ما ورد فيها من الأبحاث والموضوعات، ففى هذا النوع من التفسير تستخرج الموضوعات من الآيات ثم تصنّف الآيات حسب الموضوعات المستخرجة، وهذا بخلاف ما قام به العلامة المجلسى، فهو صنّف الآيات حسب الموضوعات جادت بها فكرته، أو جاءت فى كتب الأحاديث والأخبار. وهذا النمط من التفسير لايعنى قول القائل": حسبنا كتاب الله " المجمع على بطلانه من عامة المسلمين، لاهتمامهم بالسنّة مثل اهتمامهم بالقرآن، وإنّما يعنى أنّ مشاكل القرآن ومبهماته ترتفع من ذلك الجانب. وأمّا أنّه كاف لرفع جميع المبهمات حتى مجملات الآية ومطلقاتها فلا، إذ لاشك أنّ المجملات كالصلاة والزكاة يبين بالسنّة والعمومات تخصص بها، والمطلقات تقيد بالأخبار إلى غير ذلك من موارد الحاجة إلى السنّة. هذا بعض الكلام فى هذا المنهج، وقد وقع مورد العناية فى هذا العصر، فقد أخذنا هذا النمط فى تفسيرنا للذكر الحكيم، فخرج منه باللغة العربية أجزاء سبعة باسم" مفاهيم القرآن "وباللغة الفارسية إثنا عشر جزءاً وانتشر باسم" منشور جاويد "ولا ننكر أنّ هذا العبء الثقيل يحتاج إلى لجنة تحضيرية أوّلاً، وتحريرية ثانياً، وإشراف من الأساتذة ثالثاً، رزقنا الله تحقيق هذه الأُمنية. وإنّ تفسير ابن كثير يستمد من هذا النمط أى تفسير الآيات بالآيات بين الحين والآخر، كما أنّ الشيخ محمد عبده فى تفسيره الذى حرر بقلم تلميذه اتّبع هذا المنهج فى بعض الأحايين. والأكمل من التفسيرين فى اتّباع هذا المنهج هو تفسير السيد العلامة الطباطبائى فقد بنى تفسيره على تفسير الآية بالآية. (۲۱۴)

غير أنّ هذه التفاسير الثلاثة كما عرفت كتبت على نحو التفسير التجزيئى، أى تفسير القرآن بسورة بعد سورة لا على تفسيره حسب الموضوعات. وعلى كل تقدير فتفسير القرآن بالقران يتحقّق على النمط الموضوعى كما يتحقّق على النمط التجزيئى غير أنّ الأكمل هو اقتفاء النمط الأوّل. *** ۲ ـ التفسير البيانى للقران: هذا المنهج الذى ابتكره ـ حسب ما تدّعيه الدكتورة عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ ـ أُستاذها الأمين الخولى المصرى ـ عبارة عن استقراء اللفظ القرانى فى كل مواضع وروده للوصول إلى دلالته وعرض الظاهرة الاسلوبية على كل نظائرها فى الكتاب المحكم، وتدبر سياقها الخاص فى الآية والسورة ثم سياقها العام فى المصحف كلّه التماساً لسرّه البيانى. وحاصل هذا المنهج يدور على ضوابط وهى: ألف ـ التناول الموضوعى لما يراد فهمه من القرآن ويُبدأ بجمع كل ما فى الكتاب المحكم من سورٍ وايات فى الموضوع المدروس. ب ـ ترتب الآيات فيه حسب نزولها لمعرفة ظروف الزمان والمكان كما يستأنس بالمرويات فى أسباب النزول من حيث هى قرائن لابست نزول الآية دون أن يفوت المفسّر أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذى نزلت فيه الآية. ج ـ فى فهم دلالات الألفاظ يقدر أنّ العربية هى لغة القرآن فتلتمس الدلالة اللغوية الأصلية التى تعطينا حس العربية للمادة فى مختلف استعمالاتها

(۲۱۵)

الحسية والمجازية. ثم يخلص لِلَمحِ الدلالة القرآنية بجمع كل ما فى القرآن من صيغ اللفظ وتدبّر سياقها الخاص فى الآية والسورة وسياقها العام فى القرآن كله. د ـ وفى فهم أسرار التعبير يحتكم إلى سياق النص فى الكتاب المحكم ملتزمين ما يحتمله نصاً وروحاً ويعرض عليه أقوال المفسرين فيقبل منها ما يقبله النص. هذا خلاصة هذا المنهج الذى ابتكره الأُستاذ الخولى المصرى واقتفت أثره تلميذته بنت الشاطئ فخرج من هذا المنهج كتاب باسم "التفسير البيانى للقران الكريم "فى جزأين تناول تفسير السور التالية فى الجزء الأوّل": الضحى، والشرح، الزلزلة، النازعات، العاديات، البلد، التكاثر "كما تناول فى الجزء الثانى تفسير السور التالية": العلق، القلم، العصر، الليل، الفجر، الهمز، الماعون. "ولاشك أنّه نمط بديع بين التفاسير إذ لايماثل شيئاً مما أُلّف فى القرون الماضية من زمن الطبرى إلى العصر الأخير الذى عرف فيه تفسير الإمام عبده وتفسير المراغى، فهذا النمط لايشابه التفاسير السابقة غير أنّه لون من التفسير الموضوعى أوّلاً وتفسير القرآن بالقران ثانياً، والنقطة البارزة فى هذا النمط هو استقراء اللفظ القرانى فى كل مواضع وروده فى الكتاب. وبعبارة أُخرى يهتم المفسر فى فهم لغة القرآن بالتتبع فى جميع صيغ هذا اللفظ الواردة فى القرآن الكريم ثم يخرج من ضمّ بعض إلى بعض بحقيقة المعنى اللغوى الأصيل وهو لا يترك هذا العمل حتى فى أوضح الألفاظ. مثلاً تتبع فى تفسير قوله سبحانه:(أَلَم نَشرَح لَكَ صَدرَك)كل آية ورد فيها مادة" الشرح "بصورها أو كل آية ورد فيها مادة" الصدر "بصيغه المختلفة وهكذا فى كل كلمة حتى وإن كان معناه واضحاً عندنا لكنّه لايعتنى بهذا الوضوح، بل يرجع

(۲۱۶)

إلى نفس القرآن ثم يطبّق عليه سائر الضوابط من تدبر سياق الآية وسياق السورة، وسياق الآية العام فى القرآن كله. والذى يؤخذ على هذا النوع من التفسير أنّه أمر بديع قابل للاعتماد غير أنّه لا يكفى فى تفسير الآيات الفقهية بلا مراجعة السنّة لأنّها عمومات فيها مخصصها، أو مطلقات فيها مقيدها أو مجملات فيها مبينها. نعم هذا النمط من التفسير يُغنى عن كثير من الأبحاث اللغوية التى طرحها المفسرون لأنّ المفسر فى هذا النمط يريد أن يستخرج معنى اللفظ من التدبر فى النص القرانى نعم معاجم العربية وكتب التفسير يعينه فى بداية الأمر. وما ورد فى روايات أهل البيت فى مواضع، ما يوجد هذا النوع من النمط وهو الدقة فى خصوصيات الآية وجملها ومفرداتها. ۱ ـ روى الصدوق بإسناده عن زرارة قال: قلت لأبى جعفر ـ عليه السلام ـ: ألا تخبرنى من أين علمت وقلت: إنّ المسح ببعض الرأس وبعض الرجلين؟ فضحك فقال": يازرارة قاله رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم " ونزل به الكتاب من الله عزّ وجلّ لأنّ الله عزّ وجلّ قال:(فاغْسِلُوا وُجُوهَكُم) فعرفنا أنّ الوجه كلّه ينبغى أنّ يغسل ثم قال:(وأيْدِيَكُمْ إلى المَرَافِق) فعرفنا أنّه ينبغى لهما أن يغسلا إلى المرفقين، ثم فصل بين الكلامين فقال: (وامسَحُوا بِرؤُوسِكُم) أنّ المسح ببعض الرأس لمكان" الباء "ثم وصل الرجلين بالرأس، فعرفنا حين وصلهما بالرأس أنّ المسح على بعضها، ثم فسر ذلك رسول الله" صلى الله عليه وآله وسلم " للناس فضيعوه ("۱).

---

۱ . الوسائل: ۱ ، الباب ۲۳ من أبواب الوضوء، الحديث ۱. والآية ۶ من سورة المائدة.

(۲۱۷)

۲ ـ روى الكلينى بسند صحيح عن حماد بن عيسى عن أبى عبد الله ـ عليه السلام ـ أنّه سئل عن التيمم فتلا هذه الآية: (والسّارِقُ والسّارِقَةُ فاقطَعُوا أيْدِيَهُما) وقال:(فاغسِلُوا وجُوهَكُمْ وأيْدِيَكُمْ إلى المَرَافِق) قال: فامسح على كفيك من حيث موضع القطع (۱). فقد استظهر الإمام فى التيمم كفاية المسح على الكفين بحجّة أنّه أطلق الأيدى فى آية السرقة والتيمم ولم تقيّد بالمرافق وقال:(فَلَم تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيّباً فَامسَحُوا بِوجُوهِكُم وأيْدِيكُم مِنه)(۲) فعلم أنّ القطع والتيمم ليس من المرفقين. ۳ ـ سأل أبو بصير أحد الصادقين ـ عليهما السلام ـ هل كانت صلاة النبى إلى بيت المقدس بأمر الله سبحانه أو لا ؟ قال": نعم، ألا ترى أنّ الله تعالى يقول: (وَما جَعَلنا القِبْلَةَ التى كُنْتَ عَلَيها إلاّ لِنَعلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُول)(" ۳). ***

۳ ـ تفسير القرآن باللغة والقواعد العربية: ففى هذا المنهج يهتم المفسر اهتماماً شديداً بالقراءة حتى يقف على الصحيح منها، لأنّه

ينبعث عن تحريف القراءة، تحريف اللفظ القرآنى المنزل، ومن ثم تحريف المعنى. فالحرص على سلامة المنطق حرص على سلامة معنى النص القرآنى،

---

۱ . الوسائل: ۲ ، الباب ۱۳ من أبواب التيمم، الحديث ۲. والآيتان ۳۸ و ۶ من سورة المائدة.

۲ . المائدة: ۶ .

۳ . الوسائل: ۳ ، الباب ۲ من أبواب القبلة، الحديث ۲ ، والآية ۱۴۳ ، من سورة البقرة.

(۲۱۸)

وصيانته من شبهة أو تحريف.

والاهتمام بالقراءة يستدعى ـ منطقياً ـ الاهتمام بالصنعة النحوية، فى النص القرانى إذ أنّ هذا الاهتمام بضبط أواخر الكلمات، إنّما يقصد أساساً إلى المعنى، فعلى المعنى يدور ضبط الكلمة وإعرابها فالفاعل يرفع والمفعول به ينصب وما لحقه من الجرِّ بسبب من أسبابه يجر. فالتفات النحويين إلى إعراب القرآن كان التفاتاً طبيعياً، لَانّ الغاية من وضع النحو هو خدمة معنى القرآن وتحليته. ففى ضوء ضبط القراءة ثم ضبط الإعراب القرانى، يتضح مفاد الآية فى هذا الإطار الخاص مضافاً إلى تحقيق مفردات الآية لغوياً، وتوضيح معانيها الَاصيلة. وعلى هذا النمط تجد التفاسير الآتية: ۱ ـ معانى القرآن تأليف ابن زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ۲۰۷ هـ) ففسّر مشكل إعراب القرآن ومعانيه على هذا المنهج وقد طبع الكتاب فى جزأين، حقّقهما محمد على النجار وأحمد يوسف نجاتى. ويبدو من ديباجة الكتاب أنّ الفراء شرع فى تأليفه سنة (۲۰۴هـ) . والكتاب قيم فى نوعه، وإن كان غير وافٍ بعامة مقاصد القرآن الكريم. ۲ ـ مجاز القرآن لَابى عبيدة معمر بن المثنى (ت ۲۱۳ هـ) وقيل غير ذلك. يقول فى مقدمة الكتاب: قالوا: إنّما أُنزل القرآن بلسان عربى ومصداق ذلك فى آية من القرآن وفى آية أُخرى: (وَما أرسَلنا مِن رَسُولٍ إلّا بِلسانِ قَومِه)(۱) فَلم يحتج السلف ولا الّذين أدركوا وحيه إلى النبى أن يسألوا عن معانيه لَانّهم كانوا عرب الَالسن فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه،

---

۱ . إبراهيم: ۴ .

(۲۱۹)

وعما فيه مما فى كلام العرب من وجوه الإعراب، ومن الغريب والمعانى. وهذا يعرب عن أنّه كان معتقداً بأنّ الإحاطة باللغة العربية، كافية فى إخراج معانى القرآن وهو كما ترى. نعم القرآن نمط من التعبير العربى لكن ليس كل تعبير عربى غنى عن البيان خصوصاً فى مجال التشريع والتقنين الذى نرى تفصيله فى السنّة. ولايقصد أبو عبيدة من المجاز ما يقابل الحقيقة، بل يريد ما يتوقف فهم الآية على تقدير محذوف، وما شابه ذلك، وهو على غرار مجازات القرآن للشريف الرضى ـ رضوان الله عليه ـ ولكن الشريف خصص كتابه بالمجاز بشكله المصطلح. مثلاً يقول أبو عبيدة: ومن المحتمل من مجاز ما اختصر وفيه مضمر، قال: (و انطَلَقَ المَلَاُ مِنهُم أنِ امشُوا وَ اصبِرُوا) (۱) هذا مختصر فيه ضمير مجازه": وانطلق الملاء منهم "ثم اختصر إلى فعلهم وأضمر فيه وتواصوا أن امشوا أو تنادوا أن امشوا أو نحو ذلك. وفى آية أُخرى:(ماذا أرادَ اللهُ بِهذا مَثلاً) (۲) فهذا من قول الكفار، ثم اختصر إلى قول الله ، وأُضمر فيه قل يامحمّد،(يُضِلُّ بِهِ كَثيراً) (۳) هذا من كلام الله . ومن مجاز ما حُذف وفيه مضمر، قال: (وسَلِ القَرْيَةَ التى كُنَّا فيها والعيرَ التى أَقبَلْنا فيها)(۴) فهذا محذوف فيه ضمير مجازه: وسل أهل القرية، ومَن فى العير. وقد طبع الكتاب وانتشر. ۳ ـ معانى القرآن لَابى إسحاق الزجاج المتوفى (۳۱۱هـ) يحدد ابن النديم

---

۱ . ص: ۶ .

۲ . البقرة: ۲۶ .

۳ . البقرة: ۲۶.

۴ . يوسف:۸۲.

(۲۲۰)

تاريخ تأليف هذا الكتاب فى نصٍّ قرأه على ظهر كتاب المعانى" ابتدأ أبو إسحاق إملاء كتابه الموسوم بمعانى القرآن فى صفر سنة ۲۸۵هـ وأتمه فى شهر ربيع الاَوّل سنة ۳۰۱هـ والكتاب بعد مخطوط ومنه نسخ متفرقة فى المكتبات. ۴ ـ تلخيص البيان فى مجازات القرآن: تأليف الشريف الرضى أبى الحسن، محمد بن الحسين (۳۵۹ ـ ۴۰۶ هـ) . يقول فى أوّله: إنّ بعض الاِخوان جارانى وذكر ما يشتمل عليه القرآن من عجائب الاستعارات وغرائب المجازات، التى هى أحسن من الحقائق مَعْرضاً، وأنفع للعلّة معنى ولفظاً، وإنّ اللفظة التى وقعت مستعارة لو أوقعت فى موقعها، لفظة الحقيقة لكان موضعها نابياً بها، و نصابها قلقاً بمركّبها، إذا كان الحكيم سبحانه لم يورد ألفاظ المجازات لضيق العبارة عليه، ولكن لاَنّها أجلى فى أسماع السامعين، وأشبه بلغة المخاطبين، وسألنى أن أجرد جميع ما فى القرآن فى ذلك على ترتيب السور ليكون اجتماعه أجلّ موقعاً وأعم نفعاً، وليكون فى ذلك أيضاً فائدة أُخرى. (إلى أن قال) وقد أوردت فى كتابى الكبير حقائق التأويل فى متشابه التأويل طرفاً كبيراً من هذا الجنس، أطلتُ الكلام والتنبيه على غوامض العجائب التى فيه من غير استقصاء أوانه (۱). وبهذا البيان امتاز نمط هذا التأليف عمّا ألّفه أبو عبيدة وأسماه بمجاز القرآن. فالشريف يروم من المجاز القسم المصطلح، ولكنَّ أبا عبيدة يروم الكلام الخارج على غير النمط العادى من حذف وتقدير وتأخير، وإضمار وغير ذلك.

---

۱ . الرضى: تلخيص البيان فى مجازات القرآن: ۲، طبع عالم الكتب.

(۲۲۱)

۴ ـ تفسير القرآن بالمأثور عن النبى والاَئمة ـ عليهم السلام ـ : ومن التفسير بالمنقول هو تفسير القرآن بما أثر عن النبى والاَئمة المعصومين ـ عليهم السلام ـ أو الصحابة والتابعين، وقد ظهر هذا النوع من المنهج بعد رحلة النبى" صلى الله عليه وآله وسلم " ومن المعروفين فى سلوك هذا المنهج بعد عهد الرسالة عبد الله بن عباس، وهو القائل: ما أخذت من تفسير القرآن فعن على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ (۱) وحسبك هذه الشهادة من ترجمان القرآن. نعم روى عن النبى" صلى الله عليه وآله وسلم " أنّه دعا له بالفقه والحكمة وتأويل القرآن (۲). وقد ذاع هذا المنهج من القرن الاَوّل إلى عصرنا هذا، فظهر بين المفسرين من يكتفون فى التفسير بالاَثر المروى ولايتجاوزون عنه حتى أنّ بعض المفسرين لايذكر الآية التى لايجد حولها أثراً من النبى والاَئمة كما هو ديدن تفسير البرهان للسيد البحرانى، ولنأت بأشهر التفاسير الحديثية بين الفريقين. فأشهر المصنّفات على هذا النمط عند أهل السنّة عبارة عن: ۱ ـ تفسير أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (۲۲۴ ـ ۳۱۰هـ) وهذا الكتاب أوسع ما أُلّف فى هذا المجال، ومن مزايا هذا التفسير ذكر الروايات مسندة أو موقوفة على الصحابة والتابعين وقد سهل بذلك طريق التحقيق والتثبيت منها، نعم فيها من الاِسرائيليّات والمسيحيّات ما لا يحصى كثرة. ۲ ـ ويليه فى التبسط تفسير الثعلبى (ت ۴۲۷هـ) باسم" الكشف والبيان " وهو تفسير مخطوط، ونسخه قليلة، عسى أن يقيّض الله رجال التحقيق لاِخراجه

---

۱ . الزرقانى: مناهل العرفان: ۱ |۴۶۸.

۲ . أُسد الغابة: ۳|۱۹۳.

(۲۲۲)

إلى عالم النور، ومؤلّفه من المعترفين بفضائل أهل البيت ـ عليهم السلام ـ فقد روى نزول كثير من الآيات فى حقّ العترة الطاهرة

وينقل عنه كثيراً السيد البحرانى فى كتبه مثل غاية المرام وتفسير البرهان. ٣ ـ تفسير الدر المنثور تأليف السيوطى (ت ٩١١ هـ) ففيه ما ذكره الطبرى فى تفسيره وغيره ويبدو من كتابه الاِتقان أنّه جعله مقدمة لذلك التفسير وقد ذكر فى خاتمة الاِتقان نبذة من التفسير بالمأثور المرفوع إلى النبى" صلى الله عليه وآله وسلم " من أوّل الفاتحة إلى سورة الناس. هذه مشاهير التفاسير الحديثية عند أهل السنة اكتفينا بذلك. وأمّا التفسير بالمأثور عند الشيعة فأشهرها ما يلى: ١ ـ تفسير محمد بن مسعود العياشى المعاصر للكلينى الذى توفى عام ٣٢٩ هـ وقد طبع فى جزأين، غير أنّ ناسخ الكتاب فى القرون السابقة، جنى على الكتاب جناية علمية لاتغتفر حيث أسقط الاَسانيد، وأتى بالمتون، وبذلك سد على المحقّقين باب التحقيق. ٢ ـ تفسير على بن إبراهيم القمى الذى كان حياً عام (٣٠٧ هـ) وتفسيره هذا مطبوع قديماً وحديثاً، غير أنّ التفسير ليس لعلى بن ابراهيم القمى وحده، وإنّما هو تفسير ممزوج من تفسيرين، فهو ملفّق مما أملاه على بن إبراهيم على تلميذه أبى الفضل العباس، وما رواه تلميذه بسنده الخاص، عن أبى الجارود عن الاِمام الباقر ـ عليه السلام ـ وقد أوضحنا حاله فى أبحاثنا الرجالية (١). ٣ ـ وقد أُلّف فى أواخر القرن الحادى عشر تفسيران بالمنهج المذكور أعنى بهما:

---

١ . كليات فى علم الرجال: ٣١١ ـ ٣١٥.

"البرهان فى تفسير القرآن "للسيد هاشم البحرانى المتوفى (١١٠٧ هـ) . و"نور الثقلين "للشيخ عبد على الحويزى من علماء القرن الحادى عشر. والاستفادة من التفسير بالمأثور يتوقف على تحقيق اسناد الروايات لكثرة تطرق الاِسرائيليات والمسيحيات والمجوسيات المروية من مسلمة أهل الكتاب إليها أو مستسلمتهم. وهناك كلمة قيمة لابن خلدون يقول": إنّ العرب لم يكونوا أهل كتاب ولاعلم، وإنّما غلبت عليهم البداوة والاُمية، وإذا تشوّقوا إلى معرفة شىء مما تتوق إليه النفوس البشرية فى أسباب المكونات، وبدء الخليقة وأسرار الوجود، فإنّما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدون منهم، وهؤلاء مثل كعب الاَحبار ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام وأمثالهم فامتلاَت التفاسير من المنقولات عنهم وتُلقيت بالقبول، وتساهل المفسرون فى مثل ذلك، وملاَوا كتب التفسير بهذه المنقولات، وأصلها كلها ـ كما قلنا ـ من التوراة أو مما كانوا يفترون(١. ") ولاَجل ذلك ترى أنّ ما أتى به الطبرى فى تفسير حول قصة آدم وحواء تطابق ما جاء فى التوراة. والعجب أنّ كتب التفسير مملوءة من أقاويل هؤلاء (أى مسلمة أهل الكتاب) ومن أخذ عنهم، من المسلمين أمثال عكرمة ومجاهد وعطاء والضحاك. فهوَلاء مضافاً إلى ما ورد فيهم من الجرح والطعن فى كتب الرجال المعتبرة عند أهل السنّة، كانوا يأخذون ما أثر عنهم من التفاسير من اليهود والنصارى (٢).

---

١ . مقدمة ابن خلدون: ۴۳۹.

٢ . لاحظ آلاء الرحمان: ١ |۴۶، وبحوث فى الملل والنحل: الجزء الاَوّل.

وأمّا ما يتراءى من نقل أقوالهم فى تفاسير الشيعة كالتبيان لشيخ الطائفة الطوسى، ومجمع البيان للشيخ الطبرسى فعذرهم فى نقل أقوالهم هو رواجها فى تلك العصور والاَزمنة بحيث يعد الجهل بها نقصاً فى التفسير ويوجب عدم الاعتناء به. وعلى كل تقدير فالتفسير بالمأثور يتوقف على توفر شرائط الحجية فيه، إلاّ إذا كان الخبر ناظراً إلى بيان كيفية الاستفادة من الآية، ومرشداً إلى القرائن الموجودة فيها فعندئذ تلاحظ كيفية الاستفادة، فعلى فرض صحة الاستنتاج يوَخذ بالنتيجة وإن كان الخبر غير واجد للشرائط. كما عرفت نماذج منه. وأمّا إذا كان التفسير مبنياً على التعبد فلا يوَخذ به إلاّ عند توفر الشرائط. هذه هى المناهج التفسيرية على وجه الاختصار قد عرفت المقبول والمردود، غير أنّ المنهج الكامل عبارة عن المنهج الذى يعتمد على المناهج الصحيحة، فيعتمد فى تفسير القرآن على العقل القطعى الذى هو كالقرينة، كما يفسر القرآن بعضه ببعض ويرفع إبهام الآية بأُختها، ويستفيد من الاَثر الصحيح الذى

يكون حجّة بينه وبين ربّه إلى غير ذلك من المناهج التى مر بيانها.

قم ـ موَسسة الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ

جعفر السبحانى

۲۷ رجب المرجب ۱۴۰۹هـ ق

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد

جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹